سعيد عبد الحكيم زيد

واقع العالم الإسلامي

بين تغريب التعليم .. وكشف تخريب المتآمرين

* جذور المؤامرة على التعليم .
* صور من التآمر الصهيوني الصليبي .
* محنة الأقليات المسلمة وما يراد بها .

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ، واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال ٣٠).

صدق الله العظيم

الإهـــــــداء

- إلى الأمة التي نسيت تاريخها، ونام رعاتها، وانطلقت ذئابها، وضاع مصباحها، وضل هاديها، وقُتِلَ أشرافها.
- إلى الذين امتلأت صدورهم بعزة الإسلام وكرامة الدين.
- إلى الذين يشاركون بفكرهم وجهدهم في تشكيل البناء العقدي والفكري والسياسي لأبناء المسلمين.
- إلى كل معلم ومعلمة .. إلى كل مربٍ ومربية .. إلى كل المهتمين بتربية الأجيال المسلمة.

المقدمة

ألمت بأمتنا الإسلامية في أيامنا هذه، وماضينا القريب كبوة.. أصبحت عملية تقصيّ أسبابها، واستجلاء خفاياها ضرورة واجبة على كل فرد من أبناء هذه الأمة، للاستفادة من دروسها، والخروج منها بأكبر قدر من العظة والعبرة لمواجهة مشاكل الحاضر الأليم، والإعداد لبناء المستقبل المنشود ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١).

هذه الأمة التي أراد الله تعالى لها أن تكون أمة واحدة وأمة وسطًا، وأن تكون خير أمة أخرجت للناس.. اكتملت عظمتها تحت مظلة الإسلام وبفضل تمسك السلف الصالح بتعاليمه ومُثُله. هذه الأمة التي تمثل بعقيدتها وحضارتها وتراثها شجرة قوية راسخة تمتد جذورها بعيدًا في الأعماق، ولئن ذبلت بعض أوراقها حينًا وبسبب عوامل طارئة، فإنها قادرة بمشيئة الله تعالى على أن تعاود انتعاشها متى عني أصحابها برعايتها لتخرج من جديد براعم متفتحة، ويتكاثر فروعها، وتخضر أوراقها، وبذلك تعود لها مرة أخرى بفضل ما توافر لها من إمكانات روحية وبشرية ومادية دوحة ضخمة يستظل العالم بظلها، وتنهل البشرية من فيضها الروحي والفكري والعمراني.. هذه الإمكانات الوفيرة المتنوعة كفيلة بأن تجعل منها ركيزة لبناء مستقبل أفضل، لا لأبنائها فحسب، بل للبشرية جمعاء.

ونواة هذا البحث الذي بين أيدينا في الأصل مقالات عدة وفقني الله تعالى في نشرها في صحف خليجية عامي ١٤١٦-١٤١٧هـ/ ١٩٩٥-١٩٩٦م.. حرصت في استيفاء مادتها على الرجوع إلى المراجع والمصادر الإسلامية الصحيحة، وقمت بالاسترشاد بما كتب، واقتبست الكثير ونقلت.

حرصت في هذا المؤلف على إعطاء القارئ فكرة عامة عن واقع العالم الإسلامي، فالكثير من أبنائنا يجهلون جغرافية العالم الإسلامي.. أين تقع بلدانه على خارطة العالم،

---

(١) الرعد ١١.

فضلاً عن جهلهم بثقافة الشعوب الإسلامية ودينها، في الوقت الذي يعرفون فيه جغرافية أوروبا وأميركا وتاريخها بتفصيل أدق وأوفى.. ويعرفون هضابها وجبالها، وأنهارها وبحيراتها، ويعرفون صادراتها ومفرداتها وارداتها أكثر مما يعرفون ذلك عن بلادهم.

وكأي مؤلف وكاتب، وداع إلى فكرة وعامل في حقل الدعوة يرى تكالب قوى الشر من اليهود والصليبيين والشيوعيين، وقد اجتمعوا على إفساد التعليم في بلاد المسلمين، يساعدهم في ذلك أناس من بني جلدتنا، باسم التطوير والتحديث، أو محاربة الإرهاب والتطرف كما يزعمون.

وكأي باحث يرى أن التعليم هو عقل الأمة وشرفها، وأن هناك من يحاول أن يتحكم في نوعية التعليم ليؤثر في هوية هذه الأمة ليخرجها من شخصيتها، ويحقق انسلاخها عن هويتها، ويُدخلها في دائرة التبعية والذيلية، بل والعبودية.

وكأي باحث يرى أن مناهج التعليم في ربوع الأمة قد أصبحت في قبضة غير أمينة ينقصها الصدق مع النفس والإخلاص والتجرد لوجه الله تعالى ولوحدانيته، كما تنقصها التربية السلوكية والتربية الأخلاقية.. التربية الإسلامية الصادقة.

وكأي باحث يرى أن الفكر اليهودي قد تسلل إلى مناهجنا، وحُرّفت حقائق التاريخ، وحُرِفَ الكلم عن مواضعه. وامتد عبث اليهود إلى التشريع الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، والعقيدة الإسلامية، والدراسات القرآنية، والأحاديث النبوية، واللغة العربية، بل امتد عبثهم إلى ميادين الزراعة والاقتصاد وخلايا النحل.

وكأي باحث يرى أبناء المسلمين يعرفون عن خوفو وخفرع ورمسيس ولاعبي الكرة الأمريكان أكثر مما يعرفون عن أبي بكر وعمر وصلاح الدين وسيف الدين قطز وخالد بن الوليد، ويتغنون بأمجاد الفراعنة وانتصاراتهم، ولا يعرفون إلا القليل عن حطين وعين جالوت.

لكل هذا كان من اللازم أن يتضمن هذه المؤلف فصولاً عن:

- العالم الإسلامي.. ملامح عامة.
- جذور المؤامرة على الأمة.

- واقع التعليم في بلاد المسلمين وجذور المؤامرة عليه[١].
- طمس الحقائق التاريخية في كتب التاريخ المدرسية.
- خطوات نحو أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- صفحات من التاريخ الأسود لبني إسرائيل.

والله ـ سبحانه ـ أسأل أن أكون قد ساهمت في تبصير الأجيال المسلمة بالحقيقة التي تُذْبَح على مائدة الخونة والمتآمرين على الإسلام، لتضليل الجيل المسلم وتنفيره خشية أن يعيد الإسلام سيرته الأولى.

أسأله ـ تعالى ـ أن ينفع به، ويَدّخر لنا ثوابه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى إليه عز وجل بقلب سليم.

سعيد زيد

مصر الجديدة في
١٠ من ربيع الآخر ١٤١٧هـ
٢٥ من أغسطس ١٩٩٦م

(١) في بحثي في جذور المؤامرة على التعليم والتربية، وبعد الاطلاع على ما يُدَرّس لأبنائنا في دور العلم، تناولت رموزًا نهضوية أفضت إلى ما قدمت والآن أصبحت في ذمة غير ذمتنا.. كانوا بشرًا من البشر يعتريهم ما يعتري الإنسان من وهم وقصور وزلل، ولكن يبقى الدرس والعبرة والعظة والحرص على التغيير والإصلاح.. ويبقى لهم على العموم أجر المجتهد.

الفصل الأول

نظرة على العالم الإسلامي

الأمة المسلمة والعالم الإسلامي

الأمة الإسلامية

الأمة جماعة من الناس تعيش بعقيدة واحدة، وتتبنى نظامًا معينا ينبع من تلك العقيدة، وذلك مهما اختلفت أجناس أتباعها وألوانهم، ومهما تباينت لغات أبنائها، وتغايرت أقوامهم، لأن العقيدة هي العامل الأول في تكوين الأمة [1].

وأمة الإسلام تشمل جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، سواء خضعوا لحكومة مسلمة تدين بالإسلام، أو عاشوا أقلية في ظل حكومة غير إسلامية، وهؤلاء جميعًا - مهما تباعدت أوطانهم وأينما كانت أرضهم وديارهم - يعيشون في ظل عقيدة واحدة، تؤلف بين قلوبهم شهادة أن "لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، ويُعرفون بأهل القبلة، حيث أنهم يتجهون بقلوبهم وأفئدتهم خمس مرات كل يوم نحو قبلة واحدة ممثلة في بيت الله المحرم في مكة المكرمة.

آخى الإسلام بينهم وجعل منهم أخوة متحابين ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات ١٠).

العالم الإسلامي

يشكل العالم الإسلامي الدول التي تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع السكان، ويُمثل الإسلام فيها أغلبية مطلقة، ويكون نظام الحكم فيها إسلاميًا، أو يقبل أن يضمه إطار مجتمع الدول الإسلامية [2].

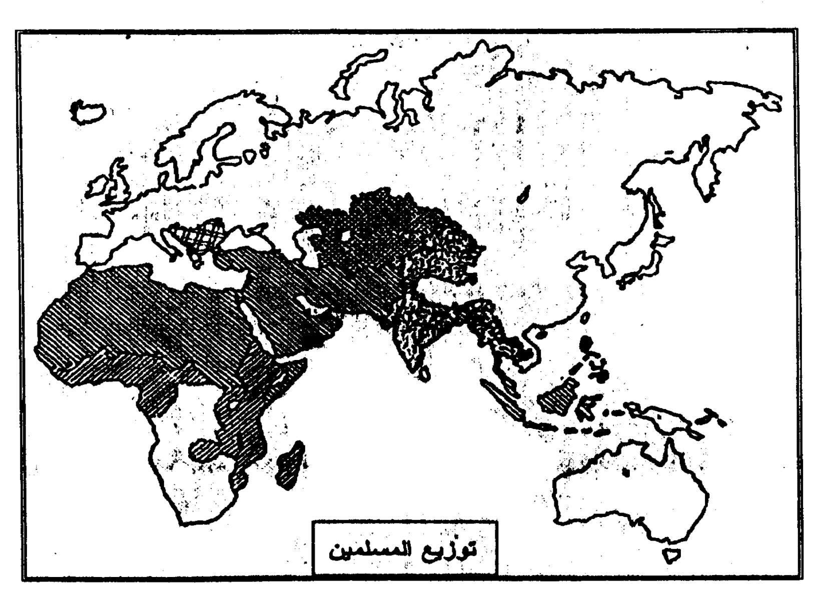
وتحديد العالم الإسلامي بهذا المعيار هو اعتبار سياسي محض لا يستند إلى فكرة حقيقية، ولا يقوم على معنى صحيح، وبالتالي لا يصلح لتحديد العالم الإسلامي، فهناك بعض الأنظمة على الرغم من كثرة سكان دولها المسلمين وزيادتهم على النصف، إلا أنها لا تعترف أنها دول إسلامية، ولا تقبل أن تُعد بين الأمصار الإسلامية، بل لا تعترف

(١) محمود شاكر - العالم الإسلامي - المكتب الإسلامي ص١٤.
(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور وآخرون - العالم الإسلامي.

بأعداد المسلمين ونسبتهم، وتدعي حسب إحصاءات غير صحيحة أنهم أقلية، وذلك لأن حكامها والقائمين عليها على غير عقيدة المسلمين.

لذلك يرى المنصفون أن العالم الإسلامي قد يمتد ويتسع باستمرار الدعوة والجهاد، فقد اتسع في الماضي فشمل الأندلس وجنوبي أوروبا وجزر البحر المتوسط وغيرها، ثم انحسر عن تلك المناطق بعد أن ضعفت شوكة المسلمين، واشتدت عمليات الإبادة والاستئصال التي صحبت الحملات الصليبية الأوربية.

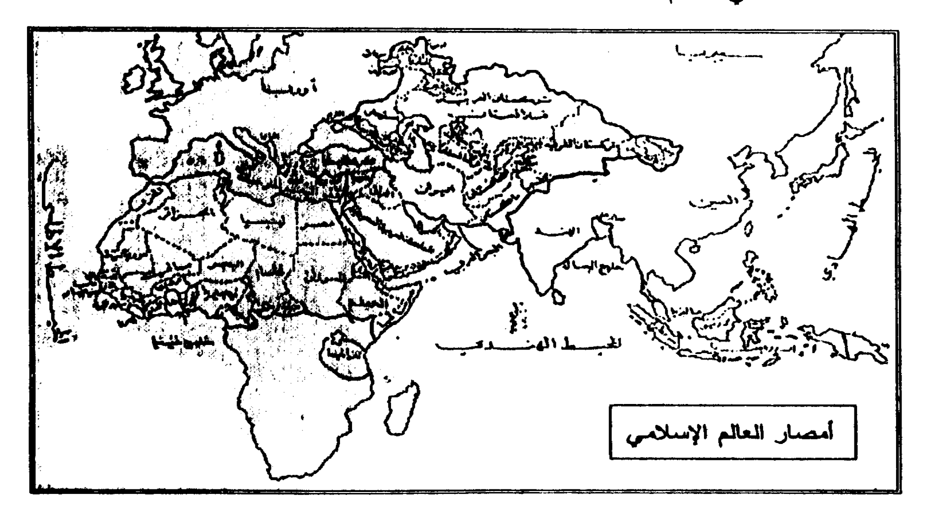
والمسلم أينما كان هو مواطن في رقعة العالم الإسلامي، جنسيته عقيدته، له ما لساكن هذه البقعة، والأرض في نظره قسمان: دار كُفر ليس منها ولو كان مُقيمًا فيها فوق ربوعها وله معايش بين أبنائها، ودار إسلام تحكم بالإسلام، وتُطَبَّق فيها شريعة الله كاملةً، عقيدةً وأخلاقًا، وشعائر ومعاملات ـ هذه الدار هي دار المسلم ولو كان خارجًا، بعيدًا منها.



العالم الإسلامي

ملامح عامة

- يقع العالم الإسلامي على مساحة واسعة من الأرض تُقدر بنحو ربع مساحة العالم ٣١,٧ مليون كم٢ *، تمتد من المحيط الأطلسي غربًا (عند خط طول ٢٠° غربًا) حتى مياه المحيط الهادي شرقًا (عند خط طول ١٤٠° شرقًا) لمسافة ١٨٠٠ كم تقريبًا، وبالنسبة لدرجات العرض فتقع معظم بلاد المسلمين في نصف الكرة الشمالي، فيما بين ٦٠° شمالاً في أعالي نهر الفولجا و٦° جنوبًا جنوبي الجزر الأندونيسية.
- تشكل مساحة العالم الإسلامي أكبر وحدة روحية وفكرية في العالم، تضم مجموعة من البشر تزيد على سدس سكان العالم، يُكوّنون أمة واحدة تفوق أي كتلة بشرية مجتمعة في العالم(١).



أمصار العالم الإسلامي

* U. N. Demographic Year Book, 1985, p.131

(١) العالم الإسلامي - محمود شاكر ص١٤ - الطبعة الثالثة - المكتب الإسلامي.

المسلمون في آسيا

تعد قارة آسيا مركز ثقل العالم الإسلامي، وبيت الإسلام الحقيقي مثلما كانت منبته الأصلي، فتضم أكثر من ثلثي سكان العالم الإسلامي، يتوزعون في إحدى وعشرين دولة مستقلة، إضافة إلى دولتين لهما مشكلات سياسية هما ـ فلسطين وكشمير ـ، وست جمهوريات في آسيا الوسطى (التركستان الغربية) ذات استقلال ذاتي، ومقاطعات ذات استقلال ذاتي تابعة لموسكو.. هذه الجمهوريات والمقاطعات ضمتها روسيا إليها بالحرب والسيف والضغط والإكراه، وذاق أهلها الويلات حيث حُوربوا في عقيدتهم، ومُنعوا من أداء شعائر عبادتهم تحت الحكم الروسي لها.

تتمثل هذه الجمهوريات في:

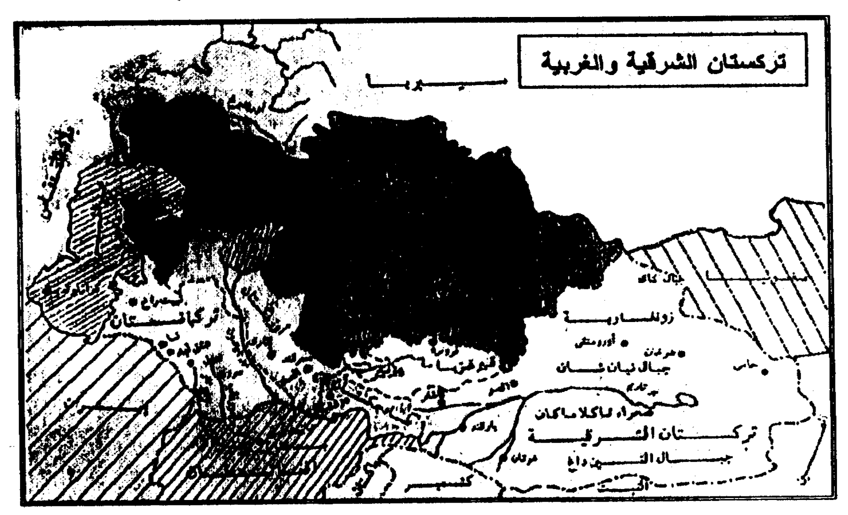
(١) جمهورية **كازاكستان** وتقع إلى الغرب من الصين، وتضم أكثر من ١٦ مليون نسمة، وعاصمتها آلما آتا.

(٢) جمهورية **أوزبكستان** وتقع بين نهري سيحون وجيجون وتضم أكثر من ١٩ مليون نسمة، وعاصمتها طشقند مقر المجلس الإسلامي الأعلى الذي يُشرف على جمهوريات التركستان الإسلامية، وبها مدينة بخارى التي وُلِدَ فيها الإمام البخاري.

(٣) جمهورية **طاجكستان** وتقع إلى الشرق من جمهورية أوزبكستان، ولها حدود مع الصين وأفغانستان، وعاصمتها دوشانبي. ويصل عدد سكانها إلى أكثر من ٥ مليون نسمة.

(٤) جمهورية **تركمانستان** وتقع إلى الشرق من بحر قزوين، وإلى الغرب من أوزبكستان، وأهم مدنها عشق آباد.

(٥) جمهورية **قرغيزيا** وتقع جنوب كازاكستان، ويصل عدد سكانها إلى نحو ٤ مليون نسمة، وعاصمتها فرونز.



(٦) أذربيجان وتطل على الساحل الغربي لبحر قزوين، وهي الجمهورية الإسلامية الوحيدة التي تقع خارج منطقة آسيا الوسطى، وتحدها إيران من الجنوب، وتضم جمهورية ناختيشفان على الحدود مع تركيا وإيران، وإقليم ناجورنوكاراباخ الذي تنازع بشأنه جمهورية أرمينيا.

وقد أصبحت الجمهوريات الإسلامية تلك بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أواخر عام ١٩٩١م جمهوريات مستقلة في إطار الكومنولث الجديد.

وتشغل هذه الجمهوريات الست مساحة كبيرة تبلغ أكثر من أربعة ملايين كيلومتر مربع، يقع معظمها في إقليم التركستان الغربية، إلى الشرق من بحر قزوين، ولا يقع منها خارج هذا الإقليم سوى جمهورية أزربيجان التي تقع على السفوح الجنوبية لجبال القوقاز [١].

ويقدر عدد المسلمين في هذه الجمهوريات بحوالي ٦٠ مليون مسلم يمثلون أغلبية سكانية فيها.

(١) دراسات في جغرافية العالم الإسلامي د. محمد صبحي عبدالحكيم - طبعة ١٩٩٢.

وقد دخل الإسلام هذه المناطق كلها خلال حركة الفتوح الإسلامية، وانتشر بين شعوب وقبائل هذه المنطقة وأهمها: التتر والبشكير والتركمان والقوزاق والأوزبكيين، ولقد سقطت هذه الجمهوريات تحت الحكم الروسي في عهد إيفان الرهيب عام ١٥٥٢م، وفي عهد أسرة رومانوف القيصرية ١٦١٣-١٩١٧م تمكن الروس من الاستيلاء على مساحات من الأراضي الإسلامية، بعد أن استغلوا فرصة ضعف الدولة العثمانية، وعجزها عن الدفاع عن أطرافها، وفي وقت كان العالم الإسلامي يصارع الاستعمار الغربي تمكن الروس من احتلال رقعة من الأرض تزيد على مساحة رقعة أوروبا كلها.. رقعة امتدت من منغوليا في الشرق إلى بحر قزوين في الغرب، ومن سيبيريا في الشمال إلى أفغانستان والهند وإيران في الجنوب.

وتتصدر هذه الجمهوريات من حيث المساحة جمهورية كازاكستان التي تبلغ مساحتها نحو ٢,٧ مليون كيلو متر مربع، وأصبحت بعد الاستقلال أكبر الدول الإسلامية جميعًا من حيث المساحة بعد أن كان السودان هو أكبر الدول الإسلامية مساحة* .

أصبحت هذه الجمهوريات اليوم مستقلة استقلالاً تامًا، بعد أن تحررت من التبعية السوفيتية في ظل الاتحاد السوفيتي المنهار، وبدأ المسلمون فيها صفحة جديدة من تاريخهم بعد أن عاشوا قرابة قرن ونصف القرن من الزمان في ظل الاستعمار الروسي والقهر السوفيتي.

ولقد بقي المسلمون متمسكين بدينهم، ثابتين على عقيدتهم، رغم ما لاقوه من عنت وقهر. ولقد كانت قوة الإسلام الذاتية أقوى من كل المحاولات التي بذلت لمحوه والقضاء عليه.

وهناك مقاطعات وجمهوريات (في الاتحاد السوفيتي سابقًا) ذات استقلال ذاتي بالإضافة إلى ماسبق، ومقاطعة في الصين الشعبية هي تركستان الشرقية [1].

هذا وتضم أندونيسيا وبنجلاديش نحو ٥٠٪ من مسلمي آسيا، وإذا أضفنا إليهما

* (تزيد مساحتها عن مساحة ١٣ دولة عربية هي تونس - سوريا - الأردن - جيبوتي - لبنان - فلسطين - العراق - البحرين - قطر - الإمارات - عمان - اليمن - الصومال.)

(١) جغرافية الدول الإسلامية - د. جوده حسنين جوده - د. علي أحمد هارون - ص٦٦.

الباكستان فيصل عدد سكان الدول الثلاث إلى نحو ثلثي سكان العالم الإسلامي الآسيوي.

ويلي هذه الدول في عدد السكان تركيا وإيران وأفغانستان على الترتيب، ثم تأتي دول شبه الجزيرة العربية والشام وبلاد الرافدين.

المسلمون في أفريقيا

تضم قارة أفريقيا نحو ثلث سكان العالم الإسلامي، يتوزعون في نحو سبع وعشرين دولة، يمثلون نحو نصف سكان أفريقيا، وإذا أضفنا إليهم الأقليات المسلمة فإن نسبتهم تصل إلى نحو ٦٠٪ من سكان القارة [١].

وتمثل الدول العربية نحو ٤٠٪ من سكان الدول الإسلامية الأفريقية، وتضم كل من نيجيريا ومصر نحو ٤٧٪ من سكان أفريقيا المسلمين، وتعيش مجموعات مسلمة ضمن بعض الدول الأفريقية كما في أثيوبيا، حيث تعيش أغلبية مسلمة لكنهم مغلوبون على أمرهم ويعيشون كأقلية تضطهدهم المسيحية المتحكمة في البلاد.

المسلمون في أوروبا

يزيد عدد المسلمين في أوروبا على ٢٧ مليون نسمة، وهو ما يُعادل ٤٪ بالنسبة إلى مجموع سكان القارة، ويُقيم في ألبانيا أكثر من ثلاثة ملايين نسمة.

وتتفاوت تقديرات عدد المسلمين في أوروبا، حيث يُقدر عددهم في فرنسا بنحو ١,٥ مليون نسمة. وفي ألمانيا يقرب عددهم من مليون ونصف، وترتفع نسبتهم في بلغاريا وسائر دول البلقان في البوسنة والهرسك وصربيا ومقدونيا والجبل الأسود.

---

(١) المرجع السابق.

الدول الإسلامية (تقديرات ١٩٨٨)*

م	الدولة	مجموع السكان (بالآلاف)	عدد المسلمين (بالآلاف)	م	الدولة	مجموع السكان (بالآلاف)	عدد المسلمين (بالآلاف)
١	أندونيسيا	١٧٧,٤٠٠	١٥٦,١٣٦	٢٥	فلسطين المحتلة	◆٤,٣٧١	
٢	باكستان	١٠٧,٥٠٠	١٠٤,٢٤٣	٢٦	لبنان	٣,٣٠٠	٢,٠٠٣
٣	بنجلاديش	١٠٩,٥٠٠	٩٣,٠٥٠	٢٧	ليبيا	٤,٠٠٠	٣,٨٧٧
٤	تركيا	٥٢,٩٠٠	٥٢,٤٥٢	٢٨	موريتانيا	٢,١٠٠	٢,٠٤٩
٥	إيران	٥١,٩٠٠	٥٠,٨٨٦	٢٩	الكويت	٢,٠٠٠	١,٨٨١
٦	مصر	٥١,٤٥٣	٤٨,٦٠٠	٣٠	الإمارات	١,٥٠٠	١,٣٣٨
٧	المغرب	٢٥,٠٠٠	٢٤,٧٢٦	٣١	غمبيا	٨٠٠	٦٧٨
٨	الجزائر	٢٤,٢٠٠	٢٣,٩٥٣	٣٢	البحرين	٥٠٥	٥٠٠
٩	السودان	٢٤,٠٠٠	١٧,٢٩١	٣٣	قطر	٤٠٠	٣٩٤
١٠	العراق	١٧,٦٠٠	١٦,٨٨٠	٣٤	جيبوتي	٣٠٠	٢٨٨
١١	أفغانستان	١٤,٥٠٠	١٤,٣٣٦	٣٥	جزر القمر	٤٢٧	٤٢٧
١٢	ماليزيا	١٧,٠٠٠	٨,٣١٤	٣٦	بروناي	٣٠٠	١٦٦
١٣	السعودية	١٤,٢٠٠	١٤,٠٤٤	٣٧	المالديف	٢٠٣	٢٠٣
١٤	سوريا	١١,٣٠٠	٩,٨٦٤	٣٨	عمان	١,٤٠٠	١,٣٥٨
١٥	الصومال	٨,٠٠٠	٧,٩١٠	٣٩	أوزبكستان	١٩,٩٠٦	
١٦	تونس	٧,٧٠٠	٧,٦٩٢	٤٠	كازاكستان	١٦,٥٣٨	
١٧	مالي	٨,٧٠٠	٦,٩٣٣	٤١	طاجيكستان	٥,١١٢	
١٨	النيجر	٧,٢٠٠	٦,٣٠٥	٤٢	أذربيجان	٧,٠٢٩	
١٩	السنغال	٧,٠٠٠	٦,٣٥٤	٤٣	قيرغيزيا	٤,٢٩١	
٢٠	اليمن	٩,٢٠٠	٩,٠٦٧	٤٤	تركمانستان	٣,٥٣٨	
٢١	غينيا	٦,٩٠٠	٤,٧٨٨	٤٥	نيجريا	١١١,٩٠٠	٥٠,٥٣٧
٢٢	تشاد	٤,٨٠٠	٣,٤٣٧	٤٦	ألبانيا	◆٣,٣٨٨	
٢٣	سيراليون	٤,٠٠٠	١,٩٨٢	٤٧	أريتريا	◆٤,٠٠٠	
٢٤	الأردن	٣,٨٠٠	٣,٥٧٣				

* عن جغرافية العالم الإسلامي - د. محمد صبحي عبدالحكيم - طبعة ١٩٩٢ نقلاً عن: John R. Weeks, The Demography of Islamic Nations, December 1988.
◆ تقديرات عام ١٩٩٠م.

دور شعوب آسيا الوسطى في إثراء الحضارة الإسلامية والدفاع عنها

قدمت شعوب آسيا الوسطى المعروفة باسم التركستان اسهامات رائعة في إثراء الحضارة الإسلامية والدفاع عنها، فمن التركستان الشرقية التي تخضع لحكم الصين والتي أسمتها سينكيانج أي المستعمرة الجديدة. ظهرت الدولة السلجوقية التي حكمت من مركزها في مرو مناطق واسعة من دار الإسلام امتدت من الأناضول في الشمال الغربي إلى اليمن في الجنوب الغربي، ومن حدود سيبيريا في الشمال الشرقي، إلى ما يُعرف اليوم بباكستان في الجنوب الشرقي، وقد لعب السلاجقة دورًا هامًا جدًا في رفع راية الإسلام وتقويض الإمبراطورية المعادية.

ومن التركستان الشرقية أيضًا ظهرت الدولة العثمانية التي صدت الغزو الصليبي الاستعماري الأوروبي، وحمت بذلك معظم أراضي المسلمين، وخاصة تلك الواقعة في شمال إفريقية من عدوان أوروبا الغاشم. كما أنها قامت بنشر الإسلام في ربوع أوربا، واحتلت المجر ورومانيا وألبانيا ويوغوسلافيا وجميع أراضي شبه جزيرة البلقان، كما وصلت جيوشها إلى بولندا ذاتها.

وقد أسهمت الدول التركية القادمة من التركستان في نشر الإسلام في شبه القارة الهندية على يد الدولة الغزنوية التي أسسها سبكتكين التركي ثم قام محمود الغزنوي بتوسيع رقعة تلك الفتوح.

ثم ظهرت دولة تركية أخرى أسسها بابر التيموري في كابل، وانحدر منها إلى الهند حيث أسس الإمبراطورية التيمورية الضخمة، والتي أسماها الغربيون بالإمبراطورية المغولية.

كما أن العنصر التركي القادم من التركستان هو الذي شكل معظم الدول الإسلامية المختلفة منذ أن استقدم الخليفة المعتصم العباسي أعدادًا غفيرة منهم صاروا قوادًا وأمراء وسلاطين، معظمهم قدموا من التركستان الشرقية التي ترزح اليوم تحت الاستعمار الصيني، والتي جعلها مستعمرة له يستلب خيراتها وثرواتها.

وكان للأتراك دور بارز في إثراء الحضارة الإسلامية، حيث ظهر منهم مئات، بل آلاف العلماء والمفسرين والمحدثين وفقهاء الإسلام، كما ظهر المئات من الأطباء والشعراء والأدباء واللغويين والنحاة والجغرافيين والرياضيين والفلاسفة.

وكان دور التركستان الغربية في هذا واضحًا تمام الوضوح منذ القرن الثاني الهجري، وكانت بخارى في القرن الثالث الهجري والتي خرج منها الإمام البخاري، كما قدمت التركستان الإمام الزمخشري والترمذي والنسائي وابن سينا والبيروني والشاشي والخوارزمي وعبدالله بن المبارك، والفضيل بن عياض، واسحاق بن راهويه(١).

الأقليات المسلمة في العالم(٢)

تشكل الأقليات المسلمة التي تعيش خارج حدود العالم الإسلامي نحو ٢٤٪ من عدد سكان العالم الإسلامي، يتوزعون في عدد كبير من دول العالم.

الأقليات المسلمة في قارة آسيا

يتجمع ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الأقليات في دولتين كبيرتين هما الصين والهند، إذ يقدر عدد المسلمين في الأولى بـ٨٠ مليونًا، وتبلغ نسبتهم إلى ١٠٪ من جملة السكان، ويعيش في الثانية أقل من هذا العدد بقليل، ويقدرون بـ٧٦ مليونًا، وتبلغ نسبتهم ١٤٪.

إضافة إلى ذلك تعيش أقليات يزيد عددها عن ٢,٨ مليون في تايلاند في فطاني وحول بانكوك، وعن ٢,١ مليون نسمة في بورما حول رانجون وماندلي، وعن المليون نسمة في سيرلانكا (سيلان) وفيتنام، كما توجد أقلية مسلمة يزيد عددها عن ثلاثة ملايين نسمة في سيبيريا.

كما ترتفع نسبة المسلمين في جورجيا (٩٠٠,٠٠٠)، وأرمينيا (٤٠٠,٠٠٠)، وسنغافورة (٤٠٠,٠٠٠)، وكامبوديا (١٢٠,٠٠٠)، ومنغوليا (١٥٠,٠٠٠)، والفلبين حيث يمثلون فيها ١١٪ من سكان البلاد البالغ عددهم أكثر من خمسين مليونًا ويعيشون في الجزر الجنوبية، ويُعْرَفُون باسم المورو. ويعيش في فورموزا نحو (٤٥٠٠٠)، وفي هونج كونج نحو (١٠,٠٠٠)، وفي اليابان نحو (٢٠,٠٠٠)، وفي كوريا الجنوبية نحو (٤,٠٠٠) مسلم.

---

(١) انظر ـ محمد علي البار ـ التركستان مساهمات وكفاح ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع.
(٢) العالم الإسلامي ـ محمود شاكر ـ الطبعة الثالثة ـ المكتب الإسلامي.

الأقليات المسلمة في قارة أفريقيا

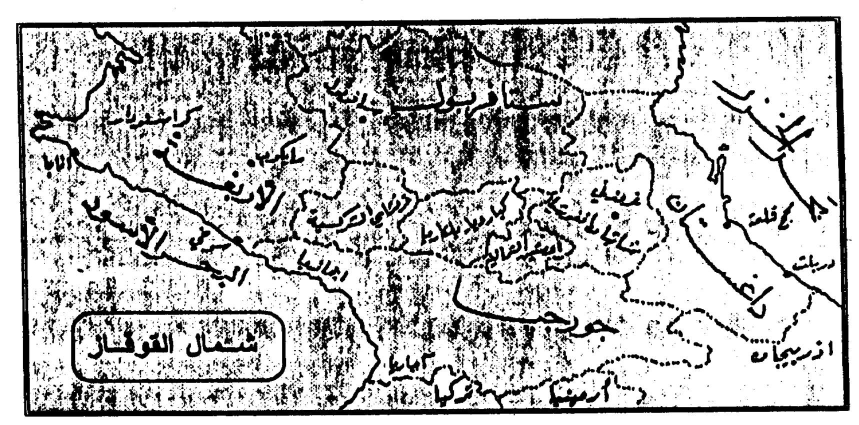


يعيش في أفريقيا نحو ٢٥ مليونًا من المسلمين خارج حدود العالم الإسلامي، ترتفع نسبتهم إلى أكثر من ٣٠٪ كما هو الحال في كينيا، وأوغندا، وملاوي، والجابون، وغينيا الاستوائية، وغانا، وليبريا، وتزيد نسبتهم عن ٢٥٪ في ملاجاش، وموزمبيق، وبوروندي.

م	الدولة	عدد المسلمين	نسبة المسلمين	م	الدولة	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	كينيا	٤,٢٠٠,٠٠٠	٣٥٪	٨	ليبيريا	١,٠٠٠,٠٠٠	٣٠٪
٢	أوغنده	٤,٤٠٠,٠٠٠	٤٠٪	٩	بوروندي	١,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٪
٣	غانا	٣,٠٠٠,٠٠٠	٣٠٪	١٠	أنجولا	٩٠٠,٠٠٠	١٥٪
٤	زائير	٢,٤٠٠,٠٠٠	١٠٪	١١	اتحاد جنوب أفريقيا	٤٠٠,٠٠٠	٢٪
٥	مالاجاش	١,٨٢٠,٠٠٠	٢٦٪	١٢	رواندا	٢٤٠,٠٠٠	٦٪
٦	مالاوي	١,٧٥٠,٠٠٠	٣٥٪	١٣	زامبيا	١٠٠,٠٠٠	٢٪
٧	موزامبيق	٢,١٠٠,٠٠٠	٣٠٪	١٤	موريشيوس	١٢٠,٠٠٠	٢٠٪

الأقليات المسلمة في قارة أوروبا

يزيد عدد المسلمين في أوروبا عن ٢٧ مليون نسمة، يمثلون نحو ٤٪ بالنسبة إلى جملة السكان في القارة، أما الأقليات فإن أكثرهم يقيم في جنوب شرق القارة في منطقة البلقان وحوض نهر الفولجا ومنطقة القفقاس والقوقاز.



م	الأقليات المسلمة في منطقة البلقان الدولة	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	صربيا	١,٤٥٠,٠٠٠	١٦٪
٢	البوسنة والهرسك	١,٤٢٣,٧٥٠	٣٣,٥٪
٣	مقدونيا	٣٨٧,٠٠٠	٢٢,٧٪
٤	بلغاريا	١,٥٠٠,٠٠٠	
٥	اليونان	٢٠٠,٠٠٠	
٦	مقدونيا	٣٨٧,٠٠٠	٢٢,٧٪
٧	الجبل الأسود	٧٥,٠٠٠	١٢,٥٪

م	الأقليات المسلمة في جمهوريات الفولجا* الدولة	عدد المسلمين	نسبة المسلمين
١	تتاريا	٣,٥٠٠,٠٠٠	٦٥٪
٢	باشكريا	٤,٠٠٠,٠٠٠	٦٠٪
٣	موردوف	١,٢٥٠,٠٠٠	٥٥٪
٤	أدمورت	١,٠٠٠,٠٠٠	٥٥٪
٥	ماري	٧٥٠,٠٠٠	٥٥٪
٦	جوفاش	١,٥٠٠,٠٠٠	٥٥٪
٧	القرم	٥,٢٥٠,٠٠٠	٦٠٪

* جمهوريات ذات استقلال ذاتي ترتبط بموسكو عدا جمهورية القرم والتي ترتبط بجمهورية أوكرانيا (كييف).

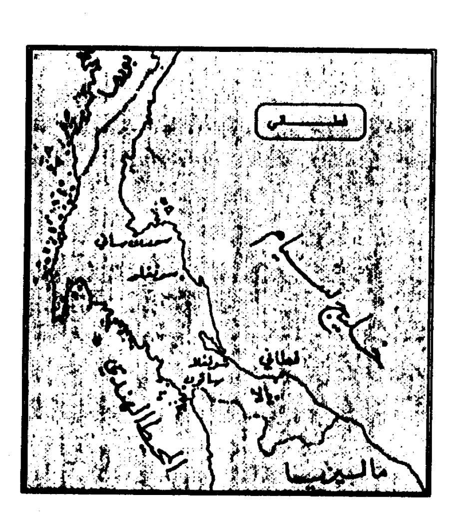
انتشر الإسلام في هذه المناطق خلال فترتين.

- الأولى في القرن الرابع الهجري حين انتشر في الفولجا بين البلغار على يد التجار والدعاة.
- والفترة الثانية في القرن السابع الهجري حين انتشر التتار ومعهم الإسلام.

كما لعب التوسع العثماني دوره في نشر الإسلام في جنوب شرق القارة، وشهد القرن السابع عشر الميلادي ذروة قوة العثمانيين حيث امتد سلطانهم غربًا حتى أبواب فيينا.

دخل الإسلام أوروبا عام ٧١١م عن طريق الأندلس، وأقام المسلمون في أسبانيا والبرتغال مدنيّة مزدهرة دامت ثمانية قرون، وفي عام ٨٢٧م تم فتح صقلية وحكَمَها المسلمون حوالي قرنين ونصف. كما دخل المسلمون جنوب إيطاليا، ولكن ذلك التوسع الإسلامي في أوروبا الغربية والجنوبية قد انحسر تحت الضغط المسيحي وحروب الإبادة التي شنها النصارى ضد المسلمين.

المسلمون في تايلاند



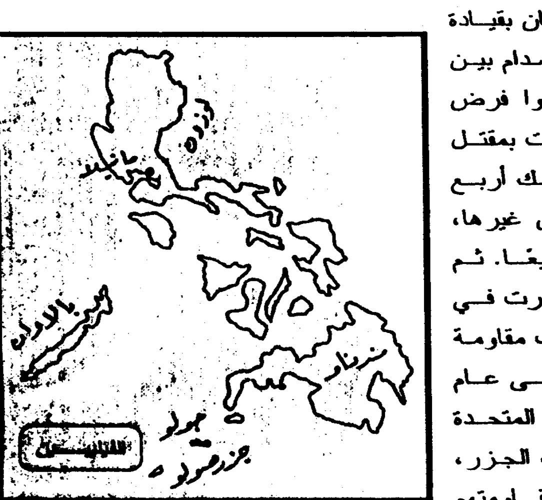
يتجمع المسلمون في تايلاند في منطقتين رئيسيتين هما: فطاني وحول بانكوك، ويزيد عددهم عن خمسة ملايين مسلم من مجموع سكان تايلاند البالغ عددهم نحو ٤٤ مليون نسمة، أي بنسبة تصل إلى ١٤٪ من عدد السكان، وتعمل الحكومة هناك على التقليل من عدد المسلمين حيث تدعي أن نسبتهم لا تتعدى ٤٪ فقط، ويدين معظم السكان ٨٤٪ في تايلاند بالبوذية وديانات أخرى.

اتبعت حكومة تايلاند سياسة لتغيير هوية المسلمين، واستخدمت لذلك العنف والإرهاب وحرب الإبادة مما أدى إلى قيام الثورة الإسلامية، ولكن الدولة قاومتها واغتالت قائد الثورة وأربعة من رفاقه عام ١٩٥٤م.

واستمر الصراع والثورة حتى تكونت جبهة تحرير فطاني (الجبهة الوطنية لتحرير فطاني) عام ١٩٦٠م، وبدأت كفاحها المسلح منذ سنة ١٩٦٦م لتقيم الدولة الإسلامية الحرة في تلك المنطقة، ومازالت ثورات هذه المناطق مستمرة رغم مواجهة الحكومة التي تستخدم قواها العسكرية بما فيها الطائرات والقصف المدفعي الشديد.

المسلمون في الفلبين

خاض المسلمون في الفلبين سلسلة من الثورات ضد الاستعمار، فقد كانوا يعيشون - قبل وصول الأسبان إلى بلادهم - في معظم جزر الفلبين البالغ عددها نحو سبعة آلاف جزيرة.



وقد كان وصول الأسبان بقيادة ماجلان هو بداية الصراع والصدام بين المسلمين والمستعمرين الذين حاولوا فرض سيطرتهم، ودارت معركة انتهت بمقتل ماجلان، وأرسلت أسبانيا بعد ذلك أربع حملات لم يكن مصيرها أفضل من غيرها، حيث قتل المسلمون أفرادها جميعًا. ثم أرسلت أسبانيا حملة كبيرة استقرت في إحدى الجزر الشمالية، واستمرت مقاومة المسلمين للاستعمار الأسباني حتى عام ١٩٠٠م، حيث خلفت الولايات المتحدة الأمريكية أسبانيا في استعمار تلك الجزر، ولكن المسلمين لم تتوقف مقاومتهم للاستعمار الجديد، واستمر القتال ٣٨ سنة عقدت بعدها الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة مع المسلمين، احترمت فيها دينهم وأسلوبهم في الحياة، حتى جاءت الحرب العالمية

الثانية، واحتلت الجيوش اليابانية الفلبين، فقاومها المسلمون حتى نالت الاستقلال. وبعد الحرب العالمية الثانية أخذ المستوى الثقافي والاجتماعي لمسلمي الفلبين يرتفع بفضل مجموعة من الجمعيات الإسلامية.

ولكن ذلك لم يستمر، فقد أخذت بعض الدول الأجنبية تشجع حركة التنصير وتهجير السكان، وزحف النصارى من الشمال إلى الجنوب نحو أراضي المسلمين، حيث قامت ثورة ١٩٧٢، وارتكبت حكومة الفلبين بتشجيع من الصليبية العالمية المرتبطة بها أفظع الجرائم، من قتل جماعي، وتهديم للمساجد. واستمرت ثورة المسلمين هناك مدة طويلة حيث اعتمدوا فيها على جيش كبير قوامه ٣٠ ألف مقاتل من المسلمين حتى اضطرت الحكومة إلى عقد مفاوضات مع المسلمين عام ١٩٧٦م وتم وقف إطلاق النار، على أن تُعطَى المناطق الإسلامية الثلاثة عشر في الجنوب الحكم الذاتي.

ولكن هذه الاتفاقية لم تُحترم من قِبَل الحكومة، مما أدى إلى تجدد القتال مرة أخرى عام ١٩٧٨م، ولا تزال الثورة مستمرة.

ويُعرف المسلمون في الفلبين باسم المورو، وهم يزدادون في الجزر الجنوبية حيث يعم الإسلام جزر صولو و(مندناو) و(بالاوان)، ويتكلمون بلغة تكتب بالأحرف العربية، وتعد اللغة العربية اللغة الثانية بعد الإنجليزية التي لا تزال اللغة الرسمية في البلاد كلها، ويمثل المسلمون ١١٪ من سكان البلاد البالغ عددهم ستين مليونًا، وللمسلمين جمعيات خاصة بهم تشرف على التعليم العربي، وقراءة القرآن، وترعى شئونهم.

الأقليات المسلمة في الأمريكتين والأقيانوسيا

١- في الولايات المتحدة

يُقدر عدد المسلمين في الولايات المتحدة بنحو ستة ملايين مسلم من أمريكيين ومستوطنين ومقيمين بشكل مؤقت، ويُشكل المسلمون السود منهم نسبة كبيرة وهم أصلاً من أفريقيا، حيث يصل عددهم حوالي المليون، ويبلغ عدد البلاليين وحدهم حوالي ربع مليون مسلم، وهم يتزايدون باستمرار، ويملكون حوالي سبعين مسجدًا، والمسلمون السود

في أمريكا يرون في الإسلام قوة تحرير لكرامة الإنسان ضد الاستغلال، وضد العبودية، والتمييز الطبقي العنصري. وأهم مناطق تجمع المسلمين بعامة في الولايات المتحدة هي:

(١) نيويورك حيث يوجد إلى جانب المسلمين السود جماعات تتارية وألبانية يزيد عددها على خمسة آلاف مسلم، يقيم أكثرهم في حي بروكلن.

(٢) شيكاغو وتقيم بها جالية إسلامية كبيرة تتألف من السوريين والفلسطينيين والألبان واليوغوسلاف والباكستانيين.

بالإضافة إلى مناطق تجمع أخرى في بعية الولايات الأمريكية، تفتقر إلى الكثير من الدعم الأدبي والمالي من العالم الإسلامي.

٢- في أمريكا الوسطى

يعيش في دول أمريكا الوسطى حوالي عشرين ألفًا يتناثرون في بلدانها المختلفة.

٣- في أمريكا الجنوبية

يعيش في دول أمريكا الجنوبية ما يقرب من أربعمائة ألف مسلم، وقيل أن السواحل الشمالية للقارة قد شهدت تجمعات مسلمة قبل معرفة الأوروبيين لتلك القارة بزمن طويل، أكدت ذلك الأبحاث والوثائق التاريخية المختلفة.

٤- في أوقيانوسيا

يعيش في مختلف دول القارة نحو مائتي ألف مسلم في استراليا ونيوزيلاندا وجزر فيجي، وكاليدونيا الجديدة، ويفتقرون إلى الدعاة ليأخذوا بيدهم إلى العقيدة السليمة.

نسبة المسلمين إلى سكان العالم

نستطيع أن نقول من واقع الإحصاءات إن عدد المسلمين التقديري يزيد على خُمْس سكان العالم، أي أن واحدًا من كل خمسة أشخاص في العالم يدين بالإسلام، كما يتضح لنا من متابعة معدلات النمو السكاني أن الإسلام أكثر الأديان نموًا عدديًا، خاصة وأن تقديرات الأمم المتحدة تؤكد أن أغلب مناطق العالم الإسلامي من أقاليم النمو السكاني السريع.

أكثريات إسلامية

(في دول تحت حكم غير إسلامي)

تضم هذه المجموعة دول تقع تحت حكم مسيحي، مثل نيجيريا وأثيوبيا وتانزانيا، وأخرى تقع تحت الحكم الهندوسي مثل كشمير.

١- نيجيريا

من أكبر أقطار القارة الأفريقية من حيث عدد السكان، إذ يبلغ عدد سكانها طبقًا لأحدث تقرير ١١٥ مليون نسمة (منتصف ١٩٩٠)، يمثل المسلمون فيها حوالي ٧٥٪ من السكان، ويفوقون كلاً من الوثنيين والمسيحيين على حدة، ويزيد عددهم على عدد المسلمين في مصر، ورغم أن المسلمين يمثلون أكثر من نصف عدد السكان، إلا أنهم لا يمثلون الثقل السياسي الرئيسي، بينما النصارى والوثنيين - وبدعم من الصليبية الحاقدة - تتركز في أيديهم السلطة في البلاد، فمنهم الحكام وكبار رجال الجيش ورجال الدولة!

٢- أثيوبيا

يُقدر عدد سكان أثيوبيا بنحو ٤٨,٣ مليون نسمة، ويمثل المسلمون أكثر من ٦٥٪ من عدد السكان، ومع ذلك فالمسلمون أقل ثِقلاً، وأبعد عن الحكم والنفوذ، وتتجاهل الحكومة المسيحية النصرانية أمر التعداد حتى لا تتأكد حقيقة الأغلبية المسلمة.

وترجح كفة النصارى الذين تتركز السلطة في أيديهم، وهم يتمتعون بالثروة الاقتصادية وارتفاع مستوى الدخل والمعيشة والتطور الحضاري والتعليمي، وبخاصة عندما كانت السلطة بيد الإمبراطور هيلاسلاسي، ولكن حتى عندما أزيل النظام الإمبراطوري وجاءت حكومة الانقلاب فقد استمرت في اتباع السياسة نفسها التي تجعل المسلمين في الحضيض، بل وتمادت أيضًا في سحق المسلمين.

٣- كشمير

ولاية إسلامية يقدر عدد المسلمين فيها بحوالي ١٢ مليون نسمة يمثلون حوالي ٨٥٪ من عدد السكان. وقد نشبت أزمة سيطرت الهند عليها منذ التقسيم عام ١٩٤٧، فقد كان المهراجا الحاكم يريد الانضمام إلى الهند، بينما الشعب المسلم يريد الانضمام لباكستان، وهي امتدادها الطبيعي.

ودارت معارك لم يُوقفها إلا تدخل الأمم المتحدة، وإعلان إجراء استفتاء محايد ليقرر الشعب الانضمام إلى الهند أو باكستان. ولكن الهند التي تدرك ماذا ستكون النتيجة واصلت السيطرة عليها، واعتبرت الجزء التابع لها من كشمير واحدًا من ولاياتها بينما لم تعترف باكستان بضمها إلى الهند. ولا يزال الشعب المسلم يرزح تحت نير الاحتلال الهندي وينتظر تقرير المصير.

والواقع أن كشمير امتداد طبيعي لباكستان، فهي ذات موقع استراتيجي عظيم، تنظر إليها باكستان باعتبار أن حياة السكان فيها تكون تحت رحمة الهند، وذلك لأنها تتحكم في نهر السند الذي تعتمد عليه، كما أن السيطرة على الممرات الجبلية التاريخية في كشمير يعرض أمن الباكستان للخطر في حالة أي غزو خارجي هندي.

المسلمون في الهند

يُشكل المسلمون في الهند أكبر أقلية مسلمة في العالم من حيث العدد، إذ يبلغ عددهم نحو ٧٦ مليون مسلم بنسبة ١٤٪ من مجموع السكان، وبالرغم من كثرة عدد المسلمين في الهند فلا يتمتعون بأي نوع من التأثير بسبب تشتتهم في المحيط الهندوكي.

وترتفع نسبة المسلمين في مناطق الشمال بين السند والبنغال، وفي السواحل الغربية التي كانت محطات لسفن الفاتحين، وتزداد النسبة كلما اتجهنا نحو الجنوب.

وهناك في الهند مراكز وجمعيات إسلامية ذات أهمية كبيرة، بالإضافة إلى جامعات كبيرة مثل الجامعة الإسلامية في عليكرة، والجامعة الإسلامية في دلهي.

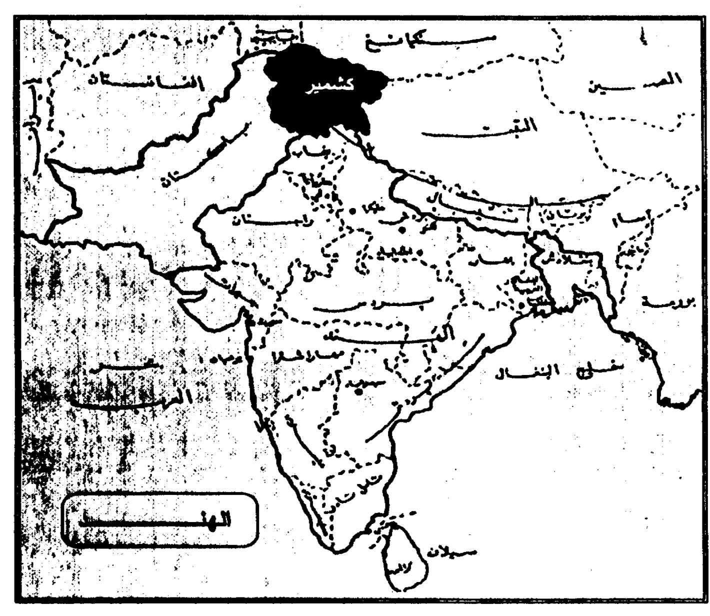
وقد دخل الإسلام إلى الهند عن طريق الفتح عام ٩٤هـ، (إذ دخلها محمد بن القاسم الثقفي من الجهة الشمالية الغربية)، وعن طريق التجارة والدعوة، وتعمق الإسلام في الهند أثناء حكم الغزنويين والمغول، ولولا المستعمرون الإنجليز الذين دخلوا البلاد ووقفوا في وجه الإسلام وحاربوه بكل وسيلة امتلكوها لعم الإسلام جميع الأرجاء، وأصبح أعظم قوة إسلامية في شبه القارة الهندية.

وتعاني هذه الملايين الكثيرة من المسلمين من اضطهاد الهندوس لهم، فتقوم الحروب والصراعات بينهم، والتي تنتج عنها الآلاف من الضحايا، والعديد من المذابح.

ويقوم الهنود بمحاربة الشعب المسلم في الهند كأمة ذات عقيدة وحضارة وثقافة، فقد كان دستور جمهورية الهند العلماني يكفل حرية العقيدة والديانة والثقافة لكل طائفة،

ولكن المؤسف أن واضعي المناهج الدراسية، والكتب المقررة للتعليم يتبنون ديانة الأكثرية وعقيدتها وشعائرها ومقدساتها وأساطيرها الدينية، مما يتنافى مع تعاليم الإسلام، ويخالف عقيدة التوحيد. وأعرض مؤلفوها عن تاريخ الشخصيات الإسلامية في العهود الإسلامية الزاهرة من ملوك ومشرعين وعلماء مع أنها من مفاخر الهند. وقد صارت هذه الكتب إجبارية في نظام التعليم لفرض دراستها على أبناء المسلمين وشبابهم، وأصبح ذلك مبعث قلق وحذر من المسلمين.

وكانت اللغة الأوردية التي تكتب بالحروف العربية لغة أكثر أهل الهند، وكانت اللغة الرسمية الثانية بعد الإنجليزية، ولكن سياسة الانجليز اقتضت تشجيع اللغة الهندية التي تُكتب بحروف سنسكريتية. فأُلغيت اللغة الأوردية كمادة دراسية وكأداة تعليم، وكان لذلك تأثيره على ثقافة المسلمين بما يتجاوز الثقافة إلى العقيدة والمستقبل الديني، لأن الأوردو هي الوسيلة الوحيدة التي تربطهم جميعًا بالثقافة الإسلامية، ومازال المسلمون يطالبون بإعادتها.



مطامع الهند الاستعمارية [1]

إن ولاية جامو وكشمير ولاية إسلامية، وجزء من العالم الإسلامي، وكان ينبغي وفقًا لقرار تقسيم شبه القارة الهندية سنة ١٩٤٧م أن تنضم هذه الولاية إلى باكستان، وذلك لأن ذلك القرار كان ينص على انضمام المناطق والولايات ذات الأغلبية الإسلامية إلى باكستان، وانضمام المناطق ذات الأغلبية غير الإسلامية إلى الهند.

ولكن الهند بعد موافقتها على ذلك دبرت المؤامرة للسيطرة على هذه الولاية لتجعلها قاعدة للمخططات والمؤامرات ضد العالم الإسلامي، وذلك لأنه منذ أول يوم من إنشائها والهند تهدف إلى أن تصبح دولة عالمية كبرى، وأن تسيطر على البلاد الإسلامية المجاورة من سنغافورة إلى قناة السويس، فهناك الكثير من التصريحات لقادة الهندوس التي تدل على مطامع الهند الاستعمارية ضد العالم الإسلامي. يقول رئيس وزراء الهند المؤسس بانديت جواهر لال نهرو في كتابه الشهير "اكتشاف الهند Discovery of India" عن مطامع الهند الاستعمارية: (إن الهند كما صنعتها الطبيعة لا يمكن لها أن تلعب في شئون العالم دورًا من الدرجة الثانية، فهي إما أن تعتبر من القوى الكبرى ذات الأهمية، وإما أن لا يكون لها وجود) ص٥٠.

ويقول الدبلوماسي الهندي الكبير الدكتور (ايس. آر. باتيل) والذي يُعتبر من المؤسسين للسياسة الخارجية الهندية في كتابه "السياسة الخارجية الهندية Foreign Policy of India" مفسرًا لذلك القول لبانديت جواهر لال نهرو: وهكذا بقيت أفغانستان لمدة طويلة جزءًا من الهند، وإن إيران مهمة جدًا للهند نظرًا لحاجتها إلى البترول في العصر الحاضر.. ولهذا فإن مصالح الهند تقتضي الاهتمام بهذه المناطق، وكذلك حاجة الهند إلى البترول تقتضي أن تهتم بالبلاد العربية أيضًا.".

تسعى الهند من أجل تحقيق هدفها إلى القضاء على الإسلام والحضارة الإسلامية والمسلمين في الولاية، لتحويل هذه الولاية الإسلامية إلى ولاية هندوسية، دينيًا وحضاريًا، وذلك على غرار النموذج الأسباني للقضاء على الإسلام والحضارة الإسلامية والمسلمين في الأندلس.

ومن أهم المخططات التي اختارتها الحكومة الهندية لتحقيق ذلك الهدف، هو تطبيق المنهج التعليمي الهندوسي للقضاء على الجيل المسلم الناشيء، عقيدةً وسلوكًا، وتدريب

---

(١) البروفيسور أليف الدين الترابي – جريدة العالم الإسلامي – العدد ١٤٤٤ في ٢٦ فبراير عام ١٩٩٦م، ٨ شوال ١٤١٦هـ.

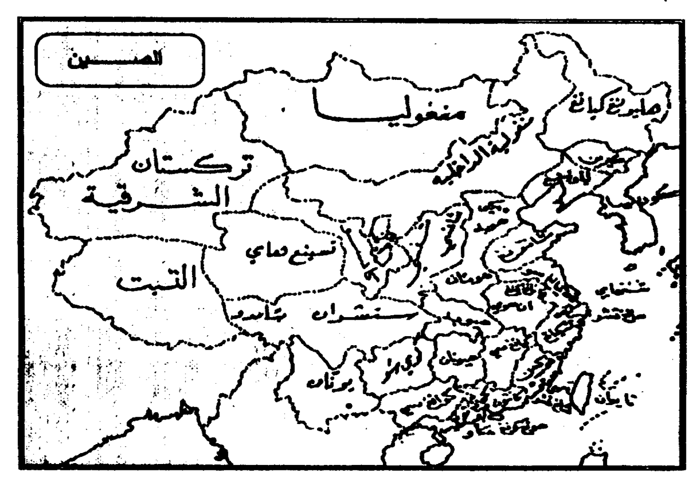
رجال الاستخبارات الهندية من السيخ والهندوس والبوذيين وتعيينهم كأئمة وخطباء في مساجد الولاية، ونشر الإباحية والفساد الخلقي، وترويج الخمر والمخدرات، وتشتيت كلمة المسلمين، وإيجاد قيادة مصطنعة في الولاية لتنفيذ هذه المخططات الهدامة.

المطامع الهندوسية الصهيونية

يقول بهارتا - رئيس اتحاد الشباب لعموم الهند - : [على شعب إسرائيل أن يعلم أن آلافًا من الهنادكة هم معهم في نضالهم]، ويقول الوزير الإسرائيلي السابق بنيامين نينتان: [إن الهند وإسرائيل يواجهان خطرًا مشتركًا هو الأصولية الإسلامية في كشمير وفلسطين، وإن إسرائيل ليس لديها قدرات هائلة في كيفية مواجهة الإرهاب الإسلامي، ونحن سعداء للتعاون مع الهند في هذا المجال، وقد بدأت الخطوات التنفيذية لذلك][1].

المسلمون في الصين

يبلغ عدد سكان الصين ١,١ مليار نسمة، ويمثل عدد المسلمين أكثر من ١٠٪ من مجموع السكان، ويعيشون في التركستان الشرقية التي يطلق عليها الصينيون مقاطعة سين كيانج يغور Sink Kiang Uigur، والتي من أشهر مدنها كشغر التي فتحها الفاتح المسلم قتيبة بن مسلم.



(١) مجلة المجتمع الكويتية - العدد ١١٩٤ في ٢٠ ذو القعدة ١٤١٦هـ، ٢ أبريل ١٩٩٦م.

وفي هذه المقاطعة قامت عدة ثورات إسلامية بسبب اضطهاد الحكومة لهم، انتهت بحصول المسلمين على الاستقلال الذاتي داخل الكيان الصيني.

كما يكثر المسلمون في ولاية كانسو التي تجاور التركستان الشرقية، حيث يقدر عددهم بنحو عشرة ملايين، وهم من المغول أحفاد جنكيز خان، وقد قاموا بثورات كثيرة ضد الحكام الصينيين الذين سعوا إلى تجزئة المناطق الإسلامية وإذابة بعضها في التجمعات الأخرى.

ويزيد المسلمون في ولاية يونان على عشرة ملايين مسلم يعانون من اضطهاد الحكم الشيوعي. وفي بكين العاصمة البالغ عدد سكانها نحو عشرة ملايين يوجد حوالي مليون مسلم، ويُذْكَر أنه كان في بكين وحدها أربعون مسجدًا، وكان فيها مدرسة إسلامية وجريدة إسلامية.

وهناك في الولايات الداخلية من الصين يعيش نحو ٣٠ مليون مسلم مبعثرين بين الملايين الأخرى من السكان.

وبعد أن خضعت الصين للحكم الشيوعي عقب الحرب العالمية الثانية، بدأت السلطة الشيوعية تنفذ خطتها المرسومة تجاه الإسلام والمسلمين تدريجيًا، حيث وضعت الدولة يدها على الأوقاف، ولم يعد للمساجد أو للمدارس الإسلامية دخل إذ كانت الأوقاف موردها الوحيد، فَحُرِمت منه وانتهى دورها.

كما أنشأت السلطات المعسكرات التي حشدت فيها شباب المسلمين رجالاً ونساءً للعمل معًا بهدف إفساد الشباب وإبعادهم عن دينهم. وقد قامت حركة عصيان في مدينة كشغر عام ١٩٥٧م احتجاجًا على إجبار الفتيات المسلمات على الحياة في المعسكرات مع الفتيان، ودارت معركة راح ضحيتها حوالي ٣٥٠٠ مسلم، كما اصطنع الحكام مناسبات مماثلة لاستثارة المسلمين ثم التصدي لهم وسحقهم.

وأثناء الثورة الثقافية في الصين، قام المسلمون بحركة واسعة في العاصمة بكين، فهاجموا مركزًا للشرطة بقوة تزيد على ٤٠٠ رجل مما أدى إلى اعتقال الزعماء المعروفين بعدائهم للشيوعية، والذين لقوا نحبهم في السجن.

المسلمون في الصين يضحون بقوتهم اليومي لبناء المساجد

كشفت التقارير الأخيرة الواردة من الصين أن الأقلية المسلمة هناك تدخر جانبًا من قوتها وأموالها لبناء المساجد، بعد صدور القرار الأخير الذي اتخذته السلطات الصينية، والذي يحظر بناء المساجد إلا بعد أخذ تصريحات رسمية ووفق الدعم الحكومي، وكان آخر المساجد التي تم بناؤها مسجد جونجي في إقليم يننجنشيا الفقير، والمعروف أن هذا الإقليم تقطنه أقلية مسلمة هي أقلية "هيو" التي تشكل ثلث سكان هذا الإقليم البالغ عددهم ٥,١ مليون نسمة، وتعيش هذه الأقلية أوضاعًا سيئة بسبب حالة الجفاف المستمرة منذ أربع سنوات، وقد اضطر السكان إلى التضحية بقوتهم اليومي لبناء هذا المسجد علىاعتبار أنه يشكل القبلة التي يتجهون إليها، وكان المسجد قد تم تدميره على يد أتباع ماوتسي تونج بعد إعلان الثورة الثقافية الصينية، التي كان من أهم مبادئها إلغاء القرآن وتدمير المساجد.



الفصل الثاني

جذور المؤامرة على الأمة

لماذا يتآمرون على الأمة الإسلامية

أدرك الغرب الصليبي أنه لم يكن من باب المصادفة أن يغدو المسلمون سادة العالم طوال حلقة كبيرة من حلقات تاريخه، ولم يكن من باب المصادفة أن تُصبح الدولة الإسلامية على مدى عدة قرون في العصور الوسطى أقوى دول العالم سياسيًا وحربيًا، وأعظمها حضارة ورقيًا، وأكثرها إبداعًا وخَلْقًا وابتكارًا.

أدرك الغرب أن هذه القوة، وتلك العظمة الخالدة قد تحققت نتيجة لما تمتع به العالم الإسلامي من إمكانات ضخمة، روحية وبشرية واقتصادية وغيرها، مما زوده بطاقة بنّاءة كبيرة، ساعدته على تحقيق تلك المكانة السامية.

هذه الإمكانات التي توفرت للعالم الإسلامي ليست بالمزايا المؤقتة التي تتغير بتغير الوقت ومرور الزمن، وإنما هي راسخة ثابتة، بعضها أصيل في بنية البشر، خالد في قلوبهم ونفوسهم وعقولهم، تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل، وبعضها الآخر تمتد جذوره بعيدًا في البيئة والأرض، مما يضمن للأمة الإسلامية بقاءً أبديًا، ورفعةً وازدهارًا.

الإمكانات الروحية للأمة الإسلامية

الإسلام عقيدة أنزلت بأمر الله حسب فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولا يجبر الإسلام الناس على اتباعه أو اعتناق عقيدة معينة، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وإنما يُطالب الحكام والمسؤولين بالسماح للدعوة الإسلامية في الانتشار، فمن قبلها من الناس فله شأنه، ومن رفضها فله رأيه. ومما لا شك فيه أن الناس إذا أعطوا هذا الخيار وهذه الحرية، فإنهم سيقبلون هذه الدعوة، ويدينون بالإسلام، إلا أن الظالمين من الحكام، وهم أكثر المسيطرين على العالم، يقفون في وجه

(١) البقرة ٢٥٦.

الدعوة، ويَحُولُونَ دون انتشارها، خوفًا على مصالحهم، وحرصًا على مراكزهم، لأن في سيادتها قضاء على نفوذهم، وانتهاء على تسلطهم، وهؤلاء هم الذين يُعلن الإسلام القتال ضدهم، والوقوف أمام طغيانهم.

قال تعالى: ﴿وَمَالَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ، فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

وفي مقابل القتال في سبيل الله، يحصل المسلم على السعادة في الدنيا بالتمكين له في الأرض، والنجاة من العذاب الأليم في الآخرة. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۞ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

الإسلام عقيدة انتشرت بالقوة على الظلم، كما انتشرت بالدعوة.. قَاتَلَ الظلم وشن الحرب على البعض، ذلك لأن الظلم عندما يتمادى لابد أن يُوقِف السيف من طغيانه.

الإسلام أخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل السماء، وأخرج الناس من الظلمات التي رانت على قلوبهم وأبعدتهم عن عبادة الله خالق البشر وخالق كل شيء.

الإسلام يدعو إلى وجود جماعة من المسلمين ذات معنويات عالية، وإيمان قوي، تحمل راية الجهاد، وترفع شعار القتال ضد الطغاة. قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]. وكان المسلمون وهم يدعون إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة يعتمدون في تحركهم على أن الإسلام تتمثل فيه كل القيم والمثل العليا المفعمة بطلب الخير لمصلحة الإنسانية جمعاء، وكل أحكام الإسلام وفضائله وتشريعاته وقرائنه تؤكد أنه الدين الأكثر انفتاحًا

(١) النساء ٧٥-٧٦.
(٢) الصف ١٠-١٣.
(٣) آل عمران ١٠٤.

على الناس، وأن رسالته مطلوب لها أن تشيع وتنتشر بين الناس لمصلحة كل الناس.

كان الجهاد الذي تدفعه الإمكانات الروحية والحماسة الدينية الجارفة وراء انطلاق الجيوش الإسلامية من شبه الجزيرة العربية، مكتسحة أكبر إمبراطوريتين كانتا تسيطران على أقدار الناس في فارس والعراق والشام ومصر، وتدق أبواب أوروبا وأواسط آسيا، وتُنازل أباطرة المسيحية والصليبية.

الإسلام ليس نهجًا للعبادة، وأسلوبًا لذكر الله فحسب، بل هو دستور للحياة بأوسع معانيها، وأرحب آفاقها الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية وغيرها. إن الإسلام جعل من المسلم لبنة بشرية صالحة لبناء المجتمع الناجح، فرسم له كيف يعيش، وكيف يتعامل مع الله ومع الناس، وكيف يفكر، وكيف ينجح، وكيف يُحسن الاستفادة من النعم العديدة التي أنعم بها الله عليه.

الإسلام هو الذي حمى الوطن الإسلامي في الشرق من هجمات التتار، وتحدى الزحف الصليبي. كافح التتار بقيادة شيخ الإسلام المعز بن عبدالسلام، والإمام أحمد بن تيميه، وقاوم الفرنسيين في الجزائر على يد بن باديس، وحارب الطليان في ليبيا على يد عمر المختار، ونازل الإنجليز في القنال وأقض مضاجعهم، على يد كتائب حسن البنا، ونازل العصابات الصهيونية في فلسطين المحتلة على يد كتائب عزالدين القَسّام.

الثقل السياسي والاقتصادي للأمة

١- العالم الإسلامي قوة سياسية لهاخطورتها، وقوة مميزة على الساحة الدولية، يرجع ذلك إلى موقعه المتميز علىخارطة العالم، وإلى ما لديه من إمكانات وثروات اقتصادية لا حدود لها، تتمثل في مصادر الطاقة، وثروات معدنية وزراعية وحيوانية، وقبل هذا وذاك ما يسمى بالصحوة الإسلامية، أو ما وصف بالبعث الجديد للمسلمين في العالم، المتمثل في إقبال الملايين من الشباب - فتيانًا وفتيات - في الغرب والشرق على الإسلام، وإقبال عدد كبير من المفكرين والعلماء في ديار الغرب على الإسلام، وتحول عدد من رؤساء الدول إلى الإسلام بعد دراسة فاحصة متأنية، وبحث جاد[1].

العالم الإسلامي قوة سياسية لها خطورتها وأهميتها في ميزان القوى العالمية،

---

(١) د. عادل طه يونس - العالم الإسلامي اليوم.

لأنه يتحكم في أهم الممرات المائية الملاحية في العالم، والتي تتمثل في:

(١) مضيق البسفور والدردنيل، اللذين يربطان البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط، ويتوسطهما بحر مرمرة تحت إشراف تركيا.

(٢) مضيق جبل طارق الذي يربط البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي، ويُشرف عليه المغرب من الجنوب.

(٣) مضيق هرمز الذي يربط الخليج العربي ببحر العرب والمحيط الهندي، وتُشرف عليه دول الخليج العربي.

(٤) مضيق ملقا الذي يقع بين ماليزيا الغربية وجزيرة سومطرة (أندونيسيا)، وتُشرف عليه ماليزيا وأندونيسيا.

(٥) قناة السويس التي تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر، والتي تمثل حلقة الاتصال البحري بين الشرق والغرب[1] وتقع داخل الأرض المصرية.

ولا تقتصر أهمية هذه الممرات البحرية والمضايق الاستراتيجية على النواحي الملاحية فقط، وإنما تمتد إلى النواحي السياسية والعسكرية أيضًا، لذلك بدأت الدول الكبرى تتصارع للسيطرة عليها.

٢- يحتل العالم الإسلامي المرتبة الأولى في الإنتاج النفطي في العالم، حيث ينتج نحو ثلث الإنتاج العالمي، كما يبلغ احتياطي البترول داخل أراضي الدول الإسلامية نحو ٦٣٪ من الاحتياطي العالمي للبترول. وتختص المملكة العربية السعودية وحدها بنحو ربع احتياطي البترول في العالم كله، كما أن منظمة الدول المصدرة للنفط - أوبيك - والتي تضم ١٣ دولة، وتُنتج أكثر من ثلث الإنتاج العالمي من البترول تشكل الدول الإسلامية غالبية أعضائها، حيث تضم المنظمة ١١ دولة إسلامية هي السعودية - الكويت - الإمارات العربية - قطر - ليبيا - الجزائر - إيران — أندونيسيا — نيجريا - جابون. بالإضافة إلى دولتين غير مسلمتين هما فنزويلا وإكوادور.

ينتج حوض الخليج العربي ما يقرب من ٦٨٪ من إنتاج العالم الإسلامي من النفط، وتُقَدِّم أحواض ليبيا والجزائر ومصر ونيجريا وسواحل خليج غينيا حولي ٢٠٪ من الإنتاج، كما تسهم منطقة بحر الخزر (قزوين) في أحواض باكو في

(١) جغرافية الدول الإسلامية - جوده حسنين جوده - على أحمد هارون - ص١٦.

أذربيجان، وحوض غروزني في الشيشان، وحوض نهر مايكوب وكوبان في شمال القفقاس الغربي، وحوض شبه جزيرة كيرتش في شبه جزيرة القرم، وحوض نهر الكاما في جمهورية تتاريا، وحوض نهر إمبا في جمهورية كازاكستان، وحوض بنيت داغ في جمهورية تركمانستان - تُعطي هذه المنطقة ما يقرب من ٩٪ من إنتاج العالم الإسلامي، بالإضافة إلى أندونيسيا في الشرق الأقصى فتنتج حوالي ٢,٥٪ من إنتاج العالم الإسلامي.

ولو أضفنا ما تُصِّر الشركات الأمريكية على عدم كشفه لارتفع إنتاج البلاد الإسلامية ولارتفع إحتياطيها.

٣- يمتلك العالم الإسلامي ثروات معدنية هائلة، كالحديد في موريتانيا وكازاكستان، والمنجنيز في قفقاسيا والمغرب، والكروم في تركيا وألبانيا وتتاريا وكازاكستان، والقصدير في أندونيسيا وماليزيا (تُقدمان نحو ٩٠٪ من إنتاج العالم الإسلامي الذي يعادل ٥٦٪ من الإنتاج العالمي)، كما يحتل العالم الإسلامي المرتبة الأولى في إنتاج فلزات الألمونيوم (البوكسيت) في أذربيجان وغينيا وكازاكستان وأندونيسيا. ويحتل المرتبة الثالثة في إنتاج الفوسفات، هذا بالإضافة إلى كميات أخرى من الذهب والماس واليورانيوم والكوبالت والنيكل والتنجستن وغيرها.

٤- يمتلك العالم الإسلامي إمكانات كبيرة من رؤوس الأموال المودعة في مصارف أوروبا وأمريكا، والأخرى المجمدة التي لا يستطيع توظيفها في التصنيع وسائر المشروعات الحيوية.

٥- يمتلك العالم الإسلامي موارد وثروات زراعية ورعوية وحيوانية متنوعة أسالت لعاب الغرب الصليبي الحاقد على الإسلام والمسلمين قرون طويلة. وهناك مساحات من الأفدنة والهكتارات التي تصل إلى الملايين من الأراضي الزراعية في السودان والعراق وليبيا وباكستان ومصر والجزيرة العربية، وهناك من الموارد المائية نهر النيل، دجلة والفرات، السند، وغيرها.

٦- تشكل مساحة العالم الإسلامي حوالي ربع اليابسة على الأرض، وهي على وجه الدقة تشكل نسبة ٢٣,٤٪ منها، إذ تبلغ ٣١,٧١٥,٣٩٣ كم^{٢}، وهو بهذه المساحة يفوق قليلاً مساحة القارة الأفريقية التي تُعد ثاني قارات العالم من حيث المساحة،

ويصل لأكثر من ثلاثة مرات ونصف من مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، وأكثر من ثلاثة مرات من مساحة قارة أوروبا.

ولا شك أن لسعة المساحة دور هام في زيادة الوزن السياسي للعالم الإسلامي، حيث تُعطي المساحة فرصًا متنوعةً بالنسبة للإنتاج، بالإضافة إلى ما تفرضه على العمليات العسكرية البرية، لذلك تؤكد الدراسات على أن المساحة ثروة تزداد أهميتها عادة إذا ما توفر لها العدد المناسب من السكان الذين يستغلون ما يتوفر فيها من موارد طبيعية.

الإمكانات البشرية

تُعد الثروة البشرية من الثروات الكبرى البناءة التي يمتلكها العالم الإسلامي ويعتز بها، ذلك أن الإنسان هو القوة الفعّالة في الإنتاج، سواء أكان هذا الإنتاج روحيًا أم فكريًا أم ماديًا. ومهما يتاح لوطن من الأوطان من إمكانات طبيعية وثروات، فالعبرة دائمًا بالبشر الذين يتوقف عليهم حسن استغلال هذه الإمكانات والإفادة منها، حيث تتحول هذه الثروات بفكر الإنسان وجهده ومثابرته إلى طاقة خلاقة تعود على الجميع بالخير والبركة.

واليوم يُقدّر عدد المسلمين بنحو ١,٢ مليار مسلم يمثلون نحو خُمس سكان العالم، ويعيش نحو نصف هذا العدد في المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربًا حتى حدود الصين وجزر الهند شرقًا، ومن تخوم البحر الأسود وبحر قزوين شمالاً، حتى المنطقة المدارية جنوبي خط الاستواء جنوبًا، وهذه هي المنطقة التي قامت بين جوانبها في الماضي الدولة الإسلامية.

أمّا بقية المسلمين فيعيشون مُوزَعين في مشارق الأرض ومغاربها على هيئة أقليات أو أكثريات تحكمها عناصر لا تدين بالإسلام.

هذه الإمكانات البشرية الضخمة التي تزعج الأعداء هي في مقدمة ما أنعم الله به سبحانه على هذه الأمة، لأنها هي القادرة على الإنتاج، وعلى العمل، وعلى الصمود أمام التيارات المضادة التي تعترض مسيرة هذه الأمة، التي شرفها الله عندما وصفها بأنها ﴿كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى

(١) آل عمران ١١٠.

النّاسِ﴾ [١].

ثم أنه لا يعيب الأمة الإسلامية من الناحية البشرية أنها تتألف من عناصر ذات أصول عرقية متباينة، عربية وفارسية، وتركية وكردية، وبربرية وتترية، وغيرهم، لأن هذا التباين الجنسي في حد ذاته هو مصدر من مصادر القوة، فقد أثبتت الدراسات الجنسية أن لكل جنس من الأجناس البشرية خصائص معينة، ومزايا في جانب محدد يتفوق بها على غيره، كما أن هذا يعني تعدد المواهب والصفات الفكرية والجسمانية والخلقية داخل هذه الأمة، وقد أوضح القرآن الكريم أن هذا التباين العرقي جاء لحكمة إلهية سامية، وأنه يشكل ميزة اجتماعية نافعة، إذ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [٢]، وفي الوقت نفسه جاء الإسلام ليخلق منها بناءً واحدًا متكاملاً مرصوصًا، يَشُدُّ بعضه بعضًا، لا فضل فيه لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

وقد حدث في تاريخ الأمة الإسلامية أنه عندما استنفذ العنصر العربي طاقته في بناء الدولة الإسلامية، نهض الفرس والبربر يكملوا المسيرة في بناء الدولة، وإبلاغ رسالة الإسلام إلى الشعوب المجاورة، فحملوا الإسلام إلى حدود الصين شرقًا وإلى غرب أفريقيا والأندلس غربًا. ولما تعرض قلب الوطن الإسلامي لهجمات الصليبيين والتتار، هب الأتراك والأكراد والتركمان للدفاع عن تراث الإسلام، وقاموا بدور مُشَرِّف يحفظه لهم التاريخ.

هذه الإمكانات البشرية الهائلة هي التي تُرهب أعداء الله في كل زمان ومكان.

قال الألماني "بول شيمتز" في كتابه "الإسلام قوة الغد": إن مقومات القوة في الشرق تنحصر في عوامل ثلاثة:

(١) في قوة الإسلام كدين، وفي الاعتقاد به، وفي مُثُلِه، وفي مؤاخاته بين مختلفي الجنس واللون والثقافة.

(٢) وفي وفرة مصادر الثروة الطبيعية في رقعة الشرق الإسلامي، الذي يمتد من المحيط الأطلسي على حدود مراكش غربًا إلى المحيط الهادي على حدود أندونيسيا شرقًا. وتهيىء هذه المصادر العديدة لوحدة اقتصادية سليمة

(١) البقرة ١٤٣.
(٢) الحجرات ١٣.

قوية، ولاكتفاء ذاتي لا يدع المسلمين في حاجة مطلقة إلى أوروبا أو إلى غيرها إذا ما تقاربوا وتعاونوا.

(٣) خصوبة النسل البشري لدى المسلمين، مما جعل قوتهم العددية متزايدة.

ثم قال: فإذا اجتمعت هذه القوى الثلاث، تآخى المسلمين على وحدة العقيدة، وتوحيد الله، وغطت ثروتهم الطبيعية حاجة تزايد عددهم، كان الخطر الإسلامي خطرًا منذرًا بفناء أوروبا، وبسيادة عالمية في منطقة هي مركز العالم كله...".

ثم يقترح لصد هذا الخطر الذي صوره ماحقًا لأمته: أن يتضامن الغرب المسيحي، شعوبًا وحكومات، ويعيدوا الحروب الصليبية في صورة أخرى ملائمة للعصر، ولكن في اسلوب نافذ حاسم [١].

ويقول روبرت بين في مقدمة كتابه السيف المقدس: "علينا أن ندرس العرب ونسبر أفكارهم، لأنهم حكموا العالم سابقًا، وربما عادوا إلى حكمه مرة أخرى، سيما والشعلة التي أضاءها محمد لا تزال مشتعلة بقوة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تطفأ، و لهذا ألفت هذا الكتاب لكي يقف القراء على أصل العرب، وسميته باسم السيف ذي النصلين، الذي ناله محمد في موقعة بدر، تذكارًا لانتصاره لأن السيف أصبح رمزًا لمطالب الإمبريالية [٢].

الأحوال التعليمية لسكان دول العالم الإسلامي

تؤكد الإحصاءات والتقديرات المأخوذة لدول العالم الإسلامي في منتصف عام ١٩٨٧م أن أكثر من ثلثي الدول الإسلامية تقل نسبة التعليم بها عن نصف مجموع سكانها البالغين، أي أن نسبة الأمية بها تزيد عن نصف عدد السكان في كل منها، ويمكن القول بأن نسبة الأمية في دول العالم الإسلامي ككل تبلغ نحو ٦٠٪، وهي نسبة متدنية بالمقارنة مع الدول المتقدمة التي تصل فيها نسبة التعليم إلى ٩٩٪، وحتى مع بعض الدول النامية في العالم الثالث مثل أوراجواي التي تصل نسبة المتعلمين فيها إلى ٩٤٪، والأرجنتين

(١) د. توفيق يوسف الواعي ـ نقلاً عن د. محمد عبدالغني شامه (من محاضرة للدكتور محمد البهي رحمه الله).

(٢) نفس المصدر نقلاً عن د. يوسف القرضاوي في بحثه عن الأمة الإسلامية.

٩٣٪، وسنغافوره ٨٣٪، وفنزويلا ٨٢٪ وغيرها.

ويرجع السبب في ارتفاع نسبة الأمية، ـــ وبالتالي انخفاض نسبة المتعلمين ـ في الدول الإسلامية إلى عوامل كثيرة منها وقوع تلك الدول لفترات طويلة تحت السيطرة الاستعمارية الغربية التي عملت بكل طاقاتها على انتشار الجهل والأمية بين أبناء المسلمين، حتى لا تخلق طبقة متعلمة تُطالب بالحقوق السياسية والاجتماعية للشعوب المستعمرة، وهو ما تخشاه الدول الاستعمارية دائمًا.

وفي الوقت الذي حَرَمَ الاستعمار أبناء المسلمين من تلقي العلم والتعليم، أعطاه لعدد من المسيحيين صاروا الآن المسيطرين والمتحكمين في أقدار الأغلبيات المسلمة في عدد كبير من الدول الأفريقية المسلمة بصفة خاصة، ومازال هذا الوضع مستمرًا حتى الآن في الدول التي بها أغلبية مسلمة مثل ساحل العاج، وسيراليون، والكاميرون، ونيجريا [١].

المدارس الأجنبية

في عام ١٨٥٩م نشر "دارون" - زعيم اللادينية وصاحب النصيب الأوفى في توجيه الأفكار إلى الإلحاد والزندقة - كتابه " أصل الأنواع The Oregin of Species "، وساق الحجج المختلفة القاصرة لإثبات نظريته.

ورغم أن أهل البصيرة والفكر لم تطمئن نفوسهم إلى هذه النظرية عندما عُرِضت، بل حتى لم يؤمن بها "هكسلي Huxley" أكبر دعاتها!! إلا أنه قد قُبِلَ بها في التعليم، واستخدموها كسلاح فتاك في محاربة الإسلام، وقام اليهود يروجون لها في كل مكان، ونشروها في مشارق الأرض ومغاربها.

وفي عام ١٨٨٢م توفي "دارون" وكرمته الكنيسة الإنجليزية بأعز ما عندها من تكريم لزعيم الطبقة التي حفرت للدين القبر.

أغلق الإنجليز المدارس الإسلامية في كل بلدان العالم الإسلامي التي احتلوها، وأنشأوا المدارس والكليات ذات الصبغة الإنجليزية، ووضعوا سياسة تعليمية هدفها الأخير إبعاد أبناء المسلمين عن الإسلام، بعد الارتواء من الثقافة الداروينية والتعليم اللاديني.

(١) العالم الإسلامي اليوم - عادل طه يونس - مكتبة ابن سينا.

تعلم أبناء المسلمين في هذه المدراس العلوم الغربية، فكان أول ما انطبعوا به أن تقلبت عقليتهم، وأنحرفت ميولهم ومنازعهم من الدين، لأنه كان من أول مؤثرات ذلك الجو المدرسي فيهم أن يقولوا آمنا لكل ما يعرض عليهم من أوروبا، وأن يُطَالبوا بالحجةِ والدليلِ لكل ما يُعْرَض عليهم من القرآن الكريم أو الحديث النبوي، أو من آثار أئمة الدين.

كانت العلوم الغربية التي تعلمها أبناء الأمة المسلمة في تلك المدارس والكليات مخالفة في أصولها وفروعها لأصول الأحكام الإسلامية وجزئياتها.. صورت لهم أن الدين مجرد عقيدة شخصية، لا علاقة لها بالحياة الإنسانية، وأن الوجود الإلهي ليس بشيء ثابت، كما أن الوحي شيء مُرتاب فيه. وصوروا لهم العبادات والأعمال - التي هي في الإسلام فرائض وواجبات - على أنها من تقاليد العصور المظلمة الجاهلة، مما لا فائدة منها في الوقت الراهن.

اكتسبت الأجيال في هذا التعليم الغربي غير الإسلامي أمورًا تتناقض وتتضاد مع تعاليم الإسلام في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والأخلاق، كان من نتيجة ذلك أن افتقد أبناء الأمة القدرة على النقد والتمييز، واعتبروا كل ما تعلموه من الغرب مقياس الصحة والصواب، ثم راحوا ينتقدون الإسلام بهذا المقياس مع علمهم الناقص، ونظرهم القاصر.. وكلما وجدوا في الإسلام اختلافًا مع الغرب حَمّلُوا الإسلام ما ليس فيه، بل أقبلوا على مبادئه وقوانينه يحرفونها عن وجهها، ويستبدلون بها مبادئ أخرى.

قد يقول قائل أن المسلمين نقلوا عن الغرب ما يفيد، ولكن هل الخسارة التي جرها هذا التعليم على دينهم وحضارتهم تعادلها أية منفعة أو فائدة!!

حرص الإنجليز - منذ أن وطئت أقدامهم أرض مصر - على أن يكون لهم حضورًا ثقافيًا أوربيًا. لذلك بدأ "كرومر" - المعتمد السامي البريطاني في مصر - في تنفيذ مشروعاته التغريبية والتي طُبقت تطبيقًا واسعًا في الإدارة المصرية، ولقيت من العناصر التي تلقت العلم في الغرب، - في فرنسا وإنجلترا خاصة - ترحيبًا واسعًا، حيث دعمت الأحزاب المصرية - خاصة حزب الأمة ثم حزب الوفد، وحزب الأحرار الدستوريين - هذا الحضور الثقافي الأوروبي الفعّال، ودعت إليه بحماسة منقطعة النظير.

كان طه حسين من تلك العناصر التي وقفت وراءها إدارة الاحتلال البريطاني في مصر وشجعتها وحمتها من ردود الفعل الشعبية، والتي تجلت خاصة في حملة التغريبيين على القواعد الإسلامية، والمعطيات الدينية، ليس بقصد إصلاحها وإنما بقصد نبذها نهائيًا من أجل إحلال الثقافة الغربية محلها.

كان من التغريبيين الذين وقفت وراءهم إدارة الاحتلال تدعمهم وتحميهم – مع طه حسين – أحمد لطفي السيد، وشبلي شميل، ومحمد حسين هيكل، وعلي عبدالرازق، ومحمود عزمي، ومنصور فهمي، وإسماعيل مظهر، عَبَّرُوا عن أفكارهم في كلية الآداب من الجامعة المصرية، وفي المنتديات، وفي عدد من الصحف والمجلات، ولقد انحصرت أفكارهم في:

- نبذ الشرق والعرب والإسلام، واللحاق مباشرة بالمدنية الغربية بكل حسناتها، وبكل سيئاتها، وأبرز من مثل هذا الاتجاه طه حسين وأحمد لطفي السيد، وسلامة موسى، ومحمود عزمي ، الذين ارتبط لديهم مفهوم التغريب بمفهوم القومية المصرية أو الفرعونية الضيق المعادي صراحة لكل انتماء عربي وإسلامي وشرقي، تاريخي أو ديني أو أدبي.
- الدعوة إلى الليبرالية التي تحرر فيها العقول من كل سلطة عقلية سابقة، وينظر إلى موضوعات المعرفة والمجتمع والإنسان نظرة عقلية متفردة مدعومة بالفكر الوضعي الخالص. وقد طبق طه حسين المنهج الديكارتي الليبرالي في جوهره في دراسته للأدب العربي الجاهلي، فقرأه قراءة متحررة من كل المعطيات الدينية السابقة، وانتهى إلى نتائج أخرجته عن حدود الاعتقاد الإسلامي.
- الدعوة إلى العلمانية التي تبلورت في الدعوة الصريحة إلى تأسيس الدولة على قواعد عصرية غربية ليس للدين الإسلامي فيها أي دور، أو بمعنى آخر: فصل الدين عن الدولة. وهي نفس الدعوة التي روج لها اللورد "كرومر" وجميع المفكرين المسيحيين العرب وَطَبَّقَتها عمليًا تركيا الكمالية حين ألغت الخلافة سنة ١٩٢٤م.

كان الخروج من الدائرة العربية والإسلامية خروجًا كاملاً أو شبه كامل يعني التبني الكامل للقيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمدنية الغربية، وفي الدعوة للارتباط

بأوروبا والتبعية لها.

كان طه حسين من كبار التغريبيين الذين اشتعلت رؤوسهم ذكاءً ونقدًا للمدنية العربية الإسلامية، بينما تقلص هذا الذكاء تقلصًا كاملاً بإزاء المدنية الغربية التي كانت تلاقي في عقر دارها في الفترة نفسها انتقادات لا ترحم.

تنكر طه حسين للمعطيات الدينية الإسلامية، وللثقافة التاريخية، واستبدل بها مرة واحدة، وبلا فحص، معطيات الغرب، ذلك لهزيمة نفسية ثقافية ألمت به لافتقاره إلى قوة في النفس، ونفاذ في الرؤية، وبعد في النظر.

عبّر طه حسين في المرحلة التغريبية الخالصة من حياته عن آرائه في كتاب مستقبل الثقافة في مصر الذي نشره في عام ١٩٣٨م، وقد اعتقد أن مستقبل مصر مرهون بأخذها بمثل الحضارة الإنسانية، وبالفضائل المدنية، والديموقراطية التي مثّلها الغرب في حياته الحديثة، وأنه لكي تصبح مصر جزءًا من العالم الحديث، أن تُصبِح جزءًا من أوروبا، وأن تسير سيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع قائلاً: "علينا أن نصبح أوروبيين في كل شيء، قابلين بما في ذلك من حسنات وسيئات".

كان يعتقد أن مصر تنتمي إلى الغرب لا إلى الشرق، وأن ما يربطها بالشرق من مصالح اقتصادية وسياسية هي مصالح عابرة وسطحية. وأن تاريخ مصر في تحقق دومًا مع اليونان من خلال الصلات الجوهرية بالمدنيات الغربية، وأن تطورها الحديث لابد أن يتم، بل ينبغي أن يتم داخل مدنية الغرب الحديث [1].

(١) د. فهمي جدعان، أسس التقدم - ص ٣٣٣.

جذور المؤامرة على التعليم

صوب الاستعمار والصهيونية سهامهم إلى قلب الأمة الإسلامية مصر، ثم إلى العالم الإسلامي، عن طريق إفساد التعليم في مناهجه، ثم إفساد المتعلمين في مفاهيمهم، والتشكيك في معتقدهم وقيمهم.

أفسدوا مناهج التعليم بتغيير وتبديل نظمها في البلاد الإسلامية بما يخدم أهداف الصليبية الحاقدة.

ونجح مخططهم في إبعاد الأزهر الشريف عن مكان القيادة بعد أن عزلوا رجاله وعلومه عن الحياة وعن التأثير والإيجابية في المجتمع.

كان ذلك بواسطة نفر من بني جلدتنا باءوا بغضب من الله ورسوله.!!

جذور المؤامرة على التعليم

في بلدان العالم الإسلامي

وصية لويس التاسع

أدرك الغرب الصليبي، أنه بالقضاء على قوة مصر، فقد قضى على قوة العالم الإسلامي، ذلك لمركزها الحيوي المؤثر في قلب العالم الإسلامي، وخطورة دورها وثقلها في العالم العربي. لذلك كان للصليبيين عناية خاصة بمصر بالذات، وبالقضاء على الإسلام فيها، فصوبوا السهام إليها، ووجهوا حملاتهم الصليبية نحوها.

جاء لويس التاسع بحملته الصليبية السابعة إلى مصر، ونزل دمياط عام ٦٤٧هـ - ١٢٤٩م، واستعد للزحف نحو القاهرة، وفي مدينة المنصورة هُزِمَ شر هزيمة، وأسره المصريون في دار ابن لقمان، وظل في السجن حتى افتداه قومه.

عاد لويس بعدها إلى عكا على الساحل الفلسطيني، وظل بها أربع سنوات حاك فيها المؤامرات بين الأمراء المسلمين للقضاء على وحدة كلمتهم، واتصل حينئذ بالمغول وفاوضهم عل تطويق العالم الإسلامي، ثم ذهب إلى تونس بعد ذلك، وهناك قُتِل لويس التاسع تاركًا لقومه وصية خطيرة قال فيها:

(إذا أردتم أن تهزموا المسلمين، فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده.. فقد هُزمتم أمامهم.. ولكن حاربوهم في عقيدتهم مكمن القوة فيها) [1].

استمع الصليبيون إلى النصيحة، وبدأوا يخططون لاقتلاع الإسلام من قلوب المسلمين، وصرفهم عن التمسك بالإسلام، والقضاء على مفهوم الجهاد الذي يُعطي المسلمين القوة القادرة على هزيمتهم.

بدأت الكنيسة الغربية تعمل جاهدة على إخراج المسلم من عقيدته الإسلامية، وصرفه عن دينه، وعن قرآنه، وقررت إعادة تشكيل الإسلام في قوالب غربية Westernization، أو عصرية Modernization، أو إصلاحية Reformation، وسعت إلى تخريب الشخصية الإسلامية وصياغتها على طراز جديد، فترجم القرآن،

---

(١) انظر إلى كتابات المفكر الإسلامي أنور الجندي والأستاذ محمد قطب.

ودرست اللغة العربية، كما درس الإسلام نفسه من حيث هو دين وتاريخ لامتصاص مافيه من قوة وجهاد.

كانت الحروب التي دارت رحاها بين المسلمين وأعدائهم في بلاد الأندلس حروبًا دينية ساهمت البابوية فيها أكبر مساهمة، ولما سقطت آخر دويلة إسلامية في الأندلس سنة ١٤٩٢م بعد معارك وحشية بين المسلمين والصليبيين، بارك البابا الانتصار الصليبي، وشجع الصليبيين على متابعة المسلمين لطردهم من بقية الممالك الإسلامية، فتدافعت قواتهم نحو الشرق يحركها الباعث الصليبي في رحلات استكشافية استهدفت سحق الإسلام في نفوس المسلمين، وحرمانهم من مصادر قوتهم لإضعافهم.

اندفع البرتغاليون والأسبان ومن وَرَائهم الهولنديون والإنجليز والفرنسيون، إنتقامًا من المسلمين الذين قدموا لهم نور العلم والحضارة في الأندلس، وكانت الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م على مصر، ثم الإنجليزية عام ١٨٠٧م.

حملة نابليون بونابرت

كانت حملة نابليون على مصر في القرن الثامن عشر (١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م) مؤشرًا لتكريس الحضور الصليبي الثقافي في قلب العالم العربي والإسلامي، كمدخل للتواجد السياسي، بل والعسكري في المنطقة، فقد كان للحملة النابليونية دور كبير في تهيئة المناخ الثقافي والسياسي للاستعمار في بلدان العالم الإسلامي.

قرر نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨م احتلال مصر، واتخاذها نقطة انطلاق لبناء إمبراطوريته الشرقية، وجاءت الحملة إلى الأسكندرية، ولما كان نابليون يعلم أن العدو اللدود الذي سيواجهه في غزوه للبلاد ليس جنود المماليك في مصر، وإنما الإسلام الذي هزم لويس التاسع في حملته على البلاد المصرية من قبل، لذلك كان أول عمل قام به أن أرسل إلى علماء الأزهر وشيوخه منشورًا ادعى فيه الإسلام، وأنه أكثر من المماليك في عبادته لله تعالى.

حاول نابليون استخدام علماء الأزهر ورجاله كأداة لكبح جماح الشعب المسلم في مصر، الذي أحس بخطورة الحملة، ولكنه فشل، وفشل في إخماد ثورة الجماهير الغاضبة عليه، لذلك قرر ضرب الجامع الأزهر بالقنابل، ودخلت خيوله الأزهر مركز قيادة

المصريين، ورمز سيادتهم، وتفرقت الجند في صحنه ومقصورته، وربطوا خيلهم في قبلته، وطرحوا الكتب والمصاحف على الأرض، وبأرجلهم ونعالهم داسوها.

ثار الشعب المسلم في مصر على الحملة، بعد أن أحس بخطر الكفار على دينه، واستحال بقاء الحملة الفرنسية، بعد أن قاد علماء الأزهر وشيوخه المقاومة الإسلامية، ومنذ ذلك اليوم بدأ أعداء الإسلام في تخطيط دؤوب لتدمير الإسلام بضرب التعليم الإسلامي وتجميده وتنحية الشريعة الإسلامية، وتحويل مسار الحياة في العالم الإسلامي.

كانت الحملة الفرنسية ركيزة الإنقضاض الأوروبي الصليبي على الشرق المسلم. بقيت الحملة ثلاث سنوات وثلاث شهور، ولم تكن لها نتيجة تُذكر من الوجهة الحربية، ولكن نتائجها السياسية والفكرية والأدبية والاقتصادية كان لها أعظم الآثار!!.

تخريب التعليم في النصف الأول من القرن التاسع عشر

المرحلة الأولى لتدمير الأزهر الشريف

فشلت الحملة الفرنسية التي جردها نابليون بونابرت على مصر ١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨-١٨٠١م، بعد أن تصدى لها الشعب المصري بقيادة علماء الأزهر وشيوخه، وبعد أن أعلن السلطان سليم الثالث سلطان الدولة العثمانية - التي كانت مصر إحدى ولاياتها - الجهاد الديني ضد الغزو الصليبي، وهب المسلمون في كل مكان للدفاع عن أرض مصر المسلمة، هبُوا كالرجل الواحد لنصرة الإسلام، واستجاب لدعوة الجهاد المسلمون في الحجاز والشام، وشمال أفريقيا، وشبه جزيرة البلقان، وأرسل السلطان العثماني حملة بحرية لقتال الفرنسيين، وأخرى برية لإجلائهم.

سياسة محمد علي باشا التعليمية

كان ضمن جنود الحملة التركية التي وصلت إلى مصر لإجلاء الحملة الفرنسية، رجلاً مُحبًا للزعامة، لم يحظ بتربية مدرسية صحيحة - هو محمد علي - أبدى مقدرة قتالية أكرهت الفرنسيين على الجلاء عن مصر عام ١٨٠١م، مما ساعده على الوثوب إلى القيادة.

كان محمد علي رجلاً خبيثًا، ذا أطماع واسعة، نجح في الوصول إلى موقع

السلطة، وأصبح حاكمًا لمصر بعد أن استغل ظروف البلاد الداخلية والاقتصادية، وتقرب من الشعب المصري، والعلماء، وأعلن أنه ضد ظلم الحكام، وضد الاستبداد، وظهر للجميع بصورة المنقذ للبلاد، لذلك سار إليه العلماء، وألبسوه لباس الولاية، بعد أن أخذوا عليه عهدًا أن لا يفعل شيئًا دون الرجوع إليهم، وبسبب تأييد العلماء له، أصدر السلطان العثماني أمرًا بتعيينه واليًا على مصر.

بعد أن اصبح محمد علي صاحب السلطان الشرعي في البلاد، بدأ في إزاحة القوى التي يمكن أن تقف في طريقه، وتنكر لمن ساندوه وبايعوه.

أدرك محمد علي فشل نابليون بونابرت، بكل وسائل الترغيب والترهيب في استمالة شيوخ الأزهر الشريف ورجاله، وأن الحملة الاستعمارية قد تحطمت على جدران الأزهر، قلعة الإسلام الحصينة، ومثابة الشرع والفقه في العالم الإسلامي، وأن الأزهر هو القوة الروحية الكبيرة التي يستمد منها الشعب قوته، فتبين له أن الرأي هو القضاء على هذا المصدر، مركز القيادة الدينية والسياسية، والنبع الذي تخرج منه كل الزعامات والقيادات، وأنّ ذلك كفيل بأن يجفف منابعها ويقضي عليها.

رأى محمد علي أن الأزهر قوة تعترض سبيل أطماعه وطموحاته البعيدة، فتنكر للعلماء الذين ساندوه ضد المماليك، وبايعوه على الولاية، فتخلص منهم الواحد تلو الآخر بأية وسيلة كانت، سواءً أكانت شريفة أم غير ذلك، بالإغراء، بالقتل، بالفتن، وأخيرًا قبض على الشيخ عمر مكرم نقيب الأشراف، ونفاه من القاهرة إلى أقصى شمال البلاد.

ثم بدأ محمد علي مسلسل التآمر على التعليم في مصر، فحول التعليم الإسلامي إلى تعليم علماني، لا يلتفت إلى الدين مطلقًا، ولا يعبأ به.

"كان محمد علي الذي اعتلى حكم مصر بعد خروج الفرنسيين، كنابليون بونابرت، كلاهما تحركه أهداف علمانية.. جاء نابليون إلى مصر يحمل معه أفكار الثورة الفرنسية، التي بلورت فكر أوروبا كله في القرن السابع عشر والثامن عشر، والقائم على أساس مبدأ دنيوي خالص يقوم على احترام عقل الإنسان وفكره، ذلك الإنسان الذي يكافح وينجح في حياته المادية الخالصة، ويُعلن عصيانه على الدين" (١).

(١) د. السيد أحمد فرج ـ جذور العلمانية ـ الوفاء للطباعة والنشر.

أنشأ محمد علي أول ما أنشأ من معاهد للتعليم على الأسلوب الأوربي ـ بعد أن أبدى إعجابه بالحضارة الأوربية إعجابًا شديدًا ـ مؤسسات تعليمية اصطبغت بالصبغة الأوربية، كانت لغة التدريس فيها اللغات الأجنبية ـ الإنجليزية والفرنسية ـ وكان يرى أن السير بخطى واسعة لتقليد أوروبا، والمشي على خطاها ومنهجها في الحياة أمرًا حيويًا وهامًا، فضرب عرض الحائط بالفكر الإسلامي والأعراف الإسلامية والمحرمات، وكل شيء يحجب تراثه الذي كانت أوروبا راضية عنه.

كانت وسيلة محمد علي في صبغ مصر المسلمة بالصبغة الأوربية هي التربية، والإعداد التعليمي، سواء أكان بالبعثات إلى الغرب، أو باستقدام الأجانب، أو باستبدال المدارس الدينية بمدارس أجنبية لا دينية، ومن أجل ذلك أرسل البعثات إلى أوروبا، إلى باريس وميلانو ولندن، واستعان بالخبراء الأجانب في فتح المدارس التجهيزية والحربية، ومدارس الطب والصيدلة والزراعة والهندسة، وأسند إدارتها للأوربيين الصليبيين.

انخدع محمد علي بالمناهج الأوربية، فوضعها لمدارس المسلمين، ونسي أن للمسلمين ميراثًا عظيمًا، ومناهج تفوق الغرب لو أحسن استعمالها وتجديدها.

لقد مهدت أوروبا ـ خاصة فرنسا ـ كيف تحكم مصر بعد خروج الفرنسيين منها، وكانت استمرارًا لخطة نابليون.

دخل محمد علي مصر باسم الإسلام، واختاره الشعب والعلماء باسم الإسلام، وبشرط الإسلام.. فأزاح الإسلام عن حركة الحياة، وأعلن أن الإسلام لا يَصلُح.

البعثات التعليمية إلى بلاد الغرب الصليبي

لما عجزت الحملة النابليونية في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي ـ بعد أن هزمتها القوة الإسلامية ـ عن تنفيذ مخططها الصليبي في مصر، بسبب اضطرارها إلى الرحيل، قام محمد علي ـ بعد أن احتوته فرنسا واحتضنته احتضانًا كاملاً ـ بتنفيذ ما عجزت الحملة عن تحقيقه، فأنشأت له جيشًا مدربًا على أحدث الأسلحة، وأسطولاً بحريًا على أحدث طراز، وشجعته على إرسال البعثات إلى أوروبا لينهلوا من العلم والفساد معًا، بدلاً من النهوض بالأزهر الشريف، معقل العلم والعلماء للعالم الإسلامي كله، والذي تخرج منه الأطباء والمهندسون، والرياضيون والفلكيون،

والفيزيائيون، والكيميائيون، أولئك الذين علموا العلم لأوروبا في وقت سادت الغرب الأوربي سحابة كثيفة من التأخر الحضاري، وبلغت فيه الحضارة الأوروبية درجة الحضيض [(١)].

كان محمد علي باشا عاملاً من عوامل النفوذ الفرنسي الصليبي، وأداة استعملها الغرب واليهود ضد الإسلام والمسلمين، حيث أرسل الشباب المسلم بأعداد متزايدة إلى أوروبا، وهم في سن الفتنة، غير محصنين ليكونوا بعد عودتهم بذور تغيير وإفساد في التربة المصرية، ثم ليؤثروا على المنطقة كلها، والأمة الإسلامية جميعًا [(٢)].

رفاعة الطهطاوي

كان ممن أرسلهم محمد علي مع البعثات التعليمية إلى بلاد الغرب رفاعة الطهطاوي، الشاب الأزهري الذي عاد من فرنسا عام ١٨٣١م بأفكار وبذور غربية على جانب كبير من الخطورة، ثم نثرها في تربة إسلامية ليأتي من بعده من تعهدها بالسقي والرعاية حتى نمت وترعرعت وضربت بجذورها في الأرض.

عاد الطهطاوي من فرنسا بعد أن خُدِعَ بحضارة الغرب، وانبهر بها، ليشيد بسياسة محمد علي التعليمية، ويؤيد اتجاهه نحو أوروبا الصليبية، وتجميده لدور الأزهر مثابة العلم والعلماء، وتحطيمه لعلماء الأزهر وشيوخه، وفتحه أبواب البلاد على مصراعيها للنفوذ الفرنسي التعليمي والثقافي والتربوي، والذي ظل ممتدًا ومؤثرًا إلى اليوم.

ولقد أصبح تأثر أعضاء البعثات بما شاهدوه في المجتمع الأوروبي واضح فيما كتبوه أثناء إقامتهم في أوربا أو بعد عودتهم منها.

قرر رفاعة الطهطاوي في كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" أن مَدَنيَّة أوروبا الحديثة تقوم على العقل، وتحقق النتائج نفسها التي تهدي إلى الدين (ومن زاول علم أصول الفقه وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التي وصلت عقول أهالي باقي الأمم المتمدنة إليها وجعلوها أساسًا لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم، قل أن تخرج عن تلك الأصول التي بنيت عليها الفروع الفقهية، التي

(١) انظر الأستاذ محمد قطب ـ واقعنا المعاصر ـ مؤسسة المدينة.
(٢) انظر د. عبدالستار فتح الله سعيد ـ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.

عليها مدار المعاملات، فما يُسمى عندنا بعلم أصول الفقه يشبه عندهم بالحقوق الطبيعية، أو النواميس الفطرية، وهي عبارة عن قواعد عقلية تحسينًا وتقبيحًا، ويؤسسون عليها أحكام المدَنيّة، وما نسميه بالعدل والإحسان، يعبرون عنه بالحرية والتسوية، وما يتمسك به أهل الإسلام من محبة الدين، والتولع بحمايته مما يفضلون به عن سائر الأمم في القوة والمنعة يسمونه محبة الوطن).

تكلم الطهطاوي في مقدمة كتابه "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية" عن حب الوطن والتعلق به، ووجوب الاهتمام بالمنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال، وأورد كثيراً من الأقوال المأثورة في حب الوطن، وبَيَّنَ أن الوطن جامعة تجمع بين ساكنيه على اختلاف الأديان"، فجميع ما يجب على المسلم للمسلم، يجب على أعضاء الوطن من حقوق بعضهم على بعض، لما بينهم من الأخوة الوطنية، فضلا عن الأخوة الدينية، فيجب أدبًا لمن يجمعهم وطن واحد التعاون على تحسين الوطن وتكميل نظافته، فيما يخص شرف الوطن وغناه وثروته، لأن الغنى إنما يتحصل من انتظام المعاملات، وتحصيل المنافع العمومية، وهي تكون بين أهل الوطن على السوية لانتفاعهم جميعًا بمزية النخوة الوطنية" [١].

ومن هنا نرى انبهار الشيخ رفاعة الطهطاوي بكل ما رآه في الغرب، ومهد من حيث يدري أو لا يدري لقبول التشريع الوضعي الذي يستند إلى العقل على قصوره، واستبدل بقانون السماء قانون البشر.. وفي كل رأي رآه أراد أن يقنع نفسه به أولاً ثم يقنع الناس به ويلبسه ثوبًا إسلاميًا ليخرجه إلى المجتمع المسلم، بدون حرج في نفسه أو أمام الناس، وذلك عندما أراد أن يُبرز حب الوطن والوطنية.. يؤيد ما يقول بأحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة، وكانت هذه الفكرة تقدمة غير مقصودة لفكرة القومية التي استشرى أوارها فيما بعد، وكانت وبالاً على المسلمين في أعز ما لديهم، فكانت المعول الرئيسي في هدم صرح الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م [٢].

عاد رفاعة من فرنسا متزودًا من شريعة أعداء أمته ودينه، ونفى أن يكون الاختلاط والتبرج داعيًا إلى الفساد، أو دليلاً على التساهل في العرض، وأكد على أن

---

(١) انظر د. محمد محمد حسين ـ الإسلام والحضارة الغربية

(٢) د. حمد صادق الجمال ـ اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر جـ١ دار عالم الكتب ص٤٧-٤٨.

الاختلاط بين الجنسين ليس داعيًا إلى الفساد، فقال: "إن نوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء، لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة والخسيسة، والتعود على محبة واحد دون غيره، وعدم التشريك في المحبة والالتئام بين الزوجين".

ودافع الطهطاوي عن مراقصة الرجال للنساء فقال: "إن الرقص عندهم فن من الفنون، وقد أشار إليه المسعودي في تاريخه المسمى بمروج الذهب، وهو نظير المصارعة في موازنة الأعضاء. والرقص والمصارعة مرجعهما شيء واحد يُعرف بالتأمل، ويتعلق بالرقص في فرنسا كل الناس".

وتحدث كذلك عن وحدة الفكر الإنساني فقال إن الفكر العربي أو الإسلامي رافد من روافده، وتناسى أن للفكر الإسلامي ذاتيته الخاصة التي لا تنصهر في الفكر البشري، ذلك لتركيبه الرباني.

أدت هذه السياسة التعليمية إلى فتح أبواب البلاد وإلى تدفق الأفكار والنظم الغربية المسيحية، التي اصطدمت بالإطار العقائدي الإسلامي وفككته، كما أدت إلى تفكك القوالب الاجتماعية والثقافية الإسلامية، واستيراد النظم والقوانين التي أحدثت هذا الانقلاب الجذري في حياة المسلمين.

أدت هذه السياسة إلى سريان موبقات الحضارة الأوربية في مجتمعات كانت تتميز بطابع خاص في أخلاقه وطباعه وعاداته الأساسية، التي غرسها الإسلام وأسسها القرآن.

إن إيفاد محمد علي البعثات لأوروبا، واستقدام الخبرات الأجنبية وفق مخطط صليبي أدى إلى طمس هوية مصر العربية الإسلامية.. وبعد ذلك يظن البعض أن محمد علي أراد بمصر خيرًا !!.

كان بناء المدارس الأجنبية، وإهمال التعليم الإسلامي، بمثابة انتكاسة لازلنا نعاني منها حتى اليوم.. فقد فتح محمد علي بوابة التغريب على مصراعيها على العالم الإسلامي، فأحل مبدأي "اللادينية" و"العقلانية" محل الهداية الدينية الإسلامية في الفكر والقانون والتربية.

لقد توهم رفاعة الطهطاوي وأمثاله ممن تربوا على موائد الكفار، أن الانحلال

الخلقي والفساد من ضرورات التحضر والمدنية، لذلك أصبحنا جزءًا من الحضارة الغربية في الفساد والفجور والتحلل بعد أن أخذنا المفاسد وتركنا الصحيح.. ظهر هذا في سلوك الناس، بعد أن استهوتهم مظاهر الحضارة.. فتهاونوا في الدين، وتكاسلوا عن أداء العبادات، ثم انهارت الفضائل تحت دعاوى المدنية الكاذبة.

أحدثت سياسة محمد علي التعليمية زلزالاً رهيبًا، نقض بنيان الأخلاق من قواعده، وكانت له نتائج بالغة السوء في كل نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية.. وما أشبه اليوم بالبارحة.

كانت هذه هي المرحلة الأولى من مراحل تخريب التعليم، بتدمير الأزهر الشريف، ذلك الطود الراسخ، والجبل الأشم الشامخ، الذي تكسرت عليه موجات الصليبيين واليهود.

السياسة التغريبية ومحنة التعليم في الأمة

كانت البعثات التعليمية الأولى التي أرسلها محمد علي باشا إلى بلاد الغرب الأوروبي بمثابة معاول هدم في صرح التعليم الإسلامي، حيث حدد مسار الأمة الإسلامية، وجلبت عليها الدمار والخراب، وأصابها بخلل في الفكر والأدب، والقيم والفنون والمعارف، وسائر المناهج السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

زعم هؤلاء النفر لكي يتقدم المجتمع المسلم، ويحقق ما حققته أوروبا من تقدم علمي وسياسي، فعليه أن يُعلن الحرب على الدين، ويعزل الإسلام عن قيادة المجتمع، وأن ينظم شئونه وفق رؤية علمانية لا دينية اتبعتها أوروبا،وأن ينقل الحضارة الأوروبية.. حلوها ومرها.. حسنها وسيئها.

حرصت تلك البعثات لدى عودتها إلى ديار الإسلام، على تنبيه الأمة إلى أوضاع أحدثت شرخًا في كيان الأمة المسلمة، وخللاً أصاب الأمة في الصميم، ولا زالت آثاره حية وفاعلة في مجتمعاتنا حتى اليوم، لأنها تمخضت عنها انحرافات خلفت انحطاطًا وضلالاً في الفكر والأخلاق، وتولد عنها كل ما لا يتلائم مع دين الأمة وتاريخها وتراثها.

أبناء محمد علي

بعد وفاة محمد علي، واصل أبناؤه مسيرة الانفتاح على الغرب، واحتضنت فرنسا

حفيده عباس بن طوسون عام ١٨٤٨م - الذي انصرف إلى اللهو وأهمل شؤون البلاد - وكان لا يتحرك إلا بمشورة القنصل الفرنسي، وبعد مقتله خلفه عمه محمد سعيد بن محمد علي عام ١٨٥٤م والذي نجح صديقه فرديناند دي ليسبس ابن قنصل فرنسا في الأسكندرية في الحصول منه على امتياز حفر قناة السويس، والذي أرادت به فرنسا تدعيم نفوذها في مصر والبلاد المسلمة.

أسهم سعيد باشا كثيرًا في تدهور التعليم، لإيمانه العميق بأن الأمة الجاهلة أسلس قيادًا من الأمة المتعلمة.

بعد وفاة محمد سعيد باشا عام ١٨٦٣م، استُدْعِى إسماعيل بن إبراهيم من فرنسا ليتولى حكم مصر، وكان إسماعيل سفيهًا، تربى في فرنسا، وصاغته صالونات باريس، وذابت في صدره كل حرارة للإسلام، أراد أورَبَة مصر وجعلها قطعة من أوروبا، فأسرف في بناء القصور، وإقامة التماثيل والحدائق والمسارح ودور الغناء، وأغرق مصر في الديون بعد أن أنفق الملايين في حفل افتتاح قناة السويس الذي دعا فيه ملوك أوروبا وأمرائها، واستقدم المغنيين والمغنيات واستأجر أشهر موسيقي أوروبا.

أقام إسماعيل باشا المحاكم المختلطة، والمحاكم الأهلية، التي كان أغلب قضاتها من الأجانب، يحكمون بشرائع فرنسية، نقلت عن القانون الفرنسي، هذه المحاكم التي امتد خطرها إلى السلطة التشريعية والقضائية، ونقلت الأمة من شريعة الإسلام إلى شرائع الكفار.

يقول الباحثون: "إن فترة حكم هذا الشاب السفيه ١٨٦٣-١٨٧٩م كانت من أخطر المراحل في تدمير الشخصية الإسلامية وإذابتها، وحل عروتها، وهدم شريعة الإسلام جملة هدمًا غير مسبوق في تاريخها. بل كان هذا الحاكم أول من تجرأ على هدمها بهذا القدر من الاستبدال والتأصيل والتثبيت لشرائع الكفار".

يذكر محمد طلعت حرب باشا - الاقتصادي المصري الشهير - أن إسماعيل باشا لما أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية، وعد ملوك أوروبا إن أيدوه من أجل تحقيق أهدافه، أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والحياة الاجتماعية، ويفصل الدين عن السياسة، ويطلق الحرية للنساء ولتسرن في أثر المرأة الأوروبية، وينقل إلى مصر معالم المدنية الغربية.

تلاقت رغبة حاكم مصر الخديو إسماعيل المبهور بالحضارة الغربية، برغبة أعداء الإسلام، فأنشأ مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي، أصبحت فيما بعد مصدرًا رئيسيًا لتخريج أجيال من أبناء المسلمين مقطوعة الصلة بشريعة الإسلام.. كان المتفوقون والقادرون من خريجيها يستكملون دراساتهم القانونية في جامعات فرنسا ومعاهدها، ويتتلمذون على أعلام القانون والتشريع فيها.. وكانت هذه المدرسة بحق من أكبر الوسائل الفكرية والعملية لتدعيم القانون الفرنسي الوافد والغريب على أمة الإسلام.

خرّجت هذه المدرسة طبقة قانونية من أبناء المسلمين، حلوا محل الأجانب في دوائر القضاء والتشريع، ثم تطورت هذه المدرسة وأمثالها حتى أصبحت كليات جامعية، توسعوا في مناهجها، وترجموا لها أمهات الكتب القانونية، ثم جاء الطور الأخير، وأصبح التعليم والتدوين القانوني غربيًا بحتًا يستمد جذوره وأصوله وشروحه الفقهية من القوانين والمصادر الأجنبية عامة، والفرنسية خاصة، وغدت هذه الكليات تقذف المجتمع المسلم في كل عام بألوف من خريجيها، وفتحوا الطريق أمامهم ليحتلوا مراكز أساسية في حياة أممهم كالقضاء والنيابة والمحاماة ولجان التشريع، وأصبحوا طبقة جديدة متميزة في قلب الأمة العربية، تقوم حياتها وأفكارها وثقافتها على أساس غربي وافد يحاد الشريعة، ويقوم على أنقاضها مهما تزيىّ بالأزياء الوطنية.

قال الدكتور **عبدالحليم محمود شيخ الأزهر** ـ رحمه الله ـ: "إن الأمر قد وصل إلى أن صاغوا خريجي كليات الحقوق في العالم الإسلامي بحيث لا يفهمون بعد الليسانس كتابًا عربيًا في المواد التشريعية، وليس الأمر بغريب "إن جدول التدريس في كليات الحقوق يخصص عشرين محاضرة في الأسبوع للقوانين الأوروبية، ومحاضرتين فقط للشريعة الإسلامية.. أترى لو أنشأنا هذه الكليات في فرنسا وانجلترا كانت تفعل أكثر من ذلك !! **هذه الكليات هي سر تخلفنا في التشريع**".

لقد أقام الإسلام مجتمعاته على أسس أخلاقية سامية، وتولت الشريعة الإسلامية تحديد هذه الأخلاق وحمايتها بعقوبات مقدره نص عليها القرآن الكريم والسنة المطهرة، واستقرت في المجتمع قرونًا طويلة تشكل أنماط السلوك للفرد والمجتمع، ثم يجيء القانون الوافد وتجيئ معه كل الموبقات الأوروبية، ليحل محل شريعة الله عز وجل، في ضبط حياة الأمم الإسلامية والسيطرة عليها وتوجيهها، وليهز أخلاقها من الأساس،

وليربط مصالح الناس الحيوية بشرائع الكفار التي أصبحت قوانين المجتمع.

ويصف المستشرق الإنجليزي (جب) هذا في كتابه وجهة الإسلام: "لقد أصبح المسلم العادي يجد أن الرجوع إلى الشريعة الإسلامية لا يغنيه شيئًا في كثير من مصاعب الحياة ومشكلاتها، ويجد نفسه خاضعًا لقانون مدني، قد لا يعلم له مصدرًا صحيحًا يستمد سلطانه منه، ولكن لا شك أن هذا القانون لا يستمد سلطانه من القرآن ولا من السنة الصحيحة".

هكذا أدت السياسة التغريبية التي انتهجتها أسرة محمد علي إلى ربط ـ قلب العالم الإسلامي وقبلته ـ بدائرة النفوذ الغربي، وتخريب الشخصية المسلمة التي اتجه ولاؤها إلى الغرب الصليبي، الذي أصبح اليوم قبلة الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية، بعد أن استدبروا تراثهم الأصيل وقرآنهم العظيم، وصاروا يعتزون ويفخرون بـــ Savini و Austin، في الوقت الذي يخجلون ويجهلون أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل ومالك رضي الله عنهم.

وهكذا أدت سياسة محمد علي وبنوه إلى تدفق الأفكار والنظم الغربية النصرانية التي أدت إلى أبشع صور التخريب في كيان الأمة المسلمة، ودمرت الأسس التي كان يقوم عليها المجتمع لعصور طويلة.

ولله الأمر من قبل ومن بعد.



المرأة المسلمة والسياسة التغريبية في التعليم والتربية

على الرغم من أن العَالِم الأزهري - رفاعة الطهطاوي - الذي أوفده محمد علي باشا حاكم مصر في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، على رأس إحدى بعثاته التعليمية إلى فرنسا كان مؤمنًا بأن ضلالات الحضارة الغربية تخالف القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية، وأنه استنكر تشريعاتهم المختلفة، يبدو ذلك في مطلع كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريس" في قوله: "ومن المعلوم أني لا أستحسن إلا ما لم يخالف الشريعة المحمدية"، وقوله: "ولا شك أن رسالة الرسل بالشرائع هي أصل التمدّن الحقيقي الذي يُعتد به، ويُلتفت إليه، وأن الذي جاء به الإسلام من أصول الأحكام، هو الذي مدَّنَ بلاد الدنيا على الإطلاق، وانبعثت منه أنوار الهدى في سائر الآفاق".

فإنه قال ذلك نظريًا ولم يمارسه عمليًا، وسار في اتجاه معاكس، حيث آمن بأن التمدن الأوروبي لابد من نقله إلى ديار الإسلام، وأن لتحقيق التقدم لابد من توثيق العلاقات بين الإسلام والغرب وتعزيز الرابطة الفكرية والتشريعية مع الغرب النصراني، ويلحظ المرء ذلك من نقله للقوانين والتشريعات الفرنسية الوضعية إلى ديار الإسلام، وحرصه على التقريب بين الأصول الإسلامية والأصول الغربية، وتأكيده في كتاباته على أن تمدن فرنسا حقيقة لا جدال فيها حيث يقول:

"لا ينكر معارفها إلا مَن لا إنصاف عنده ولا معرفة له"، وأن ذلك التمدن "يجب أن يكون من باب أولى في ديار الإسلام، وبلاد شريعة النبي محمد ﷺ".

وفي الوقت نفسه حرص الطهطاوي على تنبيه الأمة المسلمة إلى أوضاع المرأة الأوروبية، ومدى ما وصلت إليه، مما أدى في النهاية إلى أن استقر في أذهان البعض أن المرأة الأوروبية هي الأنموذج الحضاري والمثالي الذي ينبغي أن تحتذيه كل امرأة متحضرة.

هذه العملية التغريبية الكبرى للمرأة المسلمة في الفكر والسلوك التي بذر بذورها رفاعة الطهطاوي، والتي أدت فيما بعد إلى انتزاعها من منبتها الإسلامي، وجعلها تعيش في مناخ لا يمت إلى الإسلام بصلة في كثير من أحواله، جعلت - مسيو جومار - المشرف الفرنسي على شؤون البعثة التعليمية المصرية يعلن مبتهجًا بالمنهج الذي آمن به الطهطاوي فيقول:

"فمن المنتظر أن الخرافات الشرقية ستنمحي من عقولهم، وأن الحجب الكثيفة التي تغطي أعين الشرقيين وتقيدهم بسلاسل الطفولة ستسقط تدريجيًا"

قاسم أمين (١٢٧٩-١٣٢٦هـ/ ١٨٦٣-١٩٠٨م)

تستمر السياسة التغريبية، وتمضي قُدُمًا البعثات التعليمية إلى بلاد الغرب الصليبي، ويُبْتَعَث قاسم أمين إلى فرنسا ليستكمل تعليمه العالي، بعد أن تخرج من مدرسة الحقوق المصرية ذات المناهج الفرنسية، وينحى منحى التبعية الحضارية لأوروبا في آرائه واجتهاداته، ويدعو بنفس الدعوة التي دعا بها من قبل رفاعة الطهطاوي، عند عودته من فرنسا، وهي إعادة بناء أوضاع المرأة المسلمة وفقًا للأنموذج الأوروبي.

وعلى الرغم من أن قاسم أمين قد أكد في كتاباته واعترف بأن الإسلام "لم يعق التطور في الفكر الإنساني في أي ظرف من الظروف، ولم يمنع إزدهار العلوم والفنون، والاكتشافات الرائعة التي ازدانت بها القرون الماضية، والجدل العظيم الذي ألهب العقول في تلك العصور"، "وأن الشرع الإسلامي قد سبق كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة للرجل، فأعلن حريتها واستقلالها، يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم، وخولها كل حقوق الإنسان، واعتبرها كفاءة شرعية لا تنتقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية، من بيع وشراء، وهبة ووصية، من غير أن يتوقف تصرفها على إذن أبيها أو زوجها، وهذه المزايا لم تصل إلى اكتسابها حتى الآن بعض النساء الغربيات، وكلها تشهد على أن من أصول الشريعة السمحاء احترام المرأة والتسوية بينها وبين الرجل".

وعلى الرغم أيضًا أنه اعترف بأن السبيل الحائر فيه المجتمع المسلم لا يكون إلا بالتربية القويمة "وأن أول أساس يقوم ، بناء التربية الشريفة هو الأساس الديني، وأن الدين للإنسان هو الشيء الوحيد الذي يمثل بين يدي كل نفس صورة الكمال الحقيقي، وأن الإسلام هو أمل الأمة في مستقبلها، وكما منحها القوة في الماضي فإنه قادر على أن يمنحها نفس القوة اليوم "وأن الإسلام الذي ظل طويلاً يمثل القوة في الماضي، والنور في العالم كله، ما يزال يملك ذخيرة ثقافية، وعظمة خلقية تتيح له أن يصل حلقات السلسلة المحطومة، وأن يُعيد إيقاد الشعلات المنطفئة ".

على الرغم من مقولاته تلك كلها، نجد أنه يؤكد في نفس الوقت بأن طريق التقدم

والنهوض إنما يكون بتقليد أوروبا ومحاكاتها، وأنه لا يرى ثمة تعارضًا بين أن يُربى الناشئة على احترام الدين والإيمان به، وبين تربيتهم على احترام المدنية الأوربية، واحتقار المدنية الإسلامية وازدرائها، ورؤيتها مرضًا ينبغي التبرؤ منه.

يقول في كتابه (المصريون): "إن مصر تتحول إلى بلد أوروبي بطريقة تثير الدهشة، وقد أخذت إدارتها وأبنيتها وآثارها، وشوارعها، وعاداتها ولغتها وأدبها وذوقها، وثيابها تتسم كلها بطابع أوروبي.. إنها تهتم بكل ما تكتبه أوروبا أو تفعله..". لقد مضت في أثر حركة الحضارة الأوروبية التي تجتاح كل مكان، والتي تبدو استحالة مقاومتها، "إن في مصر قضاة ومحامين مستنيرين، يطبقون قانونًا منقولاً بالكامل من نابليون" يقول هذا على سبيل المفاخرة، ويؤكد على أن طريق التقدم والنهوض لا يكون إلا بتقليد أوروبا ومحاكاتها". فإذا تعلمت الأمة كما يتعلم مستعمروها، وسلكت في التربية مسالكهم، وأخذت في الأعمال مآخذهم، وتدرعت للكفاح بمثل ما تدرعوا به، أمكنها أن تعيش بجانبهم، بل يتيسر لها أن تسابقهم فتسبقهم".

في كتابه المرأة الجديدة

يرى أن المدنيّة الإسلامية داءًا ومرضًا "..ليس له من دواء إلا أننا نربي أولادنا على أن يعرفوا شؤون المدنية الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها".. وإذا أتى هذا الحين، ونرجوا ألا يكون بعيدًا.. انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس، وعرفنا قيمة التمدن الغربي".

عندما شاهد متحف اللوفر في باريس كتب يقول: "لعل أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المسلمة تأخرها في الفنون الجميلة.. التمثيل والتصوير والموسيقى، هذه الفنون ترمي جميعها إلى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الكمال والجمال، وإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور".

وفي المقارنة بين وضع المرأة في المدنية الأوروبية ووضعها في المدنية الإسلامية يقول: "..فالاختلاف بيننا وبين الغربيين منشؤه أن الغربيين فهموا طبيعة الإنسان واحترموا شخصيته، فمنحوا المرأة ما منحوا أنفسهم من الحقوق في جميع ما يتعلق بالحياة الخاصة، ولم ينازعها أحد منهم في حق التمتع بحريتها".

ثم يُضيف قاسم أمين قائلاً: "ونحن لا نستغرب أن المدنية الإسلامية أخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها، فليس خطؤها في ذلك أكبر من خطئها من كثير من الأمور الأخرى".

وفي المقارنة بين النظام الأسري في الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية يجد أن لا وجه للمقارنة إلا بين الفوضى الإسلامية والنظام الأوروبي، فيقول: "أين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الأوروبيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الأهلية؟ بل أين هي من القوانين اليونانية والرومانية التي لم تغفل في جميع أدوارها عن أهمية العائلة وشأنها في الهيئة الاجتماعية؟ فأي شأن من هذا يمكن أن يكون صالحًا لتحسين حالنا اليوم؟

أي أنه لم ير قاسم أمين في تاريخ التمدن الإسلامي سوى التخلف والضحالة، ويقول في موضع آخر: "ولا نر مانعًا من السير في تلك الطريق التي سبقتنا فيها الأمم الغربية، لأننا نشاهد أن الغربيين يظهر تقدمهم في المدنية يومًا بعد يوم، ونرى أن البلاد التي يتمتع فيها النساء بحريتهن وبجميع حقوقهن، هي التي تسير كالدليل أمام الأخرى، وتهديها في سبيل الكمال في المدينة". وفي حربه على الحجاب الإسلامي يقول:

"هل يظن المصريون أن رجال أوروبا مع أنهم بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغًا مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء واستخدامها على ما نشاهده بأعيننا، وأن تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والمعالي، وتُفضل الشرف على لذة الحياه، هل يظنون أن تلك العقول، وتلك النفوس التي نعجب بآثارها، يمكن أن يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها؟ هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا فيه خيرًا؟ كلا!".

ويعلق أحد الباحثين فيقول:

"ويسير على درب رفاعة الطهطاوي - الذي كان أول من لمس الحاجة إلى تربية المرأة متأثرًا بما شهد من أمر المرأة الأوروبية ــ آخرون قال عنهم النُقّاد أنهم خرجوا صراحة من حظيرة الإسلام، وأوردوا الأمة المسلمة موارد التهلكة..فقدوا الثقة في نفوسهم فقد وَلّدَ لديهم حبوطًا مفزعًا، كان من هؤلاء النفر: محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري (١٢٨١هـ -١٨٦٥م/ ١٣٣٣هـ -١٩١٧م)، وقاسم أمين (١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م/ ١٣٢٦هـ -١٩٠٨م.) والطاهر الحداد التونسي (١٣١٧هـ-١٨٩٩م/ ١٣٥٣هـ-١٩٣٥م).

محمد بن الخوجة الجزائري

يشكو ابن الخوجة من نساء المسلمين، ويُثني - في مقابل ذلك - على نساء الإفرنج، ويرى أنهن قد أخذن بلباب المعارف وتغذين بها، وبالعلم الذي هو أكمل مُهَذِّب وأجلُ مُؤَدِّب لنفوس الأمم، ومُعَدِّل للطباع والشيم، وهذا ما حُرمت منه نساء المسلمين، بحيث أصبحن عاجزات عن مجاراتهم في أي ميدان، وبحيث بلغن من الجهل ما جعلهن كالبهائم السارحة والأنعام.

كان ابن الخوجة حريصًا على نشدان العصرنة أو المدنية. ظهر ذلك واضحًا في كتابيه (الاكتراث في حقوق الإناث)، و(اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب). وكان حريصًا على أن يتحرك في دائرة محمد عبده.

أما قاسم أمين - العائد من باريس والذي كان معاصرًا لابن الخوجة - فقد مر في أفكاره النسائية بمرحلتين، الأولى لم تستغرق أكثر من سنة واحدة هي السنة التي نشر فيها كتابه الأول (تحرير المرأة) عام ١٨٩٩م، أما المرحلة الثانية فقد جاءت في السنة التالية في كتابه (المرأة الجديدة) عام ١٩٠٠م.

التزم قاسم أمين في كتابه الأول إلى حد ما بالأحكام الدينية، والمقررات النصية التي يشتمل عليها الإسلام - رأى ذلك البعض - أما البعض الآخر فقد هب للرد عليه أمثال **شيخ الإسلام مصطفى صبري في كتابه (قولي في المرأة)، ومحمد فريد وجدي في كتابه (المرأة المسلمة)، وطلعت باشا حرب في كتابيه (تربية المرأة والحجاب) و(القول الأخير في المرأة والحجاب) وغيرهم.**

يقول أحد المفكرين أنه لا شك أن قاسم أمين كان موقفه في (المرأة الجديدة) أضعف مما هو عليه في (تحرير المرأة)، وذلك بسبب خروجه من دائرة المعطيات الملموسة إلى دائرة التقريرات الحضارية والتمدنية التي لا يَسْهُل التأكد من حقيقتها، فضلاً عن التأكد من نتائجها، ثم أنه بتبنيه لإشكالية المرأة الغربية بحذافيرها ومفاهيم الحرية والتحرير قد سهل إصابته بسهام النقد.

يرى قاسم أمين في (تحرير المرأة) ص٨٠ أن الحجاب عادة عرضت على المسلمين من مخالطة بعض الأمم، فاستحسنوها وأخذوا بها، وبالغوا فيها، وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين، والدين منها براء.

إن المرأة التي تحافظ على شرفها وعفتها وتصون نفسها مما يوجب العار وهي مطلقة غير محجوبة لها من الفضل والأجر أضعاف ما يكون للمرأة المحجوبة، فإن عفة هذه قهرية، أما عفة تلك فهي اختيارية، والفرق كبير بينهما.

إني لا أقصد رفع الحجاب الآن دفعة واحدة، والنساء على ماهن عليه اليوم، فإن هذا الانقلاب ربما ينشأ عنه مفاسد جمة لا يتأتى معها الوصول إلى الغرض المطلوب.. وإنما الذي أميل إليه هو إعداد نفوس البنات في زمن الصبا إلى هذا التغيير، فَيُعَوَّدْنَ بالتدريج الاستقلال، ويُودَع فيهنّ الاعتقاد بأن العفة ملكة في النفس، لا في الثوب يختفي دونه الجسم، ثم يُعَوَّدنّ معاملة الرجال من أقارب وأجانب مع المحافظة على الحدود الشرعية وأصول الأدب تحت ملاحظة أوليائهن، عند ذلك يَسْهُل عليهن الاستمرار في معاملة الرجال بدون أدنى خطر يترتب على ذلك، إلا في أحوال مستثناه لا تخلو منها محجبة ولا بادية![1].

أنكر قاسم أمين أن تكون المدنية الإسلامية نموذجًا للكمال البشري، وقلل من شأن الإسهامات الإنسانية لهذه المدنية، وأعلى من شأن المدنية الغربية على نحو لا يخلو من الشطط.. ربط إشكالية المرأة المسلمة بإشكالية المرأة الغربية، وبإشكالية المدنية الغربية.

أكد قاسم أمين على أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المرأة الغربية، ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، فإنه "من المستحيل أن يقع إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسًا على العلوم العصرية الحديثة، وأن أحوال الإنسان مهما اختلفت وسواء كانت مادية أو أدبية خاضعة لسلطة العلم" ص١٨٥.

آمن قاسم أمين بواقعية التقدم أو الترقي كما يبدو في الغرب حيث تظهر روحه في جميع شؤون الأمة، في المسكن والمطعم والملبس والمباني والطرق والجمعيات والأفراح والمآتم وأساليب التعليم والتربية والتياترات والملاهي، وكذلك في العلوم والفنون، وفي جميع مظاهر الحياة العقلية والأدبية للأمة.

كما آمن بحق المرأة المسلمة في حرية الفكر والعمل تمامًا كنساء الغرب اللواتي يجابهن مشاكل عدة، ولا مانع في أن تمر النساء المسلمات في جميع الأدوار التي قطعتها

(١) قاسم أمين ـ تحرير المرأة ص١١٦.

النساء الغربيات.

ولقد انطوت أفكار قاسم أمين التحررية على ليبرالية مسرفة أدخلت المرأة المسلمة في متاهة يصعب التعرف على نهايتها.

إن الحضارة الغربية أصابت كلاً من الطهطاوي وقاسم أمين بفصام نفسي وحضاري، انتهى بتبعية حضارية وشعورية لأوروبا الكافرة.

باحثة البادية (ملك حفني ناصف)

وترد ملك حفني ناصف (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م- ١٣٣٧هـ/١٩١٨م) على أفكار قاسم أمين ونزعته التغريبية فتقول إن من العسف إصلاح المرأة من خلال الطرائق والأساليب التي خبرتها المرأة الأوروبية في إطار التطور الذاتي للمدنية الغربية.. إن قضية المرأة المسلمة ليست في حاجة إلا إلى عملية نقد اجتماعي رصين للعادات والتقاليد، وإلى تربية المرأة وتعليمها، أما رد مسألة التأخر برمتها إلى قضية السفور والحجاب كما يريد المتفرنجة فأمر مجاف للصواب وللواقع.

اتخذت باحثة البادية موقفًا وسطًا بين التقليد والتغريب، أو بين الحجاب الشرعي أو السفور المقيد والسفور (بحيث لا يكون اختلاطًا يبعث على الشطط، ويقينا من الإفرنج، ولا حبسًا يضايق الجسم والعقل ويضيع المصلحة. وإذا أنا لمت المنادين بالسفور فلأنهم متسرعون يريدون أن يقلبوا الكون دفعة واحدة، ولا يتريثون لنيل بغيتهم بالتدريج، وأكثر هؤلاء من الشبان المتفرنجين الذين يرون كل شيء غربي حسنًا لمحض كونه غربيًا، ولم تُحَنِّكْهُمْ التجارب. وليعلموا أن الانتقال الفجائي من حال لضدها شديد الضرر، وخيم العاقبة، ولو اتبعوا الحكمة وسلكوا مسلك الحذر بأن ارتقوا لمذهبهم درجة فدرجة ما صعب الانتقال إليه، وما لقوا المعارضة التي لقوها. إن مذهبي هو تربية الفتيات على آداب الدين والفضيلة، وتخفيف وطأة الحجاب عنهن مادمن لم يتزوجن حتى يتسنى للشباب رؤيتهن.. أريد تعويد الناشئات السفور إلى الحد الذي يبيحه الدين الإسلامي الشريف بغير شطط في تأويل معناه.. أما الاختلاط الغربي بلا حد ولا قيد والجري وراء الخلاعة والتهتك فمما لا أوافق جماعة المتفرنجين عليه أصلاً. وكفى أنه مذموم عند أهله،

فما بالك عندنا.) [١].

كانت باحثة البادية ترضى بالسفور الغربي ولكن على المدى البعيد، وتتفق مع قاسم أمين في أن السفور والحجاب ليسا من المسائل التي يمكن إبرامها من يوم أو مقالة، وأنها ستحل من نفسها لأنها كالثمر لها إبان للنضج.

وهذا ما دعى شيخ الإسلام "مصطفى صبري" إلى وصف فكرة التبرج المموهة هذه بأنها لا تقل خطرًا في رأيه عن فكرة الانتقال الفجائي من حيث إن الفرق بينهما ليس في النهاية إلا فرقًا زمنيًا للانعتاق من الشريعة الإسلامية "إذ ليس التدرج في السفور ولا الاستعداد له إلا تدريجًا في المفسدة، وإلا استعدادًا لما يجر إليه".[٢]

ويرى البعض أن "الباحثة" ربما كان لديها إحساسًا بأن خطر المدنية الغربية الداهم يمكن أن يبلغ في المستقبل درجة من التأثير، يَصعُب على المجتمع المصري الإسلامي أن يتغلب عليها، ويعسر على الحجاب مهما كانت صورته مقاومته طالما أن المجتمع عار من التربية الصالحة، والفضائل الدينية القوية الثابتة.

ويستدل البعض على ذلك من قولها بأن التقدم والتأخر للأمة ليسا مرهونين أو مرتبطين ارتباطًا عضويًا بمسألة الحجاب، وأن الربط بين المتقدم والسفور هو ربط مصطنع لا يخلو من قدر كبير من المبالغة والإسراف.

تقول "الباحثة": "فأما فريقهم الذين فتنتهم المدنية الغربية حتى خروا لها سُجّدًا، فتعليلهم لهذه المسألة من الغرابة بمكان. يقولون: إن الأمة متأخرة في الفنون الجميلة، متأخرة في الأدب القومية، متأخرة في كل شيء. نعم نحن نعترف معهم بذلك، ونسعى ونجد في إزالته، ولكن أليس من المدهش حقًا أن نعزو ذلك لتأخر الحجاب؟.. إن المسبحين بحمد أوروبا يعذرونهم في كل شر أتوه، وينظرون إلى كل شيء في وطنهم بعين المقت، ويعزون تأخر مصر الأدبي والمادي إلى النقاب؟ أترى لو كنا سافرات يوم ضرب الأسكندرية بالقنابل، أكان يرتد على أعقابهم المحتلون؟ وهل كان ينفع إشراق وجوهنا في تبرئة مظلومي دنشواي. قد يكون حجابنا مؤخرًا لنا بعض الشيء، ولكن لا

---

(١) آثار باحثة البادية (ملك حفني ناصف) ص٢١٨-٢٨٣ ـ المؤسسة المصرية العامة ـ مجدالدين حفني ناصف.

(٢) مصطفى صبري (شيخ الإسلام للدولة العثمانية) ـ قولي في المرأة ص٣٥ ـ المطبعة السلفية.

يصح أن ننسب كل تأخر له، وإلا فإن الأمم الغربية كلها سافرات فلماذا تجد إحداهن راقية جدًا والأخرى منحطة إلى الدرك الأسفل؟ إن تربية المرأة وحدها هو مدار فلاحها، وهو من أهم الأسباب لإعلاء شأن أمتها، ولا دخل لزيها في ذلك الإعلاء. ألم تكن نساء الأتراك المتنقبات أمهات الأتراك الأحرار الذين هزوا قلب العالم؟ نعم كن متنقبات ولكن تربيتهن غير تربيتنا.. فالمرأة لها أكبر يد في ترقية الأمم أو تأخرها، ولكن المدار على تربيتها النفسية والعقلية والجسمية، أما التنقيب والسفور فلا يعدمان أثرًا في تكوين أخلاق الأمة، ولكنهما ليسا كل شيء.. فتربية المرأة لا سفورها إذن هو الذي له الدخل الأكبر في تقدم الأمة. وبديهي أن الحجاب الشرعي إذا كان مدعومًا بالأخلاق لا يمكن أن يقف عائقًا في وجه التربية." (١)

نظيرة زين الدين

رحلت باحثة البادية في عام ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م، وجاءت نظيرة زين الدين عام ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م من بلاد الشام لتنشر كتابًا تدافع فيه عن حقوق المرأة، وبصورة خاصة عن حقها الشرعي والعقلي في السفور (السفور والحجاب).

ذهبت نظيرة زين الدين في هذا الكتاب إلى أن "الحجاب يورث نصف الأمة الشلل"، وأنه يحول دون تفوق الأمة وتقدمها، واعتبرت أن الوصول إلى أعلى سلم التقدم لا يكون إلا بالصعود درجة درجة، وأن أول درجة من سلم الرقي هو السفور.

أكدت نظيرة زين الدين أن الشرع والدين يقفان إلى جانبها.. لقد تابعت قاسم أمين في التقليل من شأن المدنية الإسلامية قائلة: إن الأمم التي نبذت الحجاب أمم راقية في العقل والمادة رقيًا ليس للأمم المتحجبة مثله. فالأمم السافرة هي التي اكتشفت بالبحث والتنقيب أسرار الطبيعة، وسخرت لإرادتها العناصر. أما الأمم المتحجبة فلم تكتشف سرًا، ولم تسخر لإرادتها عنصرًا، وإنما تتغنى بمجد مضى، وتقليد لها قديم، مستنيمة بذلك الغناء على الجمود".

(١) آثار باحثة البادية ص٢٧٥-٢٧٨.

الطاهر الحداد

وفي تونس جاء الطاهر الحداد (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م- ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م) ليتابع مسيرة ابن الخواجة وقاسم أمين وباحثة البادية ونظيرة زين الدين وهدى شعراوي.

تخطى الحداد من سبقوه على الدرب، ودفع دعاواه إلى حدود رأى بعض نقاده على أنها تخرجه صراحة من حظيرة الإسلام.

أصدر الحداد كتابه (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) عام ١٩٣٠م. أكد فيه أن الإسلام ليس هو المسؤول عن المصير البائس الذي انتهت إليه المرأة في المجتمع الإسلامي، وأن المسلمين أنفسهم - والفقهاء منهم خاصة - هم الذين يتحملون تبعة هذا البؤس، وذلك بسبب إنكارهم لقانون التغير الاجتماعي، ولضرورة التوفيق بين الشريعة والظروف المستجدة - وهو توفيق أثبته القرآن نفسه - وبسبب تعطيلهم لحركة الفقه الإسلامي تعطيلا قتل الحرف منه الروح، وألقى في قلوب الفقهاء أنفسهم حب الراحة، وخشية القلق، وشل عندهم كل استجابة للظروف المستجدة، وحبب إليهم الاختباء وراء الخطر المزعوم لكل محاولة اجتهاد جديدة.

قرر الطاهر الحداد أن أحكام الشريعة الثابتة ينبغي أن تتغير بتغير الظروف والمجتمع، ورأى أن الأحكام المتعلقة بالمرأة هي مما يمكن أن يغير ويبدل، وبأنه لا مانع نظرًا لتغير الظروف من تغيير نظام الإرث، ومن الاستبدال بعقوبة الزنا عقوبات وإجراءات جديدة، ومن حظر تعدد الزوجات.

كان هذا إبطالاً لأحكام القرآن القطعية الاجتماعية، وهدمًا لروح الدين الإسلامي، وجحودًا لبعض القرآن معادلاً للكفر به كله.

ولهذا رأى علماء تونس أمثال محمد الصالح بن مراد، وعمر البري المدني في الطاهر الحداد فردًا من شيعة طه حسين وسلامه موسى وأضرابهما من رؤسائهما الملحدين المستترين بدعوى التجديد والإصلاح.

الخلاصة

كانت هذه بعض معالم السياسة التغريبية التي أدت إلى تبعية حضارية وشعورية لأوروبا النصرانية، وأربكت العقل الإسلامي المعاصر، وشتت وعيه.

إن الإسلام لم يحذر من شيء قدر تحذيره من التبعية والتقليد لأعدائه، لأن للإسلام منهجه الأصيل، ونظرته الواضحة لكل أمر من أمور الحياة.

تحولت قضية المرأة المسلمة بسبب السياسة التغريبية التعليمية إلى مؤامرة رهيبة على البيت المسلم استهدفت تدميره من الأساس، وتحويل مساره إلى وجهة مضادة لم تحدث قط في تاريخ المسلمين، حتى في أشد فترات ضعفهم.

كانت أوضاع المرأة المسلمة في ديار الإسلام سيئة، وكانت تحتاج إلى التعليم والثقافة والدراسة.. وكما هو معلوم فإن تعليم المرأة أمر يحض عليه الإسلام، وهو واجب إسلامي، وفريضة إسلامية، ولكن بشرط ألا يكون مرتبطًا بالدعوة إلى التبرج والسفور، ونزع الحجاب، وبشرط ألا تختلط المرأة بالرجل، والفتيات بالفتيان في دور العلم، وألا تتأسى بأنموذج المرأة في ديار الغرب أو الشرق، بل تتأسى وتستلهم سيرة أمهات المؤمنين، ونساء الصدر الأول الأطهر، وتدرس كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ، لتعرف حقوقها وواجباتها، ودورها في خلافة الله في الأرض.

لقد بدأ الخلل محدودًا، ثم بدأ الخرق يتسع تبعًا لسياسة التغريب التعليمية، واتسع الانحراف يومًا بعد يوم.. كانت هذه السياسة وما جرته على التعليم من خلل نهضوي شرًا ووبالاً أوردت الأمة المسلمة موارد التهلكة، وأحلتها دار البوار، وأصابها في مقتل.

إن المجتمعات المسلمة تتميز بتكوين ديني وحضاري يختلف عن غيره من المجتمعات، ولقد علمنا الإسلام أن نقف من أنماط الفكر الوافدة على مجتمعاتنا موقف التعرف الصحيح عليها في ضوء قيمنا الإسلامية الصحيحة، لنأخذ منها النافع والضروري والإيجابي.

إن ثبات القيم في الإسلام لا يحول دون تلقي أحدث معطيات العصر في العلم والفكر والمعرفة، واستيعابها والترقي بها في مختلف مجالات النهضة والتقدم.

الإنجليز وتخريب التعليم في مصر

حين دخل الإنجليز مصر عام ١٨٢٢م حصروا جهودهم في صرف الناس عن التمسك بالإسلام، وكانت عنايتهم بإفساد الإسلام في مصر ـ أو بعبارة أخرى محاولة إخراج الشعب المصري من الإسلام ـ عناية شديدة، بذلوا في سبيل تحقيقها جهودًا كثيرة.

وقف جلادستون رئيس الوزارة البريطانية يومئذ في مجلس العموم البريطاني يقول مشيرًا إلى المصحف الشريف: "طالما هذا الكتاب في أيدي المصريين فلن يقر لنا قرار في هذه البلاد".

اهتم النصارى بمصر بالذات، وبالقضاء على الإسلام فيها بسبب مركزها الحيوي والمؤثر في قلب العالم الإسلامي، وبالذات بسبب وجود الأزهر الشريف فيها، مما جعلها دومًا مركز الإشعاع الروحي والثقافي للعالم الإسلامي كله.

اللورد كرومر والقس دنلوب

عين الإنجليز ـ اللورد كرومر ـ أول معتمد بريطاني في مصر، فسعى إلى تحقيق جميع أهداف المخطط الصليبي.

وضع كرومر سياسة تعليمية تهدف إلى القضاء على التعليم الإسلامي، وإبعاد المجتمع المصري عن كل ما هو عربي وإسلامي.. يقول المستشرق الألماني كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٧١٤: "إن أبرز ما تلام عليه إدارة اللورد كرومر لومًا كبيرًا، أنها لم ترصد غير اعتمادات هزيلة جدًا لتعليم الشعب، في حين خصصت أموالاً ضخمة للإنشاءات التي تنطوي على خدمة المصالح البريطانية، فمن سنة ١٨٨٢م إلى سنة ١٩٠٢م لم تبلغ الاعتمادات الخاصة بالتعليم نصف نفقات خزان أسوان.. وقد حاول خلفه اللورد لويد Loyed أن يلتمس له العذر فأشار إلى فقدان الوسائل الضرورية لذلك قائلاً: إنه لم يكن من هم للدولة المحتلة على كل حال إلا أن تفرض الثقافة البريطانية على البلاد، وليس من شك في أن هذه الثقافة ما كانت لتفيد المصريين إلا قليلاً.. ولكنها كانت خليقة بأن تخدم مصالح البريطانيين وتعزز ثقافتهم..".

عهد اللورد كرومر إلى القسيس دنلوب، بعد أن عينه مستشارًا لوزارة المعارف

المصرية، تنفيذ سياسة تعليمية يكون هدفها الأخير إبعاد المتعلمين عن الإسلام، وتغذيتهم بالأفكار المناهضة للمفاهيم الإسلامية، وتغذيتهم بروح الولاء للاستعمار البريطاني، وتربيتهم على السلوك الغربي القائم على التحلل من الضوابط الدينية، وتخريج أجيال تتقبل الأنظمة التي تزينها لها الدوائر الاستعمارية أو تفرضها عليها.

انتهج الإنجليز أسلوبًا بطيئًا باردًا في تحويل الناس عن الإسلام، وكان كرومر في صليبيته لا يقل عن نابليون، ولا يقل أيضًا في مقته للأزهر الشريف عنه، ولكنه اتبع أسلوبًا مغايرًا، حرص فيه أن يأتي بالنتائج المطلوبة دون أن يتيقظ فيه الشعب المصري إلى التغيير. يقول كرومر موضحًا سياسته: "إن مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد هي تثبيت دعائم الحضارة المسيحية إلى أقصى حد ممكن، بحيث تصبح هي أساس العلاقات بين الناس، وإن كان من الواجب – منعًا من إثارة الشكوك – ألا يعمل على تنصير المسلمين، وأن يرعى من منصبه الرسمي المظاهر الزائفة للدين الإسلامي، كالاحتفالات الدينية وماشابه ذلك".

لقد زعم اللورد كرومر بأن الإسلام كان سببًا للانحطاط الذي أصاب العرب والمسلمين في التاريخ، وأن الدين والمدنية ضدان، وأن من تمسك بأصول الدين فقد بَعُدَ عن التمدن والتحضر، لأن الدين عقبة في طريق التقدم، وعقبة في سبيل ترقي الأمم، وأن أية أمة تريد النهوض إلى المجد والارتفاع إلى العلا فعليها ترك الدين السماوي والتمسك بدين المدنية الحديثة، وأقرب دليل على ذلك هو فرنسا، تلك الدولة التي لم تبلغ ما بلغته إلا بعد أن نبذت الدين ظهريًا، ونفت رجاله من بلادها.

وفي موضع آخر يقول: "إن القرآن هو العقبة الكؤود في سبيل ارتقاء الأمم الإسلامية، والمسؤول عن تقهقرها، وأن المسيحية هي سبب الترقي المسيحي الأوروبي.

كانت تقارير كرومر في التعليم تؤكد على أن التعليم الذي يلقن في المدارس لا يجعل المصريين أكثر كفاءة للحكم الذاتي التام ما لم يُقرن ببعض الانقلاب والتغيير في أخلاق الأمة وسجاياها، وهذا الأمر لابد أن يكون السير فيه بطيئًا.

تدمير الأزهر الشريف

حين بدأ كرومر حكمه في مصر، بدأ يُخطط لتدمير الأزهر الشريف، وتجميد

التعليم الديني، وإنماء التعليم العلماني اللاديني، ذلك لأن الأزهر هو الذي قاد معظم الثورات الشعبية ضد المستبدين الطغاة، والمستعمرين الغزاة.

لذلك أعلن كرومر قائلاً: "لو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت خطوة جريئة جليلة الخطر، ولكن إذا بدأ هذا الأمر غير متيسر تحقيقه، يُصبح الأمل محصوراً في إصلاح التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر".

رفع الإنجليز شأن المدارس والجامعات العلمانية، وحجبوا رجال الأزهر، وجعلوا المناصب الكبرى في رجال وزارة المعارف، وقصروا الأزهر على الوعظ، ونجحوا في إنشاء نظام تعليمي مواز للأزهر له الطابع الغربي، تُشرف عليه وزارة المعارف لعزل الأجيال ثقافيًا ونفسيًا عن الإسلام.

اللغة العربية والتربية الإسلامية

قام الاستعمار الانجليزي بإغلاق المدارس، واتخذ من مديونية مصر سببًا لمناهضة التعليم الوطني، وحصر التعليم في أضيق نطاق، ثم صبغه بالصبغة الإنجليزية، فأصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة التدريس، متجاهلة المواد القومية الوطنية، والمواد الدينية، وكل ماله صلة بالإسلام.

بدأ القسيس دنلوب بضرب اللغة العربية ومناهج اللغة العربية، لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبيين حقدًا عليه، فجعل مدرس اللغة العربية في وضع مهين، يتقدمه سائر المعلمين في الراتب والتقدير والمكانة الاجتماعية، وموضع ازدراء وسخرية، مما جعل اللغة العربية موضع نفور من الجميع، بعد أن صار الناس يتحدثون عن جهل معلمي اللغة العربية، وتخلفهم وفقرهم، وانحطاط مستواهم الاجتماعي والفكري.

كما أصبح العناية والاهتمام باللغة العربية وآدابها غير واجبة، في الوقت الذي حازت فيه اللغة الإنجليزية كل العناية والاهتمام، ولم تعد اللغة العربية موضع اعتزاز بالنسبة لأبنائها كما كانت طيلة ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، وبدأ الدارسون لها يشكون من صعوبتها، ويتجهون إلى دراسة آداب اللغات الأخرى بعد أن هجروها، وأصبح دانتي وشكسبير، وفيكتور هوجو وأندريه جيد، وأناتول فرانس مثار إعجاب المثقفين المصريين، بدلاً من البُحتري والمتنبي وامرؤ القيس.

وهكذا نجح القس دنلوب في صرف النـاس عن لغـة القرآن، وصرف الأمـة عن تراثها الخالد.

وفي التربيـة الإسلامية والمـواد الدينيـة، كـانت دروس التربيـة الإسلامية والعلوم الإسلامية في سياسة دنلوب أشد سوءًا، يقوم بتدريسها أكبر المدرسين سنًا، ليقترن درس الدين في نفوس الطلاب بالعجز والفناء والضيق والضجر والرغبة في الانفلات، ولما كان درس الدين يُقدم للطلاب في نهاية اليوم الدراسي، فقد أصبح عديم الأثر والجدوى، في الوقت الذي كان درس الدين المسيحي يُدرّس في الصباح الباكر في كنيسـة المدرسـة، في جو تسود فيه الفرحة والبهجة بين الطلاب النصارى.

كما أصبح الدين الإسلامي يُدَرّس كمجوعة من النصوص تُلقَى لِتُحفظ حفظًا وتُستَظهر بلا حركة ولا حياة ولا روح، ولهذا أصبح درس الدين ميتًا في طريقة تدريسه، ولأنه يدرس على الطريقة الغربية التي فصلت الدين عن العلم، وفصلته عن الحياه، ونجح دنلوب في جعل الدين الإسلامي مادة هامشية في حس الطلاب، ليس لها اعتبار في تربية أجيال الأمة.

التاريخ الإسلامي

حرص المستشار الإنجليزي لوزارة المعارف المصرية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ـ القس دنلوب ـ على فصل الأجيال المسلمة عن تراثها الحق، وتاريخها ، روحيًا وذهنيًا، بطمس أمجاد الإسلام والمسلمين، وإخفاء الحركة العلمية الإسلامية الهائلة التي نشرت نورها في الأرض، وتعلمت منها أوروبا حين بدأت نهضتها الحديثة نتيجة احتكاكها بالمسلمين رغم عداوتها للإسلام، ومحاربتها للمسلمين.

وفي الوقت الذي حرصت فيه سياسة ـ دنلوب ـ التعليمية على توجيه الطلاب إلى أوروبا على أنها هي العلم والحضارة، وهي الديموقراطية وحقوق الإنسان، والتقدم الصناعي، أخفت على الطلاب الاستعمار الأوروبي وفظائعه وسوآته، واستعباده الأحرار، ونبذه الدين عن كل مجالات الحياه، ونشره الفساد في الأرض، وإتلافه كل القيم الفاضلة التي يعيش عليها الإنسان، وأيضًا البواعث الصليبية التي حركت أوروبا نحو العالم الإسلامي.

ركز دنلوب على أن التاريخ الإسلامي هو التاريخ السياسي للمسلمين، وأن بدايته تبدأ من حقبة ما بعد البعثة المحمدية، فجرده من محتواه الشامل، محتواه العقدي والفكري والحضاري والعلمي والاجتماعي، وحصره في النزاعات السياسية بين الحكام ومؤامرات القتل والاغتيال، ودس السم والفتك بالسياسيين، وهو يعلم أن الجانب السياسي من تاريخ المسلمين هو أسوأ ما في تاريخهم، وأنه كان خطًا أسود في صفحة يغلب عليها البياض.

تناسى دنلوب أن التاريخ الإسلامي هو تاريخ دين وعقيدة، قبل أن يكون تاريخ دول وكيانات ومعارك ونظم سياسية، وأنه دراسة قبل كل شيء في أحوال الإنسان وحركته على هذه الأرض، ومعاملاته مع الحق سبحانه وتعالى، ومدى استقامته أو انحرافه عن المنهج الرباني الذي جاءت به الرسل صلوات الله عليهم، وأيضًا تفاعله مع الكون من حوله، ومدى استفادته مما سُخر الله له من المخلوقات، وما أعطاه من المواهب والقدرات.

حرص دنلوب على أن تُكتب موضوعات التاريخ لأبناء الأمة الإسلامية وفق منظورات ومناهج غير إسلامية، لا تعرض فيه الموضوعات وفق منهج علمي صحيح منبثق من التصور الإسلامي والعقيدة الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة. ويتناسى فيه دور أنبياء الله ورُسُله صلوات الله عليهم.

فصل دنلوب بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية في مناهج التعليم، فنشأت الأجيال من خريجي الجامعات، وأساتذة التاريخ، وهم لا يشعرون بأية صلة تربط التاريخ بأحكام الإسلام، وتفصل بين الدين والحياة، فكانت الهزيمة الروحية أمام الحضارة الغربية، وعدم الاعتزاز بالإسلام، وعدم تحقيق مفهوم الولاء والبراء. وهكذا قُدِّمَ التاريخ الإسلامي، وكذلك التاريخ الأوروبي بصورة مشوهة وكاذبة، وكانت هذه بعض ملامح سياسة دنلوب التعليمية، والتي مازالت سارية المفعول تنخر في جسد الأمة.

كان التعليم في مصر قبل الاحتلال البريطاني والغزو الصليبي، إسلاميٌ في أساسه، يتمثل في الأزهر الشريف ومعاهده الدينية، وكان الانتساب إلى الأزهر شرفًا تتسابق إليه الأسر المصرية. وكان دنلوب أداة النفوذ الأجنبي في تغيير التعليم من أسلوبه الإسلامي إلى الأسلوب العلماني الذي مازال ساريًا مع العالم الإسلامي إلى اليوم.

سياسة دنلوب التعليمية في بلدان المسلمين

تختلف دول الغرب الصليبي فيما بينها اختلافًا قد يصل إلى حروب طاحنة فيما بينها، في الوقت الذي يكون فيه اتفاقهم كاملاً وموحدًا ضد الإسلام والمسلمين، لذا كانت مخططاتهم ومؤامراتهم متشابهة في بلدان العالم الإسلامي.

في الهند

فتح المسلمون الهند وانتشر بها الإسلام، وتطورت الحوادث، وجاء الإنجليز إلى شبه القارة الهندية وشددوا حكمهم للبلاد، وشعروا بصعوبة مراس هذه الأمة، فحاربوا المسلمين، وعملوا على إضعافهم، وصرحوا بعداوتهم للمسلمين، صرح لورد ألنبرو Ellenborough قائلاً:

> ليس في وسعي أن أغمض عيني عن اليقين بأن هذا العنصر الإسلامي عدو أصيل العداوة لنا، وأن سياستنا الحقة ينبغي أن تتجه إلى تقريب الهنديين".

وجهر لورد إلفنستون Elphinstone في سنة ١٨٥٨م بوجوب التفرقة بين المسلمين والهنديين في إدارة البلاد.

حرص الإنجليز على إضعاف المسلمين، بأن جعلوهم أجراء في الأرض بعد أن كانوا مُلاّكًا، وحرموهم من الوظائف، وعزلوا بين المسلمين وغيرهم في الحياة الاجتماعية [١].

زاد الإنجليز المسلمين ضعفًا بأن حرموهم من وسائل التعليم، وعملوا على إعداد جيل من المسلمين يخدمون في دور الحكومة، فأقاموا المدارس التي درسوا فيها في البداية العلوم الإسلامية التقليدية، ثم سرعان ما فتحوا فيها أقسام اللغة الإنجليزية والأنجلو عربية، ثم خططوا للقضاء على تأثير علماء المسلمين ومراكز نفوذهم، من أجل تنشئة الأجيال تنشئة علمانية معادية للدين الإسلامي.

أغلق الإنجليز المدارس الإسلامية، وأوقفوا تعليم العلوم الإسلامية، وحلت اللغة الإنجليزية، وكان اللورد (ماكولي) هو العقل المدبر وراء إدخال التربية الحديثة، وإبعاد

(١) انظر عباس محمود العقاد - الإسلام في القرن العشرين - الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٦٠-٦١.

التعليم الإسلامي بمختلف الوسائل، وقد أعرب عن أهدافه من إدخال التربية الحديثة في شبه القارة الهندية عام ١٨٣٢ م بقوله: "إن ما كان يقصد إليه لم يتعد خلق طبقة من الناس هنود في لونهم، إنجليز في أفكارهم واتجاهاتهم"، لذلك أدى التعليم العلماني إلى تخريج العلمانيين المتغربين الذين اتجه ولاؤهم للغرب.

في السودان

اتخذ الاستعمار البريطاني ما اتخذه في مصر، فأغلق المعاهد الدينية القديمة، إلى الحد الذي تم فيه شنق اثنين من القادة الدينيين على مشهد من الناس أحدهما في شمال السودان والثاني من وسطه.

في الجزائر

قام الاستعمار الفرنسي بفرض التعليم الفرنسي، لجعل الجزائر جزءًا من فرنسا، وإبعاد المجتمع الجزائري عن كل ما هو إسلامي وعربي، فانخفض عدد الطلاب من ١٥٠ ألفًا عند بدء الاحتلال عام ١٨٢٧م إلى بضعة آلاف، في الوقت الذي ارتفع فيه عدد الطلاب المستوطنين إلى أكثر من ربع مليون طالب، وتم حصر الوظائف الهامة فيمن أتقن الفرنسية بدلاً من العربية.

في المملكة المغربية

جعلت فرنسا التعليم في المغرب علمانيًا يهدف إلى تربية الولاء الكامل لفرنسا في أبناء الشعب المغربي المسلم، ويتحلل من ولائه لدينه وقومه، وبمقتضى السيطرة على التعليم تأسست مدارس أبناء الأعيان في الحضر، ومدارس أبناء الفلاحين في البوادي، يتعلم فيها الأطفال الفرنسية أولاً.

أما الدروس المخصصة للغة العربية والقرآن الكريم فهي لا تتعدى السدس إضعافًا لها، ويتولى التعليم في هذه المدارس معلمون فرنسيون، وأقلية ضئيلة من المغاربة.

في سوريا

وجهت فرنسا سياسة التعليم وفق أهدافها التي ترمي إلى سلخ أبناء المسلمين من دينهم عقيدة وسلوكًا، وتغريبهم فكرًا وعملاً وعاطفة، وتغذية الولاء في نفوسهم للدولة

الاستعمارية والشعب الفرنسي، وإحلال المذاهب الفكرية المعاصرة المناقضة للدين محل العقائد والمفاهيم والأخلاق والنظم الفرنسية.

لقد طبقت سياسة دنلوب التعليمية بشكل أو آخر، ووضعت برامج التعليم في المدارس والجامعات من المغرب العربي حتى جاوه في الشرق، تستهدف مسخ التعليم الديني وفصل الدين عن الدولة وسائر مناحي الحياة، ومحاربة المدارس والجامعات الدينية وعلى رأسها الأزهر الشريف، وصبغ التعليم بالصبغة الغربية، وأصبح تاريخ بريطانيا وفرنسا وأميركا ينال من الحصص الدراسية أكثر من تاريخ العروبة والإسلام، وتساوت حصص اللغة الأجنبية بحصص اللغة العربية، وتقلصت حصص الدروس الدينية إلى شيء رمزي لايسمن ولا يغني من جوع، وصدق رأي المبشر تكلى الذي قال: يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع - على الأخص - التعليم الغربي. إن كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حتمًا تعلم اللغة الإنجليزية[1].

كانت عملية تطويع مناهج التعليم في بلدان العالم الإسلامي، تبعًا للمناهج الغربية بمثابة الخنجر المسموم الذي طُعنت به الأمة الإسلامية.

هناك خلاف عميق بين أصول التاريخ الغربي ومقوماته، التي ترجع في أصولها إلى مفاهيم الوثنية اليونانية والعبودية والتفسيرات النصرانية، والتاريخ الإسلامي الذي يقوم على أساس عقيدة التوحيد والنبوة والبعث ومسئولية الإنسان والتزامه، ومفاهيم الإخاء الإنساني والعدل والرحمة، في إطار المنهج الذي قدمه القرآن الكريم.

سعد زغلول باشا وتخريب التعليم

منذ أن وطئت قدم الاستعمار الإنجليزي أرض مصر المسلمة، وجد نفسه أنه مهما أوتي من قوة وبطش، فلن يستطيع أن يقف بمفرده وسط هذا الشعب المسلم الذي يفرض عليه دينه عقيدة الجهاد ضد المحتل لبلاده. لذلك فكر اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر – لتثبيت إقامته وتركيز دعائمه – في بناء زعامات تستجيب له ولنظامه السياسي.

أسند اللورد كرومر إلى سعد زغلول، نظارة المعارف العمومية (وزارة التعليم)

(١) انظر د. عمر فروخ، مصطفى الخالدي - التبشير والاستعمار ص٧٠.

عام ١٩٠٦م، وكان سعد زغلول أحد النماذج الذين تتلمذوا على يد السيد جمال الدين الأفغاني، الذي كان يرى أن لا تجديد، ولا تقدم في الإسلام، إلا بعد الأخذ بالتعليم العصري المجرد عن التعليم الديني، أي أن يتعلم المسلم والنصراني واليهودي علومًا واحدة تخدم الوطن، وتدعو إلى الوحدة الوطنية ونبذ الخلاف المذهبي والطائفي.. وعلى حد قوله تعليمًا وطنيًا يكون بدايته الوطن، ووسطه الوطن، وغايته الوطن.[1]

يروي تشارلز آدم في كتابه " الإسلام والتجديد في مصر" ص٢١٩:

"إن سلطات الاحتلال البريطاني قد اختارت سعد زغلول لهذا المنصب، وهو من حزب الأمة العميل لها لكي يقضي على روح الثورة التي نشرها الزعيم - مصطفى كامل - بتهييجه المتواصل بين تلاميذ المدارس، وكان قد عظم تأثيرها في نفوس الطلاب، وانتشرت بينهم انتشارًا سريعًا، وأصبح الإخلاد إلى النظام في المدارس من الأمور المستعصية"، ويضيف آدمز: "وبذل سعد زغلول جهدًا عظيمًا في هذا السبيل"، أي في التصدي للانتفاضات الطلابية ضد الإنجليز وإجهاضها.

صار سعد زغلول حربًا على الحركة الوطنية منذ اليوم الأول الذي تولى فيه الوزارة، فقام بما يثبت أقدامه في التيار الاستعماري، وليثبت لكرومر أنه جدير بقيادة الحركة الفكرية والتعليمية في البلاد كما يريدها المستعمر، فقدم الزعيم محمد فريد إلى المحاكمة الوطنية، وانسحب من مشروع الجامعة، وحَوّل مفهوم الوطنية في العالم الإسلامي من صيغته الإسلامية ومفهوم الجهاد، إلى المفهوم الغربي القائم على الصداقة مع الإنجليز [2].

كتب اللورد كرومر في تقريره المقدم للبرلمان الإنجليزي عام ١٩٠٦م واصفًا سعد زغلول "بأنه تخرج من مدرسة الشيخ محمد عبده، والتي يقوم برنامجها على التعاون مع الأوروبيين، لا معارضتهم في إدخال المدنية الأوروبية إلى بلادهم..".

ويُضيف كرومر قائلاً: "إن اختيار سعد لمنصب وزيرًا للمعارف ليس إلا تنفيذًا لسياسة ترمي إلى تأييد هذه المدرسة، ووضع مقاليد السلطة في يدها". ثم يقول بعد ذلك:

---

(١) خاطرات جمال الدين الأفغاني ص١٤٥.
(٢) د. حمد الجمال ـ اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ص٤٠٤-٤٠٥.

"وسوف نراقب ما ستتمخض عنه هذه التجربة من آثار في عناية وانتباه.. إن العمل يسير بجد ونشاط في إدخال المدنية الغربية إلى مصر، وهو مايأخذ طريقه بتقدم ونجاح في كل إدارة من إدارات البلاد حسب خطة مرسومة، وُضِعت خطوطها بعد دراسة الموقف تقوم على التطور والتدرج" (١).

يقول المفكر الإسلامي محمد قطب: لم يسع سعد زغلول إلى تخفيف الغبن الذي وقع على الأزهر وخريجيه، والظلم الذي وقع على معلم اللغة العربية ومعلم الدين ومعلم التاريخ، ولم يسع إلى تصحيح منهج التاريخ الذي يُخرج طلابًا لا يعتزون بتاريخهم، ويشبون على الانسلاخ من الإسلام والزوبان في الغرب.

قام سعد زغلول بفصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي، وبدأ الفكر العربي يسير وراء الفكر الغربي العلماني، يمجد أنظمته وحياته الاجتماعية، وسلوك معيشته،وتبنت الحركة الأدبية مفاهيم الأدب الإنجليزي، والإعجاب بالحضارة الغربية واحتضانها في جميع المجالات.

وعندما عاد سعد زغلول من المنفى، جاء ليحول ثورة الشعب المصري من ثورة دينية إلى ثورة وطنية، وليقول بعد فشل المفاوضات مع الإنجليز: لقد كسبنا صداقة الإنجليز.. الإنجليز خصوم شرفاء معقولون!!.

عندما احتلت بريطانيا مصر، واجهت الحركة الوطنية التي قاومت النفوذ الأجنبي بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد، وعدد من المجاهدين الذي عملت القوة البريطانية على تصفيتهم وإقصائهم، وتقديم جيل جديد من أصحاب الولاء للنفوذ البريطاني، وفي مقدمة هؤلاء أحمد لطفي السيد، وسعد زغلول، وعبدالعزيز فهمي.

لقد عارض سعد الحركة الوطنية في البلاد، بعد أن نجح الإنجليز في صياغته من جديد.. حَاكَمَ الزعماء والكُتّاب والصحفيين الوطنيين بأقسى العقوبات، بعد أن فقد حساسيته تجاه الإسلام والمسلمين، ولم يضعه كرومر لينفذ المنهج الدنلوبي في التعليم إلا بعد أن اطمأن إلى تهذيبه وتشذيبه.

يقول سعد باشا عن اللورد كرومر:

(١) د. محمد محمد حسين - حصوننا مهددة من داخلها - مطبعة الرسالة - بيروت.

"كان يجلس معي الساعة والساعتين، ويحدثني في مسائل شتى كي أنتثور منها في حياتي السياسية" [١]، ولذلك أعلن كرومر حين ترك مصر أنه يترك مصر مستريحًا لأنه أقام فعلاً القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال.

كانت هذه فاجعة كبرى أصابت الأمة في الصميم، ولا حول ولا قوة إلا بالله [٢].

أحمد لطفي السيد (أستاذ الجيل ١٢٨٨-١٣٨٢هـ/ ١٨٧٠-١٩٦٣م)

دأب الإنجليز على استقطاب شيوخ الأزهر، واستمالتهم وتسليط الضوء عليهم، وتهيئتهم للمشاركة في تحقيق أهدافهم، وانطلقوا يبحثون عن ضالتهم، فبذروا بعض الحبْ، ونثروا شيئًا من الإغراءات، فبرز منهم من رغبوا فيه، ممن عندهم استعداد للتخلي عن مبادئهم، والتحرر من كل ما تفرضه عليهم العقيدة الإسلامية.

ظهر منهم سعد إبراهيم زغلول، الذي لازم جمال الدين الأفغاني، واشتغل مع الشيخ محمد عبده في تحرير مجلة الوقائع، واشترك في الثورة العرابية، وكان رجل مصر وخطيبها بعد الحرب العالمية الأولى، وكان أول من خلعت زوجه الحجاب، وكانت عليه تبعة تنفيذ المخططات الاستعمارية في الوقت الذي تظاهرت له انجلترا بالعداوة أمام الشعب لتبدو وطنيته، وليزداد تألقًا ولمعانًا، ووجد الإنجليز فيه ضالتهم المنشودة.

لم يكن سعد زغلول هو الوحيد الذي استقطبته السلطات البريطانية في مصر، ولكن كان هناك رديفه وصنوه في البلاء والتلبيس "أستاذ الجيل" أحمد لطفي السيد، الذي صار النسخة الشائهة لأعداء لغة القرآن من المستعمرين، والذين حاولوا توجيه الحرب على اللغة العربية.

دعا أحمد لطفي السيد إلى تمصير اللغة العربية، وكتابتها بالعامية، وهي دعوة استعمارية بجسمها وروحها، وهي هي دعوة ويلكوكس، وولمور، أول داعين للعامية وتَرْك الفصحى، حتى يلحق المصريون بركب التقدم العلمي والمدنية.

روج لطفي السيد للأفكار الغربية، وتمجيد كل ما هو غربي، وبأن الإسلام دين

---

(١) مذكرات سعد زغلول.

(٢) انظر كتابات المفكر الإسلامي محمد قطب في واقعنا المعاصر، وكتابات الأستاذ أنور الجندي في مجلة المجتمع الكويتية عام ١٩٨٠م العدد ٤٩٤.

روحي لا صلة له بالمناهج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ونسى أن الدين الإسلامي دين شامل كامل للروح والجسد.. دين ودولة.. وعقيدة ونظام لأمور الدنيا وأمور الآخرة.

دعا أستاذ الجيل إلى التفاهم مع الإنجليز، وزين للأمة أن تتخذ وليًا لها من الصليبيين، ولم يدعو إلى الجهاد لإجلاء الغاصبين، ومقاومتهم، بل دعا إلى الرضوخ والاستسلام للإنجليز. فيقول في جريدته (الجريدة): إن الإنجليز هم أولياء أمورنا! لا ينبغي أن نحاربهم أو نقاومهم، ومن واجبنا أن نتعلم منهم، ثم نتفاهم معهم بعد ذلك لتصفية ما بيننا وبينهم من خلافات، والله عز وجل يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [1].

أولياء أمور من غير المسلمين! من الصليبيين الكافرين!! لهذا أطلقوا عليه لقب "أستاذ الجيل" [2].

يقول الدكتور حمد صادق الجمال:

يُعتبر أحمد لطفي السيد باشا من أوائل من دعوا إلى التغريب في النصف الأول من القرن العشرين، والمناداة بالنقل عن أوروبا، والاغتراف من بحار الغربيين، دون تمييز بين النافع والضار، والخير والشر، والصالح والطالح، وهذا يعني نبذ التشريعات الإسلامية، ومحاكاة الأوروبيين بحجة التطور والتجديد.

شن حملة ظالمة على السلفيين، واتهمهم بالتخلف والجمود، ورفض التقدم والعصرنة، وكل ما في حياة العصر من جديد.

كما يعتبر "أستاذ الجيل" أول من سهل للفتيات دخول الجامعة منذ بدء إنشائها بحجة تعليم المرأة، حتى إذا ما تم ذلك بدأت الدعوة إلى السفور، ثم إلى اختلاط الجنسين بحجة أن الاختلاط ضرورة نفسية واجتماعية، فيه تختفي العقد، ويتلاشى الشعور بالخجل في وجود الجنس الآخر، كما أنه يؤدي إلى الإشباع العاطفي، ويعلم الذوق في حضور الجنس الآخر، إلى غير ذلك من الأوهام التي تعشش في عقول النوابغ من عباقرة أمتنا!!.

---

(١) النساء ٥٩.
(٢) انظر د. حمد الجمال - المرجع السابق، الأستاذ/ محمد قطب ـ واقعنا المعاصر، الأستاذ/ أنور الجندي - عقبات في طريق النهضة.

المرحلة الثانية لتدمير الأزهر الشريف

أدركت القوى الكافرة التي لا تريد للإسلام رأسًا يُرفع، أن الأزهر الشريف ـ قلعة الإسلام الحصينة ـ قد قاد معظم الثورات الشعبية ضد الحكام الطغاة، والغزاة الطامعين.

قاد ثورة عام ١٧٩٤م للمطالبة بعزل الأمراء المماليك.. قاد الثورة ضد نابليون بونابرت حتى اضطره إلى مهاجمة الأزهر في ٣١ أكتوبر عام ١٧٩٨م، فاحتله وأتلف المصاحف، وأعدم ثمانين من علمائه، وقاد ثورة القاهرة الكبرى عام ١٨٠٠م بقيادة الشيخ عمر مكرم ضد الجنرال كليبر، وساند محمد على ضد البرديسي رئيس المماليك، وأسند إليه الولايه.. وفى عام ١٨٠٧م.تصدى الشعب المصري المسلم بقيادة شيوخ الأزهر للحملة الإنجليزيه بقيادة الجنرال فريزر على رشيد.

وفى عام ١٨٨٢م قاد علماء الأزهر الشريف الثورة العرابية، ودعوا لها ودافعوا عنها، وحوكموا من أجلها..كان أحمد عرابى أزهرياً استمد ثقافته العامه وحكمه على الأمور من تعليمه الأزهري، وكان الشيخ عليش، والشيخ أبو عليا ظهيرا للثورة العسكرية الشعبية ضد مظالم الأسرة المالكة.

لذلك كان التآمر الصليبي الشيوعي الصهيوني ضد الأزهر النبع الذى تخرج منه كل القيادات الثورية.

كانت المرحلة الأولى لتدمير الأزهر الشريف فى عهد محمد على باشا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، عندما رأى فى علماء الأزهر قوة تعترض سبيله،فنفى الشيوخ، وأنشأ المدارس الحديثة، وأعدّ جيلاً من غير الأزهريين أرسلهم إلى أوربا ليعودوا سفراء للغرب الصليبي الحاقد على الأزهر والمسلمين.

ثم جاءت المرحلة الثانية لتدمير الأزهر فى عهد الإحتلال الإنجليزى حيث رفع الإنجليز من شأن المدارس والجامعات العلمانية، وحجبوا رجال الأزهر، وجعلوا المناصب الكبرى فى رجال وزارة المعارف، وقصروا رجال الأزهر على الوعاظ وأئمة المساجد وفى مرتبات قليله.

الجامعة المصرية وطه حسين

حرص الإنجليز على طمس دور الأزهر الشريف وتجميده، فأنشأوا فى مطلع هذا

القرن وزارة المعارف التـى احتضنت منـاهج الإرسـاليات الصليبيـة فـى التعليم العلمـاني والقضاء على أصول التربية الإسلامية بعد أن قرر المبشرون فى مؤتـمراتهم أن الأزهر هو أهم عائق فى وجه الإستعمار فى مصر والعالم الإسلامي لذلك كـانت مخططـاتهم فـى إنشاء الجامعه الأهليه (التى تحولت فيما بعد إلى جامعة رسمية) يبثون من خلالها أفكارهم ومفـاهيمهم، ويصنعون فيهـا جيـلا مـن المسلمين يؤمـن بمطـالبهم، ويقـف أمـام الثقافـة الإسلامية ويشكك فيها.

تقول الدكتورة "بنت الشاطيء" عن الجامعـة المصريـة: إن تلـك الجامعـة الأهليـة فتحت كل الأبواب للبعثات النصرانية والإرساليات الأجنبية من كل جنس وملة لتتغلغل في صميم الوجود الفكري للأمة، ولسلخ من استطاعت من أبنائها بما تُوَصِّل فيهم مـن عقدة الشـعور بـالنقص، ومـا تُلقي في روعهـم مـن أن الشـرقية سـمة مـن سُـمات التخلـف والانحطاط، وأن الاتصال بالقديم ظاهرة جمود وتحجر. لقد تغلغل النفوذ الاستعماري، الذي اتخذ مناطق معينة فيها قاعدة لتدمير معنويات الأمة، ومجال غزو فكري يضاهي مـا اجتـاح وجودنـا العـام مـن غزو ومثلـه عن طريـق مؤسسـات الثقافـة الأجنبيـة، وأجهـزة دعايتها المدربة.

وشغلت الأمة بنضالها السياسي عن وجوجها الفكري، وخـلا الجـو لتيـارات الغـزو الفكري، فازدادت أزمة فقدان التعاصر بين أبناء الجيل حـدة وتعقـدًا، واختلطـت المفـاهيم، واضطربت القيم، فلم نعد علـى الصعيد الفكري نميز بيـن الرجعيـة والمحافظـة، أو بيـن الجمود والأصالة، أو بين الاقتباس الواعي والتقليد المردد للأصداء.".

وتضيف عائشة عبدالرحمن فتقول: "وقد سُجل مدى ما تعرض له وجودنا من زيف وضلال، ونفاق ودوار، ومن ضغـط فـادح، ورصـد بكـل دقـة ذبذبـة الخيـوط فـى الأيـدى المحركة للدمى، وكشف مجال التصدى الثقافى الذى كان سببا مباشرا فى فقـدان الإنسـجام الفكري بين أبناء جيل واحد".

طه حسين (عميد الأدب العربي)

ظهـرت الجامعـة الأهليـة إلـى حـيز الوجـود،وانتظـم بهـا طـه حسـين عـام ١٩٠٨م.وحصل منها على إجازة الدكتوارة "ذكرى أبى العلاء" وأوفدته الجامعة فـى بعثـة إلى فرنسا، واتجه إلى الأخذ بمناهج المستشرقين فى دراسة الأدب العربـي، وبعـد عودتـه

حاضر فى الجامعة المصرية سنة ١٩٢٥ بعد أن عين أستاذًا بها، ثم أصبح عميدًا لكلية الآداب، ثم تولى منصب مدير الجامعة، ثم عين وزيرًا للمعارف.

عاش طه حسين فى أحضان الإستشراق حياته كلها، تتلمذ عليهم فى السوربون ومونبليه، وتلقى مفاهيم الفكر الإسلامي من خلال مناهجهم فى القرآن والشريعة والتاريخ، وتابع دوركايم وكازانوفا.

تابع طه حسين المستشرقين فى آرائهم، وأحضروه كل مؤتمراتهم، وأعجبوا به أيما أعجاب لتنفيذه مخططاتهم الخبيثة، بعد أن اتسعت خصومته مع الفكر الإسلامي والأزهري.

وضع كتابه فى الشعر الجاهلي أنكر فيه القصص القرآني ونبوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.وفى كتابه على هامش السيرة قال: إنه لا يكتب قصص القرآن على أنها حقائق بل على أنها قصص كما تفعل جدته لتسليته عند النوم، وفى كتابه الشيخان يزعم فيه أن أحداث السقيفة ليست صحيحة، وفى كتابه الوعد الحق، وكتاب الفتنة الكبرى ردد أكاذيب منها أن العوامل الإقتصادية دفعت المشركين للإسلام، وفى كتابه مرآة الإسلام دافع عن قتلة عثمان ﷺ.

ومن أخطر كتبه التى ألفها بعد معاهدة عام ١٩٣٦ مع إنجلترا، أراد فيه أن يرسم سبيل نهضة مصر التعليمية بدعوته لتناول الحضارة الغربية بحلوها ومرها، وترك ما يربط الأمة بتراثها وبإسلامها، ثم دعوته إلى الوطنية والإقليمية.. الوطنية المصرية على أساس مدني لا دخل فيه للدين، ثم لم يلبث أن دعا طه حسين إلى الفرعونية.

بعث طه حسين الأدب الشعوبي والفكر الباطني والوثني والمجوسي تمشيا مع الهدف الذى حمل لواءه وتنفيذا لخطط المستشرقين ومؤامراتهم.

استقدم طه حسين المستشرقين اليهود والصليبين ليحدثوا الشباب المسلم فى الجامعة عن القرآن، وأثر النصرانية فى مكة، وأثر اليهودية فى المدينة، وليغرسوا الأساطير والوثنيات والاسرائيليات.

وهكذا جرت محاولات إضعاف الأزهر، ومحاصرته وعزله عن الحياه، وبالرغم من كل محاولات التآمر لم تفلح الجامعة المصرية فى أن تحل محل الأزهر الشريف أو أن ترث نفوذه بين الأمم الإسلامية.

ولقد انشئت الجامعة المصرية فى أول أمرها لأهداف وطنية خالصة ثم تحولت على يد لطفى السيد (أستاذ الجيل) إلى جامعة علمانية تنافس الأزهر وتضيق عليه الخناق، وكانت كلية الآداب خاصة تحت رئاسة لطفى السيد ثم طه حسين قد تحولت إلى وكر للمستشرقين وكان كل منهما مخلصا شديد الإخلاص لمناهج المستشرقين التى تتلمذوا عليها، ورأوا فيها المثل الأعلى للمنهج العلمي.

ذكر طه حسين: إنه كان فى مصر سنة ١٩١٥م مذهبان فى درس الأدب، أحدهما مذهب القدماء، والآخر مذهب الأوربيين،استحدثته الجامعة المصرية بفضل الأستاذ نلينو ومن زامله وخلفه من المستشرقين أمثال جويدى وفييت، وقد عهدت إليهم بتدريس تاريخ الأدب، فدرسوه بمناهجهم الحديثة، وَعلّموا الطلاب كيف يبحثون..وعجزت الجامعة عن دعوة المستشرقين بسبب الحرب فأضافت درس تاريخ الأدب إلى الآداب فلم توفق، فعلى المستشرقين كان متوقفا نجاح الجامعة المصرية إلى حد بعيد..وكيف نتصور أستاذا للأدب العربي لا يلم - ولا ينتظر أن يلم - بما انتهى إليه الفرنج المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة، حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته المختلفة..وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس، ولابد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا [(١)].

فتح طه حسين أبواب الجامعة، وخاصة كلية الآداب للمستشرقين وعتاة الدراسات التبشيرية والتغريبية ليحطموا فى أبناء الأمة المسلمة كل عقائدهم ومقدساتهم.

تقول السيدة "**سوزان طه حسين**" عندما تأسست جامعة الدوله عام ١٩٢٥م اتخذ الطريق إلى بيتنا قادمون جدد، بدأت جلسات الأحد التى سرعان ما اتسعت كثيرا فى الزمالك، وكان طه حسين خلالها قطبًا حقيقيًا، إذ ما كاد الأساتذة الأجانب الذين كانوا يؤلفون أول فريق يصلون إلى مصر، حتى يأتوا بالطبع إلى بيتنا لقضاء ساعة أو ساعتين برفقة زوجاتهم، وكان منهم العميد **جيراجور**، والفيلسوف **أميل برهين**، وعالم الآثار الإنجليزى **بحرندور**، والشخصية الساحرة **سكايف** الذى كان أستاذ للأدب الإنجليزى **وسالمه وسانيك**..

(١) محمد رشاد خليل - المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره – دار التوزيع والنشر الإسلامية - ص٦١-٦٢، نقلاً عن د. فتحي عثمان - أضواء على التاريخ الإسلامي ص١٥٩.

وتقول السيدة سوزان طه حسين: كانت تلك اللقاءات التي تتم بوجه خاص مع أناس قادمين من خارج مصر تزداد بنسبة مثيرة وكانت حصيلتها محاورات خصبة بالنتائج وتبادل الأفكار، واتهامات مختلفة بقدر ما كان ينتج عنها أيضا حجارة جديدة من أجل البناء الذى كان طه حسين يتابع إنشاءه بكتبه ونشاطه [١].

ويقول الدكتور **محمد نجيب البهبيتى**: لقد فتح لطفى السيد باب الجامعة القديمة أمام هذه المستشرقة، فأتاح لها فى ظل الشرعية العلمية فرصة العمل على تنفيذ برنامجها المخطط..وتكفل طه حسين بالدعاية لها وبالمناداة على ما عندها.

هذه المؤسسة التى سميت بالجامعة المصرية القديمة بدأت أعمال التخريب للحياة الإسلامية [٢].

"كان جميع المستشرقون فى أنحاء الأرض إذا مروا بمصر زاروا دار طه حسين، وكان ولاؤه الأجنبي واضحا من زياراته لهم فى فرنسا وأيطاليا واشتراكه فى مؤتمرات المستشرقين وعلاقاته بالبابا بيوس الحادى عشر الذى كان مستشرقا، والكنيسة الكاثوليكية، واعترافهم بأفضال طه حسين ووضعه على رأس مؤتمرات الإستشراق لتميزه على جميع الذين اصطنعهم الإستشراق [٣].

تقول الدكتورة (بنت الشاطئ) عن الجامعة المصرية: إن تلك الجامعة الأهلية فتحت كل الأبواب للبعثات النصرانية والإرساليات الأجنبية من كل جنس وملة لتتغلغل فى صميم الوجود الفكري للأمة، ولسلخ من استطاعت من أبنائها بما تُوُصل فيهم من عقدة الشعور بالنقص وما تلقى فى روعهم من أن الشرقية سمة من سمات التخلف والإنحطاط، وأن الإتصال بالقديم ظاهرة جمود وتحجر..لقد تغلغل النفوذ الإستعماري، الذى اتخذ مناطق معينة فيها قاعدة لتدمير معنويات الأمة، ومجال غزو فكري يضاهى ما اجتاح وجودنا العام من غزو مثله عن طريق مؤسسات الثقافة الأجنبية وأجهزة دعايتها المدربة. وشُغلت الأمة بنضالها السياسي عن وجودها الفكري، وخلا الجو لتيارات الغزو الفكري فازدادت

---

(١) الوجه الأخر لطه حسين ـ من مذكرات السيدة سوزان "معك" ـ أنور الجندي ـ دار الاعتصام.
(٢) أنور الجندي ـ هل غيّر طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة ـ دار الاعتصام.
(٣) أنور الجندي ـ الوجه الأخر لطه حسين ـ دار الاعتصام.

أزمة فقدان التعاصر بين أبناء الجيل حدة وتعقيداً، اختلطت المفاهيم، واضطربت القيم فلم تعد على الصعيد الفكري تميز بين الرجعية والمحافظة أو بين الجمود والأصالة، أو بين الإقتباس الواعى والتقليد المردد للأصداء..

لقد سجل الإنتاج الفكري مدى ما تعرض له وجودنا من زيف وضلال ونفاق ودوار، ومن ضغط فادح، ورصد بكل دقة ذبذبة الخيوط في الأيدي المحركة للدمى، وكشف مجال التصدع الثقافي الذي كان سببًا مباشرًا في فقدان الانسجام الفكري بين أبناء جيل واحد [١].

ظهرت الجامعة المصرية إلى حيز الوجود، وظهر من خلالها الدعوة إلى الوطنية الإقليمية.. الوطنية المصرية، والوطنية العراقية، و الوطنية السورية.. وظهر من خلالها عميد الأدب العربي طه حسين، التلميذ النجيب لمستشرقي أوربا ليشيد بالحضارة الأوربية، وينادي بضرورة الأخذ بها.. حلوها ومرها، وخيرها وشرها، ويدعو إلى ثقافة شعوب البحر المتوسط، وحرية الفكر، ودراسة الإسلام على طريقة المستشرقين، لأن طريقة الأزهر لا تحقق عمق الثقافة وحرية الفكر!!

يقول الدكتور المحتسب في كتابه (طه حسين مفكرًا):

أربعون عامًا يُنفقها طه حسين في الدعوة للفكر الرأسمالي، والثقافة الفرنسية والفرعونية.. ثم ينقلب ويتحول إلى الدعوة للقومية العربية.. وطه حسين من بناة الفرعونية طيلة أربعين عامًا.. فكيف يصير واحدًا من بناة القومية العربية، ولقد وفدت الدعوة إلى القوميات في بلاد المسلمين مع الأفكار الغربية الرأسمالية، وقد وظّفَ طه حسين نفسه للترويج والدعوة - التي لا تعرف الملل أو الكلل - إلى الفرعونية والدعوة إلى القومية بضاعة أوربية رأسمالية في العصر الحديث [٢].

(١) كتابات لأنور الجندي.
(٢) أنور الجندي - هل غير طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة - دار الاعتصام.

المستشرقون فى العالم الإسلامي

حينما إستيقظ العالم الأوربي لنهضته الحديثة رأى حوله عجبا، رأى أمما مختلفة الأجناس والألوان والألسنة من المحيط الهادى شرقًا إلى ألأطلسي غربا ومن روسيا وقلب أوربا شمالا إلى قلب القارة الأفريقية وسواحلها تتلو كتابا واحدا يجمعها، يقرؤه مَن لسانه العربية، ومَن لسانه غير العربية، وتحفظه جمهرة كبيرة منهم عن ظهر قلب، عرفت لغة العرب أم لم تعرفها، ومن لم تحفظ جميعه حفظ بعضه، ليقيم به صلاته. وتداخلت لغته فى اللغات، وتحولت خطوط الأمم إلى الخط الذى يكتب به هذا الكتاب كالهند وجزر الهند وفارس.

رأى العالم الأوربي المسيحي كتابا له قوة خارقة فى تحويل البشر إلى إتجاه واحد متسق على إختلاف الأجناس والألوان والألسنة.

منذ ذلك العهد ظهر الإستشراق لدراسة أحوال العالم الإسلامي لتتصدى له أوربا المسيحية بعد يقظتها، ولتخوض مع هذا الكتاب الذى سيطر على الأمم المختلفة وجعلها أمة واحدة تعدُّ العربية لسانها، وتعد تاريخ العرب تاريخها ـ معركة حامية.

تبين للعالم المسيحي أن لا وسيلة إلى إقصاء القرآن إلا بالسيطرة على وسائل التعليم والحط من لغة القرآن فى بلدان العالم الإسلامي،واتجهت الأنظار إلى مصر منارة العالم الإسلامي وصوبت السهام نحوها قبل أي مكان [1].

قامت الكنيسة بإيفاد عدد من القساوسة الذين أعدوا إعدادا خاصا إلى بعض العواصم الإسلامية فى الأندلس والمغرب العربي لدراسة اللغة العربية وعلومها، رائدهم فى هذا تتبع العورات وتلمس الشبهات، ليقوموا بعد عودتهم إلى بلادهم بتأليف الكتب وإلقاء المحاضرات المشحونة باختلاق المثالب وإثارة الحفائظ ضد المسلمين.

أنشأت الكنيسة بعض المدارس العربية فى روما وغيرها لإعداد أجيال من المتخصصين فى العلوم الإسلامية على نحو يؤهلهم لنشر كل ما يسيئ إلى الإسلام والمؤمنين به.

(١) محمود شاكر ـ أباطيل وأسمار.

كان أولئك القساوسة الذين أوفدوا إلى ديار الإسلام، هم الطلائع الأولى للاستشراق ثم جاءت الحروب الصليبية وأدرك الغرب أن الشرق يتفوق عليه فكرياً وحضارياً وإقتصادياً فاتسعت دائرة الإستشراق وأقبلت كل دول أوربا على الدراسات الشرقية والتراث الإسلامي للتمهيد للإنقضاض على الشرق، والقضاء على الإسلام والمسلمين.

امتلأت المؤلفات الغربية بالسخافات والجهالات والضلالات بعد أن ترجم القرآن الكريم ترجمة محرفة مشوهة ينكرها الأصل العربي كل الإنكار [1].

الإستشراق الصهيوني النصراني

كان عام ١٥٠٥ م. بداية التحالف اليهودي النصراني للقضاء على الإسلام والمسلمين، حيث كتب أحد اليهود مشروعاً لذلك التحالف وقدمه إلى البابا، دعا فيه إلى احتلال العالم الإسلامي، وانتزاع الأراضي المقدسة من المسلمين، واحتلال اليهود لفلسطين.

قدم اليهود إلى الدول الأوربية المسيحية كل ما عرفوه عن المسلمين من مواطن الضعف والقوة ومن ثم كانوا عونا لهذه الدول على احتلال الشعوب الإسلامية، وتحقيق الحلم الصهيوني باغتصاب فلسطين، كما أنهم فاقوا المستشرقين النصارى فى إذاعة الإفتراءات حول الفكر الإسلامي.

قام الإستشراق الروسي بدور كبير فى مساعدة الصهيونية للتغلغل فى فلسطين وإنشاء الوطن اليهودي فى قلب الوطن العربي، ففى عام ١٨٥٢ أنشأت القيصرية الروسية لجنة من المستشرقين والمتخصصين فى المسائل العربية كان بينها عناصر يهودية هدفها الأول: تهيئة الوسائل اللازمة لتأسيس بيوت لإيواء اليهود المهاجرين إلى فلسطين، وإنشاء مستشفيات لمرضاهم تحت إشراف البعثة الروسية التى اتخذت القدس الشريف مركزا لها بدعوى رعاية الكنائس التابعة لها والنصارى الذين ينتمون إلى المذهب الأرثوذكسي الروسي، وفى عام ١٨٦٤ م. بعثت روسيا وفدا من أعضاء هذه الجمعية للسفر إلى فلسطين سرا لتهيئة الوسائل اللازمة لإقامة ملاجئ ومصحات

(١) انظر د. محمد الدسوقي - الفكر الاستشراقي - دار الوفاء.

ومستشفيات ودور للزوار اليهود الذين يصلون إلى القدس لزيارة حائط المبكى فى بيت المقدس من جميع أنحاء العالم [١].

من مزاعم المستشرقين وافتراءاتهم

سعى المستشرقون إلى إضعاف مثل الإسلام وقيمة العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر،وإظهار أى دعوة للتمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر، واتخذوا لذلك نهجا فى التشكيك والمغالطة وتشويه الحقائق والافتراء والتزوير، واتبعوا لبلوغ ما يريدون كل وسيله تتيح لهم بث سمومهم ونشر أباطيلهم فاستخدموا الكتاب والمقال فى المجلات والدوريات، وكرسي التدريس فى الجامعة، والمنافشة فى المؤتمرات العلمية العامه، والبث المسموع والمرئي عن طريق الأقمار الصناعية التى تتسابق دول العالم فى إطلاقها.

أنكر المستشرقون نبوة الرسول ﷺ، وسماوية القرآن الكريم وشككوا فى أن يكون القرآن الكريم قد أوحي به إلى الرسول ﷺ من عند الله عزوجل، أو أن يكون الإسلام دينا من عند الله، وإنما هو ملفق من الديانتين اليهودية والمسيحية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[٢] وأن شرائع الإسلام قد تأسست من شرائع اليهود والمسيحية والهندية والصابئة والفارسية والجاهلية [٣].

زعموا أن الإسلام أخذ من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم عاشوراء، والتكبير، والأشهر الحرم، والحج والعمرة، ونتف الإبط، وحلق العانه، والختان، وتقليم الأظافر، والوضوء والإغتسال، وحظ الذكر مثل حظ الأنثيين.

وأخذ من الصابئة: الصلوات الخمس، والصلاة على الميت، وصيام شهر رمضان، والقبلة وتعظيم مكة، وتحريم الميتة ولحم الخنزير، وتحريم الزواج من القريبات.

وأخذ من الهندية والفارسية قصة المعراج والجنة والحور والولدان والصراط، وأخذ من اليهودية قصة قابيل وهابيل، وقصة إبراهيم، وقصة ملكة سبأ، وقصة يوسف،

---

(١) د. محمد الدسوقي - الفكر الاستشراقي - دار الوفاء.
(٢) الكهف ٥.
(٣) انظر كتابات المستشرقين (جب): الانجليزي في كتابه (المذهب المحمدي)، (سنكلير تسدل) في كتابه (مصادر الإسلام).

وأخذ من النصرانية قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء وقصة طفولة يوشع [١].

شككوا فى صحة الحديث النبوي الشريف، وقيمة الفقه الإسلامي، وقدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي، وقيمة التراث الحضارى للمسلمين، وادعوا أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، وأن العرب لم يكن لهم إبداع فكري ولا إبتكار حضاري.

كما حرصوا على إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك فى كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا، وعلى إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين فى مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التى كانت لهم قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم.

ومن أبرز أعمال الإستشراق التى أدخلت تفسيرات باطلة على حقائق الإسلام لتزويرها وتزيينها دائرة المعارف الإسلامية، والتى تجمع فى تحريرها أخبث وأخطر رجال الإستشراق من يهود وغيرهم، حيث تجمع عشرات الاسرائيليات والتفسيرات الزائفة وتضعها فى تفسير النص الإسلامي، فتأخذ دائرة المعارف الإسلامية القصة اليهودية للعهد القديم فى خلق آدم (فتجعلها مصادر وتعليها على مفهوم القرآن الذى يمثل حقيقة هذه القصة، وكذلك تأخذ بوجهة نظر اليهود فى إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وإعطاء فكرة للعالم أن فلسطين كانت يهودية قبل الإسلام [٢].

لقد سلك المبشرون والمستشرقون كل مسلك ظنوه محققا لأهدافهم واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد، وتدخلوا فى مجال التربية والتعليم لغرس مبادئ التربية الغربية فى نفوس المسلمين.

من أبرز تلاميذ المستشرقين

استخدم المستشرقون تلاميذهم من أبناء المسلمين - الذين درسوا بجامعاتهم وتشربوا بمبادئهم، وبعد أن أصبحوا قادة للفكر - فى تحقيق أهدافهم.

---

(١) إبراهيم خليل أحمد - المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي - مكتبة الوعي العربي. وقد عمل في ميدان التبشير والاستشراق قبل إسلامه، وشرح الله صدره للحق.

(٢) أنور الجندي - المد الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر الهجري.

كان من تلاميذهم السير (أحمد خان) بالهند، الذى اشتهر بحركته العلمية القائمة على الافتتان بالعلم الطبيعي وبالحضارة الغربية. والافتتان بالعلم الطبيعي كما يقال يؤدى إلى خفة وزن القيم الروحية والمثاليه، وهى القيم التى تقوم عليها رسالة الأديان السماوية التى يمثلها الإسلام أوضح تمثيل.

وكان من تلاميذهم الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي، والذى كان عميداً لكلية الآداب جامعة القاهرة، ثم أصبح فيما بعد وزيراً للمعارف العموميه، وكان فى نشأته رئيساً لتحرير مجلة الكاتب المصري، وهى مجلة كانت تصدرها شركة الكاتب المصري التى هى جماعة من يهود مصر الذين هجروا مصر نهائياً عقب الانتصار على العدوان الثلاثي ببورسعيد سنة ١٩٥٦.

وهو مؤلف لعدد كبير من الكتب منها الشعر الجاهلي، ومستقبل الثقافة فى مصر، وكثير غيرهما.

فى كتابه الشعر الجاهلي يقول: "إن العرب لم يكونوا على غير دين ولم يكونوا جهالا ولا غلاظا، ولم يكونوا فى عزلة سياسيه إو إقتصاديه بالقياس إلى الأمم الأخرى كذلك يمثلهم القرآن"!!، ويستطرد فيقول: "وإذا كانوا أصحاب علم ودين، وأصحاب ثروة وقوة وبأس وأصحاب سياسه متصله بسياسة عامة متأثرة بها مؤثرة فيها.فما أخلقهم أن يكونوا أمة متحضرة راقية،لا أمة جاهلية همجية، وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن ظهر فى أمة جاهلية همجية"!!.

ثم يستطرد فى انتقاصه لاعجاز القرآن الكريم فيقول: (أفترى أحدا يحفل بى لو أنى أخذت أهاجم البوذيه وغيرها من الديانات التى لا يدينها أحد فى مصر؟ ولكنى أهيج النصارى حين أهاجم النصرانيه، وأهيج اليهود حين أهاجم اليهوديه، وأحفظ المسلمين حين أهاجم الإسلام)، وينتهى بالقول بأن الإسلام دين بشري، وأن القرآن ليس وحياً إلهياً، وإنما قاله صاحبه لقوم تجاوبوا معه أو قاموا ضده.

وفى هذا حقق طه حسين هدفاً من أهداف المستشرقين هو أن القرآن موضوع وليس وحياً من الله.

وبالموازنة بين كتاب المستشرق الإنجليزى هـ.ا.ر.جب (المذهب المحمدي) وكتاب

الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين نجد تطابقا تاما فى المفاهيم مع إختلاف فى الأداء والعبارات [١].

المرحلة الثالثة لتدمير الأزهر الشريف

أدركت القوى الكافرة ـ الصهيونية والصليبية والشيوعية ـ أن الأزهر الشريف يمد العالم الإسلامي بالعلماء الذين كانوا دوما فى تاريخ الأمة المسلمة قادتها، ومرشديها فى سائر أمورها السياسيه والإجتماعيه والإقتصاديه، وأيضا الفكريه والروحيه، وملجأها إذا ما حزبهم أمر، وملاذهم عند الفزع.. تتجه إليهم الجماهير إذا وقع عليهم ظلم الحكام والولاة، ليسعوا إلى رفع الظلم عنهم، بتذكير الحكام والولاة بربهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

أدركت تلك القوى أن الأزهر يمد المسلمين بالمعارف التى تحتاج إليها الأمة كى تحيا ..يهرع إليها الطلاب من شواطئ الهادى فى الشرق، والهندي فى الجنوب، والأطلسي فى الغرب .. من الصين واليابان وأندونسيا .. ومن المغرب والسنغال والجزائر. كما يمد المسلمين بالدعاة إلى الجهاد كلما حدث على الأمة عدوان..يُذَكِرُونَ الأمة بالله واليوم الأخر، والجنه التى تنتظر المجاهدين الصادقين..بل يشاركون بأنفسهم أحيانا، ويقودون الجيوش بأنفسهم فى بعض الأحيان، ويجاهدون فى الله حق جهاده، ويصبرون على ما يصيبهم فى سبيل الله، لا يضعفون أو يستكينون، ويصمدون تقديرا لمسئوليتهم أمام الله.. وهم الذين منّ الله عليهم بمعرفة دينه حين يسألهم عن الأمانة يوم القيامة.

لكل هذا كانت مخططات الأعداء ومؤامراتهم الخبيثة للقضاء على الأزهر، ومنعه من تأدية وظيفته الخطيره، وتجفيف الينبوع الذى يستقى منه المشارقه والمغاربه أصول دينهم، ومعالم وحدتهم، وعناصر وجودهم المادي والأدبي، ليتسنى لهم الإجهاز على الأمة التى أحاطت بها الذئاب من كل جانب.

(١) انظر إبراهيم خليل أحمد ـ المرجع السابق.

ثورة يوليو المباركة عام ١٩٥٢م

كانت المرحلة الثالثة لتدمير الأزهر الشريف على يد رجال ثورة يوليو في مصر، حيث خضع الأزهر الشريف للمخطط الشيوعي اليهودي في العالم الإسلامي الذى استهدف القضاء على الإسلام، وإحلال الماركسيه مكانه، بعد أن نظرت الشيوعية للإسلام على أنه العدو الأول للإشتراكية، وبعد أن رأت أن للعقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين مقدرة عجيبه على إفشال مخططاتهم ومؤامراتهم فعملوا بطرق غير مباشرة للقضاء على الدين وزعزعة العقيدة فى نفوس أبناء الأمة.

تبنى حكام مصر مفاهيم الديمقراطيه ثم الإشتراكيه، وحجبوا الشريعة الإسلامية، ثم علت الماركسيه وسيطرت، وتصدر الشيوعيون المراكز الحساسه، وشنوا حملة شعواء على الإسلام والأزهر، وجندت حكومات الثورة رجال الدين وبعض النصوص الدينيه - بعد أن طوعتها تطويعاً - للدعوة للإشتراكيه، فأخضعت الجامعات والمدارس والمساجد والمؤسسات لمراقبة تنظيماتها الشيوعيه فى الاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي، وعقد الشيوعيون الإجتماعات الدوريه لعلماء الدين وأئمة المساجد بمكاتب الشئون الدينيه بأمانة الدعوة والفكر ليقولوا فى النهاية إن القرآن يدعو إلى ما تدعو إليه الإشتراكيه، من الإعتماد على العلم فى ممارسة الحياه، وأن مهمة المسجد ينبغى أن تقتصر على بناء المواطن الصالح الذى يشارك فى بناء النهضة الحديثة!!

مؤامرة تطوير الأزهر (١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.)

صدر قانون تطوير الأزهر فى عام ١٩٦١م ليجعل من الأزهر جامعة دينية علمية شاملة، يقول الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي: ودخل التطوير فى الأزهر بأوسع نطاق فهل يا ترى هذا ما أريد بالأزهر؟ التطوير أم التدمير؟ [١].

يقول الأستاذ محمد عبدالله عنان: "...نستطيع أن نقول أن الأزهر الحديث على الرغم من جميع الجهود التى بذلت، وبالرغم من تحويله الظاهر إلى جامعة أزهريه، فقد كثيرا من المزايا العلميه والجامعيه الحقيقيه التى اقترنت بتاريخه القديم نذكر منها:

(١) انظر د. حمد الجمال - مرجع سابق ص١١٤ - نقلاً عن د. محمد عبدالمنعم خفاجي - الأزهر في ألف عام - بيروت.

(١) اختفى جيل العلماء الأعلام المبرزين فى علوم الدين واللغه ممن حفلت بهم حلقاته فى أواخر القرن الماضى، وكانوا بقية أخيرة لذلك الجيل القديم، من علماء الأزهر الذين وهبوا حياتهم للدرس ، وقد كان الأزهر حتى أواخر القرن الماضى يأخذ بنصيب بارز فى تكوين الزعامه الفكرية والقومية.

(٢) فقد الأزهر كثيرا من خاصته الروحيه التى كانت تحمل شيوخه وطلابه على التفانى فى التحصيل والدرس، والتعلق بشرف العلم والإعراض عن مغريات الدنيا، وإيثار التقشف والزهد على الحياه الناعمه.. وتحول شيوخ الأزهر فى ظل النظم الجديدة شيئا فشيئا إلى نوع من ارستقراطية رجال الدين، التى تمتاز ببسطة فى الرزق والجاه، وتحول طلابه إلى ميدان الصراع المادي فى سبيل العيش والسعى وراء الوظائف.

(٣) ومن جهة أخرى فإن الأزهر الحديث على الرغم من اتسامه بسمة الجامعات العصريه،لا يزال بعيدا عن أن يجارى روح العصر فعلا، فى تنظيم مناهجه وأساليبه العلميه، فهو لا يزال يعيش على تراث الأزهر القديم، ولا يزال مرجع الدراسه بالكليات الأزهريه الحديثه فى علوم الدين واللغه طائفه من الكتب القديمه التى يعرفها الأزهر منذ العصور الوسطى.. وبعضها يرجع إلى القرن السادس الهجري والسابع والثامن الهجري.

(٤) فقد الأزهر كثيرا من مزايا الدراسه الحقه بإلغاء الحلقات الدراسيه الشهيره، التى لبثت قرونا تزين أروقته وساحاته، فقضى عليها النظام الجديد، ولم تبقى منها إلا آثار ضئيلة تتمثل فى إلقاء بعض الدروس.

والواقع أن الحلقات القديمة لم تكن إلا المدرج الجامعى الحديث، وقد كانت تتفوق بلا ريب فى عناصرها الجامعيه على فصول الكليات الأزهريه، وكان خيرًا لو أُصلحت ونُظِّمَت على غرار الدراسات الجامعيه العليا، التى يتولاها أعلام الأساتذة، قد كان فى استبقائها على هذا النحو تخليدا لذكرى الحلقات الأزهريه التاريخيه التى كانت أيام إزدهارها من محاسن الدهر وآلاء الأزهر، وكانت فى كثير من الأحيان مجمع الصفوة من الأساتذه والمستمعين.

ويضيف العالم الأزهري الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى فى كتابه الأزهر فى ألف

عام قائلاً: إن الثورة المنشودة التى يتطلبها المسلمون من الأزهر لا يمكن أن يصنعها قانون، بل لابد أن تشتعل روحها أولا وقبل كل شئ فى نفوس العلماء والطلاب.

ويعدد الدكتور خفاجي مأخذه على قانون التطوير على النحو التالى:

(١) أخِذَ على القانون إنشاء كليات علميه جديده لا صلة لها بالدراسات الإسلاميه، فشكلت بذلك عبئا ماديا وإداريا، مع بُعْدها عن رسالة الأزهر، وكان يمكن السماح لطلبة الثانوية الأزهريه دخول هذه الكليات فى جامعات مصر المختلفة خاصة الجديدة منها فيتحقق الغرض الذى قالوا به."قالوا نريد أن نخرج الطبيب المسلم والمهندس المسلم ... من الأزهر الشريف للعمل فى البلدان الإسلاميه المختلفه ليقوم بواجبه وبواجب الدعوة، وهى كلمة حق أريد بها باطل كما يقولون ـ كان الغرض الفعلي هو إبعاد الأزهر عن رسالته التى يؤديها للإسلام والمسلمين على مر العصور، وذلك طبقا لما رسمه دنلوب أيام الإحتلال الإنجليزي لمصر" (١).

(٢) نص القانون على إدماج مناهج المعاهد الثانويه والإبتدائيه من مناهج المدراس الحكوميه مع الإبقاء على مناهج علوم الدين، وبذلك تضمن القانون الإرهاق الكامل للطالب مع ضعف مستواه فى الدراسات التى تؤهله لدراسات علوم الدين، وأيضا لن يبرز فى العلوم الحديثه الأخرى.

(٣) انتقد وجود كليه الدراسات العربيه وهى لا تزيد عن كلية آداب لتحل محل اللغة العربيه" وذلك حتى يمكن اسقاط المواد التى لا يريدونها خاصة العلوم الدينيه" (٢).

لقد جاء تطوير الأزهر نكبة على الأزهر والأمة بعد أن ألغيت هيئة كبار العلماء لينتفي المضمون الإسلامي لها وحل محلها هذا المجلس الذى يصبح من ضمن أعضائه خبراء التعليم والإداره من مختلف التخصصات ولا يمنع أن يكون بينهم ذو الفكر العلماني وذو الأفكار الهدامه التى تبعد عن الفكر الإسلامي.

جاء تطوير الأزهر نكبه على الأمه بعد أن فصلت المواد الشرعيه عن المواد العلميه واستعانوا للتدريس بالجامعه بأساتذه تخرجوا من جامعات .. يدينون بالولاء

(١) هامش المرجع السابق ص١١٧.
(٢) نفس الهامش.

للغرب وليس للإسلام .. لم يهتموا بالصبغة الإسلاميه، وأصبحت الفجوة كبيرة بين العلوم الدينيه والعلوم الغربية، وكان الأولى أن يدرس طلاب التجارة البيوع الإسلاميه وفقه المعاملات، وأن يدرس طلاب العلوم الآيات الكونيه والإعجاز العلمي فى القرآن والسنه، ويدرس طلاب الهندسه العمارة الإسلاميه، وأصول التخطيط الإسلامي والمدن الإسلاميه، ويدرس طلاب الطب آداب المهنه وشروط الطبيب المسلم، وتراث المسلمين الطبي .. وكان الأولى أن يقوم بتدريس اللغات الشرقيه الأندونيسيه والباكستانيه والأورديه حتى يكون الطالب معدا للدعوه فى تلك الدول، بدلا من الاقتصار على التدريس بالإنجليزية المسمومة.

لقد نسف التعليم الأزهري من داخله بحذف أو تخفيض المواد الشرعيه والعربية ولم تعد كما كان، فتآكل الفقه والتفسير وعلوم الحديث والتاريخ الإسلامي والمنطق الإسلامي خطوة خطوة كما خطط لها كرومر ودنلوب وأذنابهم من الأمه.. وجاء التطوير ليؤكد تبعية الأمه المسلمه للغرب والركوع فى محراب ثقافته.. وليؤكد دور الخونه من قادة الأمه ومفكريها، فى التمكين للغزو الثقافي اليهودي والأمريكي !!



من صور التآمر الأجنبي على التاريخ الإسلامي بعد إنقلاب يوليو سنة ١٩٥٢

قدم المسئولون عن إبادة الحركة الإسلاميه فى مصر عام١٩٦٥أ_ ١٩٦٧م إلى الرئيس جمال عبدالناصر، وثيقة خطيرة - أقرت ونفذت حرفياً - تتحدث عن لجنة عليا مشكلة من رئيس مجلس الوزراء، وقائد المخابرات، وقائد المباحث الجنائيه العسكريه، ومدير المباحث العامه، ومدير مكتب المشير.

تشكلت اللجنه بناء على أمر السيد رئيس الجمهورية لدراسة واستعراض الوسائل التى استعملت والنتائج التى تم التوصل إليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين، وقد توصلت اللجنة فى تقريرها إلى أن: تدريس التاريخ الإسلامي فى المدارس للنشئ بحالته القديمه يربط السياسه بالدين فى "لا شعور" كثير من التلاميذ منذ الصغر، ويسهل ظهور معتنقي الأفكار الإخوانيه ولهذا أوصت اللجنه بإتباع سياسه وقائيه عامه جاء فيها:

(١) ضرورة تغيير مناهج تدريس التاريخ الإسلامي والدين فى المدارس وربطهما بالمعتقدات الإشتراكيه كأوضاع إجتماعيه وإقتصاديه وليست سياسيه، مع إبراز مفاسد الخلافه وخاصة زمن العثمانين وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة.

(٢) التحرى الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الإخوان فى كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها.

(٣) التوقف عن السياسه السابقه فى السماح لأى متدين بالسفر للخارج للدراسه أو العمل حيث فشلت هذه السياسه في تطوير معتقداتهم وسلوكهم. [١]

كان هذا فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر، أما فى عهد الرئيس أنور السادات فقد جاء فى التقارير المرفوعه إليه بخصوص مكافحة التطرف الإسلامي أنه قد تبين أن

(١) انظر إلى حسين بن محسن بن علي جابر - الطريق إلى جماعة المسلمين - دار الدعوة ص٤٣٢-٤٥٥، ود. جمال عبدالهادي، أ. علي أحمد لبن - التطوير بين الحقيقة والتضليل ص٥٣.

تدريس التاريخ الإسلامي للنشئ فى المدارس بحالته الموجوده والتى تم تطويرها فى الخمسة عشر سنه الماضيه مازال يربط الدين بالسياسه فى لاشعور كثير من التلاميذ منذ الصغر، مما يؤدى إلى ظهور معتنقى الأفكار الإسلاميه.

لذلك كان التأكيد ثانية على إعادة النظر فى مناهج تدريس التاريخ الإسلامي والدين عامة فى المدارس والعمل على تغيير هذه المناهج لربط الدين بالأوضاع الإجتماعيه والخلقيه وليس مع السياسه مع إبراز مفاسد الخلافه وخاصة زمن العثمانيين وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسه وإقصائها عن السياسه.

كما كان التأكيد على الإهتمام بالاستمرار والإسراع فى سياسة تطوير الأزهر إلى جامعه كلاسيكيه حتى يتوقف سيل الخرجيين من محترفى الدين، وحتى يمكن تطوير سلوك وأفكار الأئمه والمدرسين ورجال الدين وإعادة النظر فى التكوين الفكري المرتبط بالنظريات الإسلاميه القديمه وتسليط الدعايه والإعلام على مجددى ومطورى الدين مثل طه حسين وخلافه. [1]

المنظمات الدوليه وإفساد مناهج التعليم [2]

منظمة الإسلام والغرب

تكونت هذه المنظمة تحت رعاية منظمة اليونسكو التعليمية UNESCO التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وبالتعاون مع المنظمه العربية للتعليم والثقافة ALESCO التابعه لجامعة الدول العربية، حيث عقدت ندوة استشاريه حول التوصل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب فى فينيسيا (البندقيه) بإيطاليا فى المدة من ١٦ : ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٧٧م، وكان المشتركون فى الندوة خمسه وثلاثون منهم عشرة من المسلمين وخمسه وعشرون من الغربيين من أعلى المستويات التعليمية والسياسيه منهم هاريسون براون الرئيس الأسبق لأكاديمية العلوم الأمريكيه ومن أبرز علماء الذرة فى العالم، واللورد كارادون الممثل السابق لبريطانيا فى الأمم المتحدة ومحرر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢،

---

(١) تعاون في إعداد هذه التقارير صفوة رجال الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية، وبعض استخبارات الدول العربية.
(٢) المرجع السابق ص٢٧-٢٩.

وهو الذى تولى رئاسة المجلس التنفيذي لهذه الجمعيه المشبوهه والسيد هارولد بيلى سفير بريطانيا السابق فى مصر وممثلان عن الفاتيكان وغيرهم.

وقد شكلت الندوة لجنه إسلاميه لتضع دستورا لمنظمة الإسلام والغرب، وتتكون هذه اللجنه الإسلاميه من ثمانية أعضاء أربعة من المسيحيين من الغرب، ويضاف إليهم رئيس هذه المنظمة الدكتور معروف الدواليبى (مستشار الملك خالد ملك السعوديه رحمه الله)، والسيد براون، والمدير العام اللورد كارادون، على أن تجتمع اللجنه فى فبراير سنة ١٩٧٨ فى باريس لتستخلص الأهداف من المناقشات العامه التى تمت فى فينيسيا توطئة لتقديم اقتراح بدستور المنظمه، وذلك للعمل بوجه خاص لاخراج كتب للمراحل الإبتدائيه والثانويه والتعليم العالى والإذاعة والتليفزيون ودور النشر.

فى المده من ٣ ـ ٦ أكتوبر ١٩٧٩ عقد المؤتمر التأسيسي لجمعية منظمة الإسلام والغرب حيث أصدرت برنامجا حظي بالقبول وكان عنوان هذا البرنامج هو مراجعة كتب تدريس وتطوير المادة التعليمية بوصفها السبيل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب، وجاء فى قائمة محتويات البرنامج ما يؤكد على الإتجاه العملى البراجماتى أى النفعى الأمريكى، ويؤكد أيضا على مراجعه الكتب المدرسيه، وإعداد المادة الدراسيه ...إلخ.

برنامج عمل منظمة الإسلام والغرب

- جاء فى برنامج عمل منظمة الإسلام والغرب ص ٧: "إن مؤلفي الكتب والمدرسين لا ينبغي لهم أن يسمحوا لأنفسهم بأن يصدروا أحكاما على القيم سواء صراحة أو ضمناً.كما لا يصح أن يقدموا الدين على أنه معيار أو هدف، وعليهم أن يجتنبوا الخوض فيما يتعلق من الماضي بالحاضر أو القيم الشخصيه التى تتسم بالمفارقات التاريخيه"، "ومن المرغوب فيه أن الأديان يجب عرضُهَا ليَفهَمَ منها التلميذ ليس خصائصها الأساسيه فقط، ولكن أيضاً ما تشترك فيه مع غيرها من الأديان ـ على وجه العموم وذلك فى القطر الذى يتم فيه التدريس".
- وفى ص ٨: "ويلزم فحص الكتب الدراسيه التى قامت بتقديم المظاهر الدينيه على أن يقوم بذلك علماء من مختلف التخصصات، وكذلك أعضاء من أصحاب العقائد الأخرى وكذلك من اللادينيين".

- وفى ص ١٠: "يلزم أن نقرر من هم الخبراء القادرون بصورة كافيه للإسهام فى مهمة المراجعه - مراجعة كتب التاريخ - هل هم الأكاديميون حتى تظل فى دائرة التاريخ.أم الشخصيات السياسيه حتى تتحول القرارات إلى تطبيق عملي؟ أم المبرزون من المؤرخين ومحررى الكتب الدراسيه الذين قد لا يكونون من المتخصصين دائماً.. ويلزم أن نضيف أنه فى الغرب تتردد السلطات السياسيه أحيانا فى أن تفرض شيئا على المحررين والمدرسين باسم الحريه العمليه التعليميه واستقلالها،فى حين أن جُلّ هذه المشكلات ليس أكاديمياً مجرداً ولكنه عملي".
- وجاء فى ص ١٢: "إن على جمعية الإسلام والغرب أن تتولى زمام المبادرة فى مراجعة الكتب الدراسيه، وأن الفتره التى تمر بها تُعدّ مواتيه لتشجيع كافة الأطراف فى آن معاً (المسلمين والغرب) على مراجعة الكتب الدراسيه، وهذه العمليه تتطلب إعداداً دقيقاً ومنحى جديداً، بالإضافه إلى خطوات يتقبلها الجانبان".

ويعلق أصحاب كتاب التطوير بين الحقيقة والتضليل ص ٢٩ فيقولون:

كل هذه القرارات غير قابله للتطبيق إلا فى البلاد الإسلاميه، وقد طبقت بالفعل فى مصر ودولة الإمارات العربيه، أما دول الغرب ومنها أمريكا فإنه لا يسمح بتدخل الحكومه سياسياً، فى تغيير أى منهج حتى بالنسبه للولايات الفيدراليه فالعمليه التعليميه عندهم بعيده عن أصابع العبث والتذبذب أو غيرها، فتربية النشئ عندهم تخضع لسياسات ثابته تخدم القضايا القوميه، وما ذكر عن ضرورة تحول القرارات إلى تطبيق عملي وفرض ذلك بالقرارات السياسيه غير مقبول فى مجتمعات الغرب ولا يقصدون به إلا مجتمعاتنا، وهو ما تسعى إلى تحقيقه جمعية الإسلام والغرب فى بلادنا للأسف.

اليونسكو وتشويه التاريخ الإسلامي

جاء العلم، وجاء العلماء بألف دليل ودليل على وحدة الأرض وما عليها، ووحدة السماء.ومن هذه الوحده درج الناس والعلماء إلى وحدة رب هذه الأرض ورب السماء سبحانه وتعالى.

ومع هذه بقيت فى العلماء بقية تقول بالخلق والتخلق، وتنكر وجود الله. ومن هذه البقية العالم الإنجليزي، جوليان هكسلي Julian Huxley، فكتب كتاباً أسماه "الإنسان

يقوم وحده "Man Stands Alone" [١].

تولى جوليان هكسلى رئاسة اللجنه التحضريه للمؤتمر التأسيسي الأول لليونسكو، فوضع فى كتابه (اليونسكو وأهدافها وفلسفتها) نظرية أسمها (الإنسانية الإرتقائيه) لتحل محل الأديان والفلسفات المحلية وذلك بحجة تذويب الفوارق الثقافية بين الشعوب لتجنب الصراعات الدولية.

تبنت اليونسكو الفكر الإلحادي وبدأت منذ إنشائها تتحيز ضد الإسلام والمسلمين وظهرت مؤلفاتها التى صدمت مشاعر كل مسلم يعتز بدينه، وصدر عنها ستة مجلدات بها الكثير من الأكاذيب والمغالطات حول الإسلام والمسلمين [٢].

حقيقة اليونسكو

يؤكد الباحثون أن اليونسكو فرع من فروع هيئة الأمم المتحدة، يسيطر عليه اليهود ويخدم أغراض الصهيونية متذرعه باسم العلم والفن والثقافة، ويحسن الظن بها بعض المسلمين، وتتباهى بعض الدول الإسلامية بأن لديها مكاتب تابعه للأمم المتحدة [٣].

جهود التسوية وجنايتها على التعليم العربي الإسلامي

من البديهيات التى لا تغيب عن بال أى متتبع لجهود التسويه السلميه مع اليهود ابتداء من إتفاق كامب ديفيد عام ١٩٧٩ حتى إتفاق واشنطن عام ١٩٩٥ الفلسطيني اليهودي، أن إطار ونطاق هذه التسويه لا يقف عند حدود السياسه والاقتصاد وإنما يتعدى ذلك إلى المجالات الإجتماعية والثقافية.

تأثير التسويه على نظم التعليم العربية

فى ظل حالة القصور التى تعانى منها الأنظمة التعليميه العربيه، وحالة الوهن التى

(١) انظر مقدمة كتاب العلم يدعو للإيمان - كريس موريسون - ترجمة محمود صالح الفلكي - مكتبة ؟؟؟.
(٢) انظر كتاب التطوير بين الحقيقة والتضليل.
(٣) الأمم المتحدة ٨٠٪ من موظفيها يهود، حيث تضم اربعة الاف موظف يهودي بين خمسة آلاف موظف - والسكرتارية العامة للأمم المتحدة ٩٠٪ من موظفيها يهود، أما منظمة اليونسكو فهي يهودية روحًا ودمًا. (انظر أنور الجندي - معالم التاريخ الإسلامي المعاصر - دار الإصلاح).

تعيشها الثقافة العربيه يأتى المشروع الصهيوني للنظام الشرق الأوسطي بما يتضمنه من تطبيع ثقافي وإقتصادي وعقدي للمجتمعات الإسلاميه.

إن مفهوم المشروع الصهيوني الإقليمي للشرق الأوسط كما تراه الدولـه العبريه لا يقتصر على إنشاء نظام سياسي إقتصادي فى المقام الأول فحسب بل يتضمن الجانب الثقافي الذى سوف يمهد للنظام السياسي ويعطيه مشروعية وجوده، وقد بدأ ذلك منذ كامب ديفيد بالترويج لمقولة السلام الذى سيجلب الرخاء والتنمية والاستقرار فى المنطقة ليس من خلال النظام الصهيوني فقط بل شاركت فى ذلك مؤسسات أمريكية ومؤسسات دولية.

يسعى المشروع الصهيوني إلى عولمة القيم، ونشر وترسيخ حالة ذهنية أو سيكولوجيه لدى العرب تجعلهم تدريجياً بلا بُعد تاريخي ولا هويه، وذلك عن طريق تغيير ملامح المنطقة وإهدار تاريخ الأمة العربية المسلمة والثقافة والتراث.

ولعل التعليم هو أحد المداخل الرئيسية الهامة لتمرير هذا المشروع، عن طريق إعادة صياغة عقل ووجدان الأجيال الجديدة، وتهيئة المسرح التربوي لتقبل القيم التى تخدم أهداف المشروع الثقافي الصهيوني.

وتشير الدراسات الحاليه إلى النقص الشديد فى المعلومات المقدمة للطلاب العرب عن الحق العربي والقضية الفلسطينية، وإلى تهميش المفاهيم الإسلامية والوحده، وتكريس النزعات الإقليمية والقطرية، بل والقبلية أيضاً، وهذا من شأنه يجعل فكرة الشرق أوسطيه والمشروع الصهيوني أمرا مقبولا لدى الفرد، كذلك تكرس الخلافات السياسية والنزعات الإنفصالية مما يمهد لسيطرة اليهود على المنطقة وقيادتها.

كما تشير الدراسات إلى تحسين صورة إسرائيل عبر المناهج الدراسية فى نفوس النشئ بإعطاء صورة طيبة عنها بإعتبارها عدو الأمس وصديق اليوم متناسين الإجراءات القمعية التى يقوم بها اليهود ضد الفلسطينين وهجومهم المستمر على الشعب اللبناني.

تغيير المناهج التعليمية [1]

بالرجوع إلى نصوص إتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨م نجد أنها استهدفت إعادة صياغة العقل المصري ليتقبل ما يسمى بأرض الميعاد حيث أكدت الإتفاقية على:

- ضرورة فتح الحدود مع إسرائيل وتبادل المعلومات والثقافة والعلوم معها.
- ضرورة مراجعة البرامج الدراسية فى كلا الجانبين - مراجعة شاملة - وفحص ما يدرس فى مصر عن إسرائيل، وما يدرس فى إسرائيل عن مصر والعرب، وتحديد ما يجب حذفه من برامج التعليم الحاليه، وإضافة المواد الجديدة المرغوب فى دراستها.
- ضرورة إزالة المفاهيم السلبية تجاه إسرائيل فى الإسلام ... إلخ.
- وقد صرح اسحق نافون رئيس الكيان الإسرائيلي السابق فى خطابه بجامعة بن جوريون أمام الرئيس السادات فى ١٩٨٠/٥/٢٧ بأن تبادل الثقافة والمعرفة لا يقل أهمية عن الترتيبات العسكرية والسياسية. وصرح أيضا فى خطابه أمام قيادات الحزب الوطني بمصر فى ١٩٨٠/١٠/٢٨ بأن أى صياغة أدبية أو دينية تخالف التصورات الإسرائيلية تُعدُ مساسًا بالسلام الإسرائيلي.
- وفى جامعة تل أبيب عقدت ندوة يوم ١٩٨٠/٢/١٩ حول دعم السلام بين مصر وإسرائيل أثار اليهود فيها موضوع ما ورد في القرآن الكريم من اتهامات ضد اليهود.
- ونشرت صحيفة الرأي الأردنية في ١٩٨١/٩/١٠م أن بيجن رئيس وزراء إسرائيل طلب من الرئيس السادات تغيير كتب التاريخ والقرآن الكريم، وذلك عند زيارته لمصر فى ١٩٨٠/٨/٢٥م حيث قال للسادات أنهم لن يرضوا أن يستمر الطلبة فى مصر يدرسون كتب التاريخ التى تتحدث عن إغتصاب إسرائيل لفلسطين، وكتب التربية الإسلامية التى تحتوي على آيات تندد باليهود وتلعنهم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[2]، وذكرت

(١) المرجع نفسه.
(٢) المائدة ٨٢.

الصحيفة أن السادات استجاب على الفور لطلب صديقه بيجن، وأمر بإعادة النظر فى المناهج الدراسية.

الدعم الأمريكي لتغيير المناهج

كانت المعونة الأمريكية والقروض المشروطة أول مَنْ تقدم بالدعم المادي والمعنوي للمشروع الصهيوني فى تغيير مناهج التربية والتعليم فى البلاد العربية تحت إسم تطوير المناهج التعليمية.

اشترطت القروض الأمريكية أن تحقق لأمريكا النفع ولو أدى ذلك الإضرار بنا تمشياً مع مذهبهم البراجماتي.

قدمت أمريكا قروضا ومعونات لإنشاء المدارس بشرط تعميم الاختلاط وآثاره المدمرة بين الطلبه والطالبات فى مرحلة المراهقة، كما قدمت الوسائل التعليمية التى تخدم مخططات الصهاينة فى إغتصاب ديار الإسلام، وتجهيل الطلاب بالقضية الفلسطينية عبر الخرائط الجغرافية.وفى مجال المراكز البحثية التابعه لوزارات التربية كانت القروض والمعونات الأمريكية ذات آثار تدميرية بعد إختيار المناهج التعليمية التى تشيع السفور والزنا وكل ما يدمر البنية الأخلاقيه للشباب والشابات.

دفعت المعونة الأمريكية بالخبراء والمستشارين اليهود الذين يحملون الجنسية الأمريكية بموافقة الحكام العرب فى مصر والبلاد الغربية ليقوموا بمهمة التخطيط لتطوير المناهج التربوية فى البلدان العربية، وبدأت اللجان بمصر أولا ثم انتقلت بعملها بعد ذلك إلى بعض الدول العربية بهدف التحديث والتطوير.

تفريغ مناهج وزارة التربية والأزهر من المحتوى الإسلامي (١)

سعى التطوير إلى طمس عقيدة الأمة وتذويب هويتها، وتغريب تقاليدها،فحذفت كتب التاريخ الإسلامي وتقرر بدلا منها تاريخ الوثنيات القديمه التاريخ الفرعوني وغيره ليحل محل تاريخ الإسلام، كما حذفت العبارات والموضوعات الإسلامية مْن كتب القراءة والفلسفة والتربية الوطنية، وحذفت مواد التفسير والحديث والتوحيد والمنطق من بعض الصفوف الدراسية.

---

(١) المرجع نفسه.

- في المرحلة الإبتدائية استبعد كتاب التاريخ الإسلامي وتقرر بدلا منه التاريخ الفرعوني.
- وفى المرحلة الإعدادية ألغي أكثر من ثلثي كتاب التاريخ الإسلامي ليحل محله تاريخ الوثنيات القديمة وتقلص الثلث الباقي، واختصر فيه التاريخ الإسلامي اختصارًا مخلاً مشوهاً ومحرفاً.
- وفى المرحلة الثانوية أضيف تاريخ أوروبا فى العصور الوسطي على تاريخ الإسلام مما أدى إلى إنكماش تاريخ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان إلى بضعة أسطر.
- كما الغى تاريخ صلاح الدين وكل ما يربط الطالب بوطنه وقيمه وتاريخه فى كتاب اللغة الإنجليزية وتقرر بدلا من ذلك موضوعات عن الرقص والغناء وكل ما يربطه بالحضارة الغربية.
- تقرر فى كتب القراءة الجديدة موضوعات قصص الحب لنجيب محفوظ بدلا من موضوعات شجاعة عبدالله بن الزبير والجهاد فى سبيل الله والفروسية والشجاعة.
- وتقرر فى كتب التربية الإسلامية موضوعات حياة السيد البدوى وتحليل الربا والغناء والموسيقى بدلامن حياة الصحابة ووجوب تطبيق الشريعة الإسلامية وتحريم الربا والخمور.
- استبعدت موضوعات التربية وعلم النفس وتقرر بدلا منها موضوعات مفرغة من المحتوى الإسلامي وهدي الرسول ﷺ تحض على الإنحلال الخلقي والإنحراف العقدي.

موقف علماء مصر وكُتّابها من مؤامرة التطوير[1]

وقف كبار كتاب مصر من عملية حذف الآيات القرآنية من المناهج التعليمية، ودافعوا بقوة منهم الدكتور جمال عبدالهادى وآخرون فى كتب (التطوير بين الحقيقة

(١) انظر د. جمال عبدالهادي وآخرون - التاريخ بين الحقيقة والتضليل - التطوير بين الحقيقة والتضليل (الداء)، (الداء والدواء)، الأستاذ على أحمد لبن: المؤامرة على الأزهر ومطمعه، الغزو الفكري في المناهج الدراسية، (النخبة من خبراء التعليم)، سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية - الوفاء للطباعة والنشر.

والتضليل) والدكتور محمد سيد أحمد فى كتابه (الغـزو الثقـافي والمجتـمع العربـي المعاصر).

كما كتبت الصحفية المصرية مايسة عبدالرحمن سلسلة موضوعات صحفية عام ١٩٩٣م.حول ما أطلق عليه تطوير التعليم تبين فيها أن التطوير يعنى إختزال التاريخ الإسلامي فى مراحل التعليم المصري الإبتدائي والإعدادي والثانوي.. ويعنى حذف غزوات الرسول ﷺ والتآمر اليهودي فى عصر النبوة.

كما تصدى لهذه المؤامرة كل من الكاتب الإسلامي فهمي هويدى فى مقال بعنوان (فتنة فى الأرض وفساد كبير).. نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٤/٦م.

وأيضا كتب الدكتور مصطفى محمود فى جريدة الأهرام مقالا بعنوان (تطوير أم تزوير) نشر فى جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٤/١م. قال فيه:

> إن الجهات المسئوله حذفت واختصرت جانب كبير من التاريخ الإسلامي، وحذفت من المقررات القديمة المعارك التى خاضها الرسول ﷺ ضد اليهود فى خيبر وبنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة.. ومؤتة.. وتبوك..، وقصفت كل ما هو إسلامي فى تاريخنا، وعمقت كل ما هو فرعوني.
>
> ومضى الدكتور مصطفى محمود فى مقاله المشار إليه قائلا: [وهذه العملية التطويرية باشرها ٢٩ أستاذاً ومستشاراً أمريكياً بينهم اثنان من اليهود بتمويل من المعونة الأمريكية. والسؤال أين كانت وزارة التربية والتعليم ورجالها الأفاضل..وكيف يقبل مثل هذه التوصيات من لجنة أمريكية.. وهل أصبح التاريخ الإسلامي قابلا للبيع والحقائق التاريخية قابله للمساومه.. وهل يتغيو التاريخ لمجرد أننا عقدنا سلاماً مع اليهود، وهل شطبت فرنسا حملة نابليون على مصر حرصا على علاقاتها مع مصر.. أو هل شطب اليونان ومقدونيا حملة الإسكندر المقدونى على بلادنا على سبيل المجاملة..هل نشطب من القرآن ما قاله الله فى حق اليهود مجاملة لأولاد العم !!.
>
> من قال أن الصراع العربي اليهودي قد إنتهى وأن الدوله العبرية أخذت العرب بالأحضان ولو أخذتهم بالأحضان وأغرقتهم بالقبلات فلن يتغير شئ مما كان ومما سجلته صحائف التاريخ، فحقائق التاريخ لا تسقط بالتقادم].

الخلاصـــــة

إن واقع التعليم فى بلاد المسلمين اليوم ينذر بخطر كبير، وقوى الشر من اليهود والصليبين المعادية للإسلام والمسلمين تجعل من قضية إفساد التعليم غاية استراتيجية لها من أجل خلق أجيال بلا هوية، ومنسلخة عن دينها..أجيال مفرغة من ضميرها الديني بلا خلق ولا قيم.

ويتساءل المرء لماذا لا تدرس التربية الدينية فى الجامعات إلا فى قسم اللغة العربية بكليات الآداب ودار العلوم وهى دراسة محدودة فى بعض بلدان العالم الإسلامي ولماذا تم تخفيف مناهج التربية الدينية فى مدارس التعليم العام؟ ولماذا لا تضاف إلى مجموع الدرجات؟؟

كم يتمنى المرء أن تكون مادة التربية الدينية ذات قيمة ومقام، ولها أهميتها وكيانها فى سياق المواد التعليمية داخل الجامعات والمدارس.

إن العدو الصهيوني فى فلسطين المحتله يجعل من التوارة محور الحركة والسكون فى المجتمع اليهودى، ولا يخجل من ذلك، بل يجعل من الدين وسيلة لشحن الوجدان الإجتماعي ضد العرب والمسلمين، ومن أجل التفوق والابداع والانتماء والقتال واستلاب الأرض العربيه المسلمه.

إن البعض فى بلادنا يريد إختزال الإسلام فى دائرة المسجد الذى تهيمن عليه السلطه، حيث تتحول المفاهيم الإسلاميه إلى مفاهيم أخرى غريبة وشاذة يمكن تسميتها بالإسلام الأمريكى أو الإسلام الإسرائيلي !! ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الفصل الثالث

طمس الحقائق التاريخية فى كتب التاريخ المدرسية

- مصادر التاريخ الإسلامى.
- أقسام التاريخ.
- أصحاب الجمل وعلى ﷺ.
- معاوية بن أبى سفيان ﷺ.
- الدولة العثمانية.
- السلطان عبد الحميد الثانى.
- الحروب الصليبية.
- الحملة الفرنسية.
- محمد على باشا.
- الإكتشافات الجغرافية.

طمس الحقائق التاريخية فى كتب التاريخ المدرسية

تمهيد

تعرضت الأمة المسلمة لأكبر عملية خداع تاريخية، وما زالت، يقصد بها طمس ذاكرتها، حتى يسهل قطع حاضرها عن ماضيها، فلا تعود تذكر إلا هذا الحاضر المتفسخ العاجز الذليل فتيئس، وتغلب على أمزها وتستسلم للواقع وحيل بين هذه الأمة وبين تاريخها الحقيقي بأسلوب علمي ذكي مخطط ومدروس.

قامت مراكز الابحاث التاريخية فى الغرب بأكبر عملية تزييف للتاريخ، وتولى عملية التزييف هذه جيش من المستشرقين ، ومن قاموا بتربيتهم من الأساتذة المسلمين .. لم يحدث قط فى أية فترة من فترات التاريخ أن تعرض تاريخ أمة لمثل هذه العملية المنظمة والمكثفة من التزييف.

ولما كان للكتاب المدرسي أهمية بالغة فى تحقيق أهداف السياسة التعليمية — أدرك ذلك أعداء الأمة – لذلك تسللوا إليه فى غفلة من جماهير الأمة الإسلامية، ودسوا فيه الأفكار والموضوعات التى تهدف إلى تخريخ أجيال ملحدة، وكافرة بكل القيم الإسلامية، فبسطوا فيه موضوعات غير ذات صلة بالدين، وليس لقضايا الإيمان بالله أو الأخلاق الإسلامية فيها نصيب، وتناولوا فيها تفصيلات لا لزوم لها، شغلت المساحات الواسعة التى تهدر أوقات الطالب والمعلم وولى الأمر.

وفى الوقت ذاته ضغطت الموضوعات الإسلامية، واختزلتها، وعرضتها عرضاً سيئاً مشوهاً لا يغرس فى نفوس الطلاب إعجاباً ولا إعتزازاً بماضى الأمة.

ويعجب المرء حين يتصفح كتب التاريخ المدرسية فى مؤسساتنا التعليمية ويرى مدى حرص الإستعمار الصليبي ومن ورائه قوي الصهيونية العالميه على حجب الحقائق التاريخية وتزييفها ليتم استقطاب أبناء المسلمين وبناتهم عن دينهم وتراثهم الحق، وليسهل عليهم السيطرة على عالمنا الإسلامي ثقافياً وإقتصادياً وعسكرياً.

وإنه لمن المؤلم حقاً أن يرى الباحث المسلم من الكذب والتزوير والإفتراء فى العديد من الدراسات التاريخية التى كتبت وأقرتها الفئة العلمانية، أو تلك الدراسات التى

كتبتها أيد صليبية أو صهيونية كان لها اليد الطولي فيما وصلنا إليه ثم يقف متفرجاً لا يحرك ساكناً.

إن كل بلاد العالم تكتب تاريخها إلا هذه الأمة تركت الآخرين يكتبوا تاريخها كما يشاؤون وفق رغباتهم ونزعاتهم السياسية..لقد كتب اليهود والمستشرقون تاريخنا حسبما أملته عليهم أهواءهم ونزعاتهم الدينية !!.

لذلك فقد آن الأوان لكتابة تاريخ الأمة بروح موضوعية ومن جديد وبأسلوب ودراسة علمية مجردة لتنوير الرأى العام والجيل الجديد الذى ما يزال يتخبط فى خضم الكتابات المزيفة المضللة بدلا من الحقائق التاريخية المجردة.

إن المأساة الكئيبة أن المسلمين يجهلون تاريخهم الحقيقي .. ولابد من إعادة النظر فى تاريخنا الذى نُدَرسَهُ لأجيالنا ضمن مناهج التعليم.

مصادر التاريخ الإسلامي والحقيقة التاريخية

إن مصادر التاريخ الإسلامي بحالتها الراهنة لا تعبر تعبيراً حقيقياً عن الأحداث التاريخية ومن الغريب أن يقبل عليها كتاب التاريخ الإسلامي يأخذون منها دون تمييز الخبيث من الطيب، والصحيح من الضعيف.

لقد استغل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى وأتباعهم من الأعراب صبيانهم فترات الفتن والخلافات السياسية المذهبية، فاختلقوا الروايات التى تظهر صحابة رسول الله ﷺ بمظهر الذين باعوا دينهم وأنفسهم من أجل المال وزينة الحياة الدنيا.

والمسلم لا يمكنه التسليم بهذه المهازل عن رجال الصدر الأول ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [1] والذين قال عنهم النبي ﷺ "... فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه"[2]

يؤكد **الإمام الطبري** أنه روى أخباراً شنيعة لا تُقْبل، وذلك أداءً للأمانة نقلا عن

(١) الحشر ٨.
(٢) عن حديث لرسول الله ﷺ رواه الأربعة فى الجامع للأصول ص ٣٠٤

غيره فيقول: (فما يكون فى كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماجنين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يُعرف له وجهاً صحيحاً ولا معنى فى الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا وإنما أتى من بعض ناقليه إلينا وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا)(١)

ويقول المؤرخ المسلم **عبدالرحمن بن خلدون**:

"وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالطات فى حكايات الوقائع التاريخية لإعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبايع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة فى الأخبار، فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط"(٢)

لقد وقع التاريخ الإسلامي ضحية مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على أصول الإسلام وإلباس الباطل ثوب الحق، والطعن فى رجال الإسلام وقادته لإثبات أن المسلمين لم يثبتوا على دينهم إلا فترات قليلة من تاريخهم الأول ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة الأهواء كغيرهم من أصحاب الملل والنحل.

يقول الدكتور **عبدالمنعم ماجد**: "يجب الحذر فى تلقى الروايات لأن معظم الكتب عن الدولة العربية، وصلتنا من العهد العباسي الذى كان فى عداء مع العرب..يجب تحرى صحة الحقيقة التاريخية لأن قصد مؤرخى الإسلام الأوائل، لم يكن غير استيعاب الأخبار والمحافظة على كيفية اتصالها."(٣)

ويفسر هذا الموقف القاضى الأندلسي **"أبى بكر بن العربي"** فى كتابه "العواصم من القواصم"، رافضا التسليم بمعطيات المؤرخين، ومعترضا على طرائقهم فى تلفيق الروايات المتعارضة قائلاً بأن الروؤساء وذوى السلطة ساعدوا على إشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم فى مثل أفعالهم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا.

إن معيار الأخبار فى تاريخ كل أمة الوثوق من مصادرها، والنظر فى ملائمتها

(١) أنظر سالم على البهنساوى ـ الغزو الفكري للتاريخ والسيرة ـ دار القلم ـ الكويت ـ نقلا عن المسلم المعاصر العدد ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٤٠٢ ص ٢١
(٢) المقدمة ج١ ص٨
(٣) التاريخ الإسلامي للدولة العربية ج١

لسجايا الأشخاص المنسوبة إليهم، وأخبار التاريخ الإسلامي نقلت عن شهود عيان ذكروها لمن جاءوا بعدهم، وهؤلاء رووها لمن بعدهم. وقد اندس في هؤلاء الرواة أناس من أصحاب الأغراض، زوروا أخباراً على لسان آخرين وروجوها في الكتب إما تقرباً لبعض أهل الدنيا، أو تعصباً لنزعة يحسبونها من الدين.(١)

المراجع والمصادر التي اعتمد عليها مؤلفوا معظم كتب التاريخ المدرسية

اعتمد مؤلفوا الكتب على مراجع ومصادر معادية للإسلام، تسرب إليها الفكر اليهودي، الأمر الذى أدى إلى تشويه الكثير من حقائق الفكر والتاريخ.

ومن الواضح أن المؤلفين قد تتلمذوا على كتب عمداء الإستشراق ذوو الأصول اليهودية، الذين تعلموا اللغة العربية لغير وجه الله ليبعدوا المسلمين عن دينهم، بعد أن كلفتهم الكنيسة بمواجهة الفكر الإسلامي، وصرف أبناء المسلمين عن دينهم الحق، والذين أرَخُوا للعالم من وجهة النظر المادية، متأثرين بثقافتهم المادية، وفلسفتهم المادية، ومتأثرين بالعصبية الدينية، حيث أغفلوا الكثير من القيم التى لا يستقيم تاريخ الحياة،ولا يصح تفسير الحوادث والنتائج بدونها.

تلقف المؤلفون التاريخ من أيدى مؤرخى أوربا الذين جعلوا أوربا فى نظرهم محور العالم ومركزه الدائم، وأهملوا العوامل الأخرى التى أثرت فى تاريخ البشرية.

تناسى المؤلفون أن من نقلوا عنهم قسوس وارساليون ويهود ونصارى متعصبون يضمرون للإسلام العداء والبغضاء، وللأمة الإسلامية السخرية والإستهزاء، ويخونون ويحرفون الكلم عن مواضعه.

ومن هذه المراجع والمصادر التى تعرض التاريخ الإسلامي وغير الإسلامي بمعزل عن المنهج الإسلامي للدراسات التاريخية الذى يقوم على القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ :

- تاريخ العالم – تأليف لفيف من أساتذة الجامعات – ترجمة محمد بدران وآخرون.
- معالم تاريخ الإنسانية – تأليف عدد من أساتذة الجامعات.

(١) القاضى أبى بكر بن العربي – العواصم من القواصم - (تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب) طبعة ١٣٩٠هـ ص ٥٢

- موجز تاريخ العالم – تأليف هـ.ج.ولز.
- موسوعة تاريخ العالم – إعداد لانجر.
- الموسوعة الأثرية العالمية – تأليف ليونارد كوتريل.
- قصة الحضارة – تأليف ول ديورانت.
- حضارة مصر والشرق القديم – تأليف محمد أنور شكرى وآخرون.
- الحضارات السامية القديمة – تأليف س – موسكاتى.
- حضارة العرب – تأليف جوستاف لوبون.
- الشرق الخالد – تأليف عبدالحميد زايد.
- الموسوعة العربية الميسرة – تأليف لفيف من أساتذة التاريخ.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي – حسن إبراهيم حسن
- دائرة المعارف الإسلامية – كارل بروكلمان.
- دراسة التاريخ – تأليف أرنولد توينبي.
- تاريخ التمدن الإسلامي – تأليف جورجى زيدان.[١]

وبالإضافة إلى ما سبق هناك الكثير من المصادر والمراجع غير الموثقة والخطرة التى تحرص على هدم التصور الديني عموما والمعتقد الإسلامي خاصة.

منهج كتابة التاريخ (الذى ينبغى أن يتبع فى دراسة الحضارات القديمة وآثارهم)

- لم يتبع كثير من المؤلفين المنهج العلمي المناسب فى كتابة التاريخ، والذى يسعى إلى تثبيت الفهم الإسلامي الأصيل لتاريخ الأمة المسلمة، والذى يؤرِّخ فيه للتاريخ الإسلامي من خلال التاريخ الإنساني العام، ويبرز العطاء الحضاري الإسلامي، ومدى اسهاماته فى بناء الحضارات.

- يغيب عن المؤلفين الحكم الشرعي فى المخلفات الحضارية، فلم يزنوا آثار الأمم السابقة ومخلفاتها التاريخية بالميزان الشرعي لتأخذ قيمتها الحقيقية فى ضوء ذلك الميزان العادل، حيث لا مغالاة فى تعظيمها وتقديرها، وتكون قيمتها بقدر الخدمة التى أدتها أو تؤديها للناس، كما لا يجوز تعظيم بُنَاتِهَا أو تقديسهم.

---

(١) أنظر د.جمال عبدالهادى – د.وفاء محمد رفعت – منهج كتابة التاريخ الإسلامي – دار الوفاء.

ولقد أرشدنا القرآن الكريم إلى المنهج الذى نتبعه فى دراسة الآثار، وعرّفنا القيمة الحقيقية للآثار بالنظر الصحيح، والإعتبار المثمر الذى يساعد على تربية الفرد المسلم ليكون لبنة صالحه فى بناء المجتمع، وبالسير فى الأرض، والنظر فى سيرنا نظر المستبصر المستفيد الباحث عن أسباب الدمار الذى حل بأصحاب تلك الآثار .قال تعالى:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] ﴿أوَلَم يَسِيرُوا فِى الأرضِ فَيَنظُروُا كيفَ كانَ عاقبةُ الَّذِينَ مِنْ قبلِهِم كَانُوا أشدَّ مِنهُم قوةً وَآثَاروُا الأرضَ وعَمَرُوهَا أكثرَ مِمَّا عَمَرُوهَا.﴾[2] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[3]

- أخبرنا القرآن الكريم أنه لما لم يستقم أصحاب الحضارات القديمة على شرع الله ومنهجه، ولم يصدقوا الرسل الذين بعثوا إليهم أهلكهم الله ودمرهم، وأورث أرض بعضهم قوما آخرين، وبعضها بقيت خاوية خربة لتكون آية للناس.

﴿فَكُلاً أَخَذنَا بِذَنبِهِ فَمِنهُم مَّن أَرسَلنَا عَلَيهِ حَاصِباً، وَمِنهُم مَّن أَخَذَتهُ الصَّيحَةُ، وَمِنهُم مَّن خَسَفنَا بِهِ الأَرضَ وَمِنهُم مَّن أَغرَقنَا.وَمَاكَانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾[4]

هذا هو المنهج الذى كان ينبغى أن يتبع فى دراسة الحضارات القديمة وآثارهم حتى يستفيد الطالب ويأخذ العظة والإعتبار بما أصاب أصحاب هذه الآثار من الدمار والهلاك لما أعرضوا عن عبادة الله وتحكيم شريعته.[5]

- تجاهل معظم السادة المؤلفين لكتب التاريخ المدرسية، الهجرات السامية والحامية التى خرجت من شبه الجزيرة العربية كبداية لتعمير الكون، وتناسى كُتَّاب التاريخ القديم عصور آدم، ونوح، ويوسف، وموسى، وغيرهم من الأنبياء والرسل، والدروس المستفادة من دراستها، وسنن الله الثابته حتى تتعظ الأجيال بما حدث للأولين، وسوء عاقبة المكذبين...إلخ.

---

(١) النمل ٦٩.
(٢) الروم ٩.
(٣) الدخان ٢٥-٢٧.
(٤) العنكبوت ٤٠.
(٥) أنظر منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه – محمد بن صامل السلمي.

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1].

لذلك ينبغى أن يعالج المعلم دروس التاريخ من خلال سنن الله الثابتة التى نلمسها من دراسة التاريخ.

ومن سنن الله الثابتة التى نلمسها من دراسة التاريخ:

- سوء عاقبة المكذبين كقوم نوح ولوط وثمود وآل فرعون وغيرهم، وأن ما جرى لهؤلاء المكذبين سيجرى أيضا للمكذبين فى كل عصر ومكان.
- زوال النعم بالمعاصى لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].
- هلاك الأمم بالترف والفساد والظلم لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[3]

إن دراسة التاريخ ليست مجرد أقاصيص تحكى، ولا هى مجرد تسجيل للوقائع والأحداث، إنما يدرس للعبرة والتربية..تربية الأجيال لتكون لبنات صالحه فى بناء أمتها.

يدرس التاريخ لإستخلاص العبرة التربوية من كل العثرات والإنحرافات والإنتكاسات التى أصابت الأمة، وكذلك من أمجاد الأمة وبطولاتها، ولإبراز المواقف الخالدة لتكون قدوة للأجيال المسلمة..تولد فيها الثقة والإيجابية.

يدرس التاريخ لتبصير الطلاب بما لوطنهم من حضارة عالمية إنسانية عريقة وأمجاد إسلامية تليدة. ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[4]

إن القرآن الكريم يوجهنا إلى أن الهدف من ذكر الحوادث التاريخية أو تعليمها، ليس هو التعصب لقوم أو ملة معينة، ولا مجرد التباهى والتفاخر بالآباء والأجداد، ولكن الهدف هو الإعتبار ومعرفة سنة الله فى إهلاك المفسدين بسبب إفسادهم، ومعرفة سنة الله

---

(١) آل عمران ١٣٧-١٣٨.
(٢) الأنفال ٥٣.
(٣) د.جمال عبدالهادى وآخرون – التاريخ بين الحقيقة والتضليل – دار الوفاء.
(٤) يوسف ١١١.

فى أخذ الحكام والمترفين والأغنياء بسبب ظلمهم و فسقهم عن أمر ربهم وشريعته.﴿سُنَّةَ اللـهِ التي قَدْ خَلَتْ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللـهِ تَبْدِيلاً﴾[1]

من الأخطاء التاريخية فى الكتب المدرسية

أقسام التاريخ الإنساني

التقسيم الأوربي للتاريخ

من الأخطاء التاريخية الشائعة فى الكتب المدرسية وغيرها، تقسيم التاريخ الإنساني حسب المفهوم الأوربي الذى يرتبط بظروف أوربا وموقفها من الكنيسة، فأهدرت بذلك جميع الحقائق التاريخية.

ينقسم التاريخ حسب المفهوم الأوربي إلى ثلاثة عصور:

(١) التاريخ القديم ويبدأ من معرفة الكتابة سنة ٣٢٠ قبل الميلاد، وينتهى بسقوط روما سنة ٤٧٦م. على أيدى القوط الغربيين وإندفاع البرابرة الجرمان وغيرهم يدمرون ويخربون العالم الروماني.

(٢) تاريخ القرون الوسطى ويبدأ من سقوط روما سنة ٤٧٦م. فى يد القوط إلى تاريخ فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م./٨٥٧ هـ. على يد السلطان محمد الثانى الملقب بالفاتح.

(٣) التاريخ الحديث ويبدأ من سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣م حتى اليوم، وتقسم هذه الفترة إلى تاريخ حديث ينتهى بقيام الثورة الفرنسية سنة ١٨٣٠م/١١٩٣ هـ، وتاريخ معاصر يبدأ من الثورة الفرنسية إلى يومنا.

ويترتب على هذا التقسيم إغفال فترةً أرسل الله تعالى فيها رسلاً وأنبياء، وكأنه لا تاريخ لهم !!

كما أن اصطلاح القرون الوسطى يعنى فى نظرهم فترة الظلام والجهل لسيادة الكنيسة وسيطرتها على أوربا، بينما هذا الجهل، وهذه المظالم أمر يخص أوربا فقط حيث انتشر فيها الجهل والخرافات والأساطير الدينية، وابتدع البابوات صكوك الغفران التى

(١) الفتح ٢٣.

يزعم رجال الدين بموجبها محوهم لذنوب من أسر إليهم بها، وصكوك الحرمان التى كانت تصدر ضد الخارجين على البابا..الحرمان من الجنة ومن رحمة الله !!

إن سيادة المفهوم الأوربي للعالم أجمع ودمغ هذه الفترة فى العالم بالظلام والجمود والتأخر لأن أوربا كانت متأخرة ومظلمة وجامدة أمر غير مقبول وخطأ فاحش وقع فيه كل من أخذ بهذا التقسيم ولقنه طلابنا، ففى هذه الفترة ظهر الإسلام، وشهد العالم الإسلامي قيام دولة إسلامية قوية تظللها حضارة عريقة شاعت شهرتها فى جميع أنحاء المعمورة.

كانت العواصم الإسلامية بغداد والقاهرة وقرطبة ودمشق وغيرها فى هذه الفترة مراكز للعلوم والآداب ومراكز اشعاع وحضارة، تشع بنور الفكر والعلم، وتضئ دياجير الجهل والتأخر. بينما كانت أوربا تغرق وسط بحر الجمود والعزلة والتخلف بسبب الضياع والفقر والظلم الإجتماعي.

اشتهر المسلمون فى هذه الفترة بتفوقهم فى الفلك والجغرافيا فاخترعوا الآلات التى ساعدتهم فى دراسة النجوم وقياس المسافات بين الأجرام السماوية، وفى الفيزياء والكيمياء والطب والرياضيات وغيرها.

إذا كانت العصور الوسطى عصورا مظلمة فى أوربا، فهى عصور نور وإزدهار فى العالم الإسلامي مشرقه ومغربه..

كان إختيار سنتي ١٤٥٣،٤٧٦م. بالنسبة لمؤرخى أوربا، ذلك لأهمية هاتين السنتين فى تاريخ القارة الأوربية ونظامها الكنسي.

كيف يعالج الخلل :

فى معالجة الخلل فى التقسيم الأوربي للتاريخ – الذى أخذ به كتاب التاريخ، يقوم المعلم:

(١) فى عصور ما قبل التاريخ يعطى المعلم نبذة عن بدء الخلق ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثم استَوىَ عَلَى العَرشِ﴾[1] وأن الله تعالى خلق

---

(١) الفرقان ٥٩.

الكون مسلماً يعبد الله تعالى وحده لا شريك له.

(٢) يتناول عصر آدم عليه السلام..مرحلة خلق آدم كأول مخلوق بشري خلقه الله تعالى بيديه من تراب الأرض ونفخ فيه من روحه، وأصبح بشراً سوياً مكرماً وأمر الملائكة بالسجود له، وسخر له الأرض وعلمه كل شئ، وحماه من غوائل الطبيعة.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١] وأن الله تعالى استخلف آدم في الأرض بعد أن ارتضى له الإسلام ديناً.

(٣) يشير المعلم إلى :

- عصر ما بين آدم ونوح ومدته عشرة قرون كانت كلها على الإسلام.
- عصر نوح عليه السلام وأن الله تعالى بعث نوحا عليه السلام أول رسول إلى أهل الأرض يحمل منهج الله عزوجل لإعادة الناس إلى الإسلام دينا، بعد أن ضلوا وعبدوا الطاغوت.

وهنا نتناول الدروس المستفادة من حادثة الطوفان في ضوء القرآن الكريم.

- عصور ما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام: وما أصاب الأمة من خلل وإنحرافات في توجههم بالعبادة لغير الله عزوجل وتأليههم للحكام والزعماء، وعدم الإنضباط مع نظام الله وشرعه.
- عصور إبراهيم ولوط عليهما السلام: ويكون ذلك من خلال المراجع الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع تبيان الدروس المستفادة.
- عصور يوسف وشعيب وموسى عليهم السلام: ويكون ذلك من خلال كتب السيرة والحديث الشريف والمصادر والمراجع الإسلامية الموثقة[٢].

---

(١) البقرة ٣١.

(٢) أنظر د.جمال عبدالهادي، د.وفاء محمد رفعت ـ الإسلام دين الله في الأرض وفي السماء ـ تاريخ الأمة الواحدة.

أصحاب الجَملْ وعلى رضي الله عنهم

تعد واقعة الجمل من الوقائع التاريخية الهامة التى وقع للمؤرخين والمفسرين فيها كثير من المغالطات لاعتمادهم فقط على مجرد النقل.

أوردوا أن صحابة رسول الله ﷺ ، طلحة والزبير، وأم المؤمنين عائشة ـ ﵂ ـ قد خرجوا لمحاربة أمير المؤمنين على بن أبى طالب وخلعه لتستره على قتل عثمان بن عفان.

قال القاضى الأندلسي بن العربي :

"أما خروجهم إلى البصرة فصحيح لا إشكال فيه..ولكن لأى شئ خرجوا ؟..خرجوا لجمع طوائف المسلمين، وردهم إلى قانون واحد حتى لا يضطربوا فيقتتلوا.

وأما خلعهم لعلى فباطل، لأن الخلع لا يكون إلا بنظر من الجميع، ولا يكون الخلع إلا بعد الإثبات والبيان وأما خروجهم فى أمر قتلة عثمان فيضعف لأن الأصل قبله تـأليف الكلمة، ويمكن أن يجتمع الأمران"[١]

يؤكد ذلك ما جاء فى رد أم المؤمنين على عمران بن حصين، وأبو الأسود الدؤلى، عندما استخبراها عن قدومها فقالت :"خرجت فى المسلمين أعلِمَهم ما أتى هؤلاء القوم، وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا وَقَرأتْ قول الله تعالى:﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[٢] ننهض فى الإصلاح ممن أمر الله عزوجل، وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى..إننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره"[٣]

واستجاب لهم على رضى الله عنه ، ولكن الذين جنوا على الاسلام أول مرة بالبغى على عثمان، ومثل ذلك قال طلحة والزبير:"كانا يريدان جمع الكلمة للنظر فى أمر قتلة عثمان، كانوا أعداءً لله مرة أخرى بإنشاب القتال بين هذين الفريقين من المسلمين"

---

(١) أبى بكر بن العربي ـ العواصم من القواصم ص ١٥٠ـ ١٥٢ طبعة الرياض.
(٢) النساء ١١٤.
(٣) الشيخ محمد الخضرى بك ـ تاريخ الأمم الإسلاميه ص ٢٠٨ـ دار الفكر اللبناني طبعة ١٩٩٤م.

كان الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي، قد قام بين الفريقين بالوساطة الحكيمة، واستجاب له أصحاب الجمل وأذعن على لذلك، وبعث إلى طلحة والزبير، واطمأنت النفوس وسكنت، ولكن قتلة عثمان من السبئيين اجتمعوا على إنشاب الحرب في السربين على وأخويه الزبير وطلحة، فظن أصحاب الجمل أن علياً غدر بهم، وظن على أن أخوانه غدروا به، وكل منهم أتقى لله من أن يفعل ذلك في الجاهلية، فكيف بعد أن بلغوا أعلى المنازل من أخلاق القرآن![1]

وعن إتهامهم علياً بقتل عثمان، قال بن العربي: "لئن اتهم على بقتل عثمان فليس فى المدينة أحد من الصحابة إلا وهو متهم به".

حين قالت عائشة أم المؤمنين: يا أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو، وضج أهل البصرة بالدعاء، وسمع على الدعاء فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعو الناس معها على قتلة عثمان وأشياعهم.فأقبل على يدعو وهو يقول: "اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم".

نقل الحافظ بن عساكر قول الشعبي: رأى على بن أبى طالب طلحة ملقى فى بعض الأودية، فنزل فمسح التراب عن وجهه ثم قال: "عزيز علىّ أبا محمد أن أراك مجدلا فى الأودية وتحت نجوم السماءإلى الله أشكو عجرى وبجرى (أى سرائرى وأحزانى التى تجول فى جوفى) وقال: ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. وقال مولى طلحة: دخلت أنا وعمران بن طلحة على علىّ بعد الجمل، فرحب بعمران وأدناه وقال: إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك من الذين قال فيهم﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى قُلوبِهِم مِن غِلٍ إخوَاناً عَلَى سُرَرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[2]

كان الفريقان يطلبان التفاهم وجمع الكلمة، أما الباغى فهم قتلة عثمان، وقد قتلهم الله.

اليهود وبذور الفتنة بين المسلمين

حينما أظهر اليهود العداء للرسول ﷺ، ولدينه الحنيف، وحملوا السلاح ضد الإسلام

(١) الشيخ محب الدين الخطيب – حاشية العواصم من القواصم ص١٥٠ –١٥٧.
(٢) نفس المرجع السابق ص ١٥٩

والمسلمين، وانتهى ذلك بهزيمتهم واقصائهم عن شبه الجزيرة العربية، ازداد حقدهم، ولم يكفوا رغم هزيمتهم العسكرية، عن التآمر وبث الفتن في سبيل إضعاف الإسلام وتمزيق شمل المسلمين.

لجأ اليهود إلى التظاهر بالإسلام ليتسنى لهم بث السموم وزرع بذور الشك والريبة والتضليل والغش بين المسلمين متسترين بثوب الإسلام المتسامح.

ظهرت أصابع الإجرام اليهودي في قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ حين تظاهر كعب الأحبار بالإخلاص للخليفة ونقل إليه نبوءات توراتيه كاذبه عن مقتله بعد ثلاثة أيام[1]. مما يؤكد أنه كان على علم بمؤامرة الهرمزان وأبي لؤلؤة، وعلى علم بموعد التنفيذ، وتظاهر أن التوراة تنبئ عن مقتل الخليفة ليبعد الشك عن نفسه فيما لو اتسع التحقيق وكشفت المؤامرة. وحين نفذت الجريمة اكتفى عبدالله بن عمر بأخذ الثأر من الهرمزان، وقتل أبو لؤلؤة منفذ الجريمة نفسه، ولم يجر تحقيق بين الفرس واليهود والنصارى الذين كانوا حاقدين على العرب عامة وعلى الخليفة عمر بن الخطاب خاصة. ونجا كعب الأحبار بينما أصيب الإسلام بأول ثلمة لم ترتق حتى يومنا هذا.[2]

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، حاكت أصابع اليهود أخطر فتنة أصيب بها الإسلام والمسلمون، ما زالت آثارها باقية إلى يومنا هذا، تلك هي فتنة غلاة الشيعة التي خلقها وتزعمها وقادها اليهودي عبدالله بن سبأ الملقب بابن السوداء. وابن سبأ من يهود اليمن تظاهر بالإسلام في خلافة عثمان بن عفان، وأخذ ينتقل من بلد إسلامي لآخر، باثاً ضلالاته وشكوكه، حتى وصل إلى مصر، وتحدث في الرجعة قائلا للناس: كيف تؤمنون برجعة المسيح ولا تؤمنون برجعة نبيكم محمد. وكيف تسكتون على إغتصاب الخلافة من آل البيت...[3]؟

وقاد ابن سبأ حملة التشهير بالخليفة عثمان، وبث دعاته، وأسس جمعياته السريه التي أخذت تنفث سموم الفتنة في كل بقعة من ديار الإسلام، وحين أتم استعداده، نفذ المتآمرون معه جريمة قتل الخليفة عثمان في أسلوب وحشي نابع من تعاليم التلمود

(1) عبدالله التل - جذور البلاء - دار الإرشاد - بيروت طبعة ١٩٧١ - نقلا عن أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي - سيرة عمر بن الخطاب - الدار القوميه د.ت ص ١٤٦
(2) المصدر السابق نقلا عن محمد حسين هيكل - الفاروق عمر - مطبعة مصر ١٣٦٤ - ج٢ص ٣١٩
(3) نفس المصدر - نقلا عن الشيخ محمد الخضري - تاريخ الأمم الإسلاميه - المكتبة التجارية ج٢ ص ٥٣

اليهودية، وأخذ بن سبأ يدعو إلى تأليه الإمام علي، وحين قتل الإمام أنكر بن سبأ ذلك وزعم أن علياً لم يقتل وأنه حى وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذى يجيئ فى السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه ولم تكن دعوة التأليه هذه بالشئ الجديد عند اليهود، فقد كانوا واضعي خطة تأليه المسيح عليه السلام حين عجزوا عن القضاء على المسيحية، فجعلوها تقوم على أسس التثليث، وغدت محنة على بأصحابه كمحنة المسيح، وكلا المحنتين من صنع اليهود.[1]

نشأة الحركات الهدامة

فى الوقت الذى أخفق فيه اليهود فى زرع بذور الفتنة بين الأوس والخزرج زمن رسول الله ﷺ، نجحوا فى زرع بذور الفتنة بين المسلمين منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، واستعر لهيبها بعد مقتل عثمان وعلى والحسين بن على شهيد كربلاء.

ولم يكن اليهود ليظهروا على المسرح، بعد أن هدم الإسلام كيانهم، وقضى على وجودهم فى الحجاز، بل عملوا من وراء ستار منفذين لخطط رئيسهم عبدالله بن سبأ، وبعد أن نجحت الحركة السبأية فى وضع أسس الفتنة بين المسلمين تشعب عنها عدد من الحركات الهدامة التى أسهمت فى إضعاف المسلمين وجلبت عليهم الويلات والمصائب.

كان من أخطر تلك الحركات "**الإسماعيلية**"، التى بدأت كجمعية سريه على غرار الجمعيات اليهودية السرية، لا يعرف أغراضها ودستورها إلا زعماؤها الأقلون، وقادة الأفكار المقربون إلى رئيسها، وكان أول مؤسس لها هو اليهودي عبدالله بن ميمون القداح، ونسب هذا اليهودي حركته إلى إسماعيل بن جعفر الصادق[2]، الذى توفى عام ١٤٧ هـ وانقسمت الشيعة من بعده إلى فرقتين : الفرقة الأولى ويتبعها الأكثرية العظمى من المذهب الجعفرى ، وقد نادوا بإمامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق، وسلسلوا الإمامه من بعده حتى الإمام الثانى عشر وهو محمد بن الحسن العسكري الذى قيل أنه دخل سردابا فى مدينة سامراء، وأنه ما زال حيا، وأنه سيخرج من سردابه يوم القيامة باسم المهدى المنتظر، ليملأ الدنيا عدلا ورحمة[3]. والفرقة الثانية هى الإسماعياية ونادى

---

(١) الامام محمد بن حزم الأندلسي الظاهري ـ ٤٥٦ هـ ـ الملل والأهواء والنحل ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.
(٢) مصطفى الحاج ـ بعض الحركات الفكرية فى الإسلام ـ بيروت د.ت ص ٧٦
(٣) د.محمد كامل حسين ـ طائفة الإسماعيلية ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ ص ١١.

أتباعها بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق.بيد أن الفرق بين الطائفتين كبير وخطير، ذلك بأن الفرقه الأولى أو الطائفة الشيعية الاثنى عشريه كانت وما زالت إحدى فرق الإسلام الكبرى، لها آداب وفقه وعلوم إسلامية لا تختلف كثيرا عن السنة، ولا تعترف هذه الطائفة الإسلامية بعبدالله بن سبأ وتلعنه وتبرأ منه، كما تَبرأ من غلاة الشيعة الذين اتبعوا بدع اليهود وأساليبهم الإجرامية فى الدس على الإسلام والمسلمين[1].

وقد اختلف المؤرخون فى شرح حقيقة تعاليم الإسماعيلية فمنهم من زج بها فى زمرة الماديين والزنادقة، ومنهم من يحشرهم فى جماعة زرادشت والمجوس الذين كانوا وما زالوا يسعوا لإحياء دين فارس القديم، ومنهم من ينسبهم إلى السبأيين، ومنهم من يصفهم بالإنحلال والدعوة للإباحية والإلحاد، ومنهم من يأخذ عنهم تحليل المحرمات وهدم القيم الأخلاقية والآداب المتبعة فى كل عصر، وأبشع ما ينسب هو نكاح البنات والأخوات وإباحة اللواط وشرب الخمر والكذب والنفاق والتضليل، الخداع والتقية والحقد على الإسلام والعرب، وهى صفات معهودة فى اليهود[2] والدليل على أثر اليهود فى حركات الإسماعيلية هى ترتيبات الدعوة وتنظيماتها على غرار تنظيمات الماسونية اليهودية[3].والتى تتمثل فى الإمام مصدر كل قانون وتشريع، والحجة أو الباب نائب الإمام ومستودع أسراره، وداعى الدعاة، وداعى البلاغ، والنقيب، والمأذون، والمحصور، والجناح الأيمن، والجناح الأيسر، والمكاسر، والمكالب، والمستجيب[4].

وتعتبر الحركة الإسماعيلية نكبة من النكبات التى ألمت بالإسلام، لما تم على يد أتباعها من تشويه لحقيقة الإسلام، وإعطاء صورة بشعة عنه أمام العالم، مما سهل لدعاية اليهود فى العالم النيل من الإسلام العظيم، وتاريخ إمام الطائفة آغاخان الثالث ١٨٧٧- ١٩٥٧ أقوى برهان على خطر الحركة الإسماعيلية، وكفرها وبعدها عن الإسلام. فقد كان آغاخان أسوأ مثل فحياته وقصص غرامياته وزوجاته وفسقه ووزنه تارة بالذهب وبالماس تارة أخرى. كانت مادة دسمة لصحافة العالم اليهوديه طوال نصف قرن. وأتباع آغاخان

---

(١) الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ـ أصل الشيعة وأصولها ـ دار البحار ـ بيروت ١٩٦٠ ص ٨٢
(٢) مصطفى الحاج نفس المرجع السابق
(٣) عارف تامر ـ القرامطة ـ دار الكتاب العربي بيروت د.ت ص ٧٩-٨٣
(٤) محمد كامل حسين ـ نفس المصدر السابق ص ١٢٦

يشاركونه المسئولية فى تشويه وجه الإسلام الصحيح. فقد كانوا يؤلهونه، ويعتقدون أن الخمر حين تدخل فى جوفه تتحول إلى ماء زمزم.

وحين سئل آغاخان مرة من قبل صديق له، كيف يسمح ـ وهو المثقف ـ لأتباعه أن يؤلهوه، قهقه طويلا حتى دمعت عيناه وقال: "إن القوم فى الهند يعبدون البقرة، الستُ خيراً من البقرة ..؟"

القرامطة

انجبت الإسماعيلية حركة هدامة أخرى هى حركة القرامطة التى قامت لهدم الخلافة العباسية وانتشر أتباعها فى العراق واليمن والبحرين وفارس.

كان أخطر فئة منهم **قرامطة البحرين** الذين قاد رئيسهم سليمان بن طاهر جيشاً وغزا مكة المكرمة ٣١٧هـ/٩٣٠م وهتك حرمة بيت الله الحرام، وفتك بالحجاج الأمنين وقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفا،ونهب الأموال، وردم بئر زمزم واقتلع الحجر الأسود ونقله مع قواته المنسحبة للجنوب(١).

كانت الحركة القرمطية عامل تخريب فى قواعد الإسلام،تظاهرت بأنها تهدف إلى خدمة الطبقة الفقيرة، فخففت عنها أعباء المعيشة وفى الوقت نفسه خففت منها أعباء الدين ورفعت فروض الصلاة والصوم والزكاة وألغت شعائر الإسلام.

لقد كان الأصبع اليهودي فى حركة القرامطة متسترا، إلى أن كشفه الخليفة المعتضد حين ضيق الخناق على عزرا بن صمونيل كبير تجار اليهود فى بغداد. واعترف عزرا بأن اليهود قد مدوا يد العون المالي إلى القرامطة، وحركات بابك الخرمي والسبئيين وميمون القداح، واعترف كذلك بمساعدة اليهود السرية للروم، رغم أن تسامح المسلمين أيام العباسيين قد جلب على اليهود النعيم والرخاء، وأنهم أثروا واكتنزوا الأموال من التجارة والربا. ومع كل ذلك فإنهم عمدوا إلى مساندة كل حركة تخريبية تقوم فى ديار الإسلام.

الدولة الفاطمية

استمرت فتن اليهود وأصابعهم تلعب بالإسلام، حتى أن أغلب مؤرخى المسلمين

(١) مصطفى الحاج ـ المصدر السابق ص ١١٨

السُنَّة قد أجمعوا على أن **عبيد الله المهدي** مؤسس الدولة الفاطمية فى المغرب كان يهودياً، ودخل المغرب وتسمى بعبيدالله، وادّعى أنه شريفٌ علويٌّ فاطميٌّ وقال عن نفسه أنه المهدي[1].

ويشير تاريخ الفاطميين إلى أثر اليهود التوراتي التلمودي فى تعاليمهم وسلوكهم وتأليه ملوكهم، كما حدث للحاكم بأمر الله الذى أدّعى الربوبية وصار قوم من اتباعه يقولون: يا واحدنا يا أحدنا، يا محيى، يا مميت[2]

وتنطق الرسالة الرابعة عشرة من رسائل الحاكم بأمر الله بالكفر الصراح وتأليه الحاكم، وهذه الرسائل هى التى حلت عند الفاطميين محل القرآن والسنة، ومما جاء فى تلك الرسالة:

سبحانك يا مبدع الأشياء، يا مخترع العالمين... يا من لا تلحقه صفة وليس له صفة شهدت وآمنت وأيقنت بأنك الله المبدع العزيز الواحد الأحد، وأنك بارى لا بارى لك، وخالق لا ضد لك، وقادر لا مقدور عليك، وحاكم لا محكوم عليك.. يا أرحم الراحمين، لا أصرف ذاتى إلى غيرك، تائب إليك معترف بألوهيتك، متبرئ من كل عدو لك، لا شريك لك، ولا دافع لأمرك، تجاوز عنى واغفر ذنبى.. لا إله غيرك ولا معبود سواك[3].

(١) الامام الحافظ عمادالدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ٧٧٤ هـ د.ت، ج١٢ ص ٢١٧.
(٢) الجوزى ـ المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ط الهند ١٣٥٨ ج٧ ص ٢٩٨.
(٣) د.حسن إبراهيم حسن ـ تاريخ الدولة الفاطمية ـ مكتبة النهضة ١٩٦٤ ص ٣٦٦.

معاوية بن أبى سفيان ﷺ

وبنو أمية

جذور البلاء والحقد اليهودى

قاوم اليهود الإسلام وانتشاره منذ بدء الدعوة الإسلامية، فالرسول بعد هجرته إلى المدينة المنورة عقد مع اليهود اتفاقا عاماً ضمنَ لليهود فيه الحرية فى شئون عبادتهم وأحوالهم الشخصية، وأشرك اليهود فى القيام بتكاليف الدفاع عن كيان المدينة السياسي والحربي.. إلا أن اليهود ـ وقد راعهم ـ إنتشار الإسلام تنكروا لهذا الإتفاق، وأخذوا يدسون السموم ويحاولون التفرقة بين صفوف الأنصار والمهاجرين من جهة، وبين الأنصار ـ خزرجهم وأوسهم ـ من جهة أخرى، ولم يكتفوا بهذا بل أخذوا يحاولون إثارة الشكوك والريب حول الدعوة الإسلامية الناشئة.

وتطور العداء بين الطرفين إلى أن أدى إلى التصادم السافر الذى انتهى بانتصار الإسلام وجلاء قسم من اليهود عن المدينة المنورة ولكن الباقين منهم فيها ألبوا مشركى العرب من قريش وغطفان وغيرهم على رسول الله ﷺ، فحاصر هؤلاء المدينة المنورة، إلا أن الرحمة الإلهية قد أدركت المسلمين فانتصروا على أعدائهم فلم تقم بعد ذلك لليهود قائمة فى المدينة. وتلا ذلك فتح القرى اليهودية فى شمالي الحجاز ثم زحف الإسلام حتى خضعت شبه الجزيرة العربية.

وفى عصر الخلفاء الراشدين، لما رأت اليهودية أن الإسلام قد انتشر وتمكن من القلوب، وأن لا قبل لها بمقاومته علانية، اعتنق بعض خبثائها الإسلام بغية الدس وأشهر هؤلاء كعب الأحبار الذى أخذ يحث المسلمين بالإسرائيليات، إلا أن حزم الخليفة عمر ﷺ أوقفه عند حده.

ولما بدأت الفتن تتحرك بدأ ابن سبأ اليهودي ينفث سمومه فنشأت السبأيه الهدامة التى هى أولى الحركات اليهودية الهدامة فى الإسلام، فقاومها الخليفة علي ﷺ أشد مقاومة حتى أنه أحرق بعض زعمائها بالنار(١).

---

(١) جواد رفعت أتلخان ـ أسرار الماسونيه ـ ص ١٥ـ مؤسسة دار العلوم.

وفى العصر العباسي انفسح المجال لدعاة الهدم أمثال القرامطة والحشاشين والراونديه وغيرهم، كى يعملوا بمعاولهم فى هدم كيان الإسلام وتحريف قواعده وأحكامه، إلا أن الإسلام قد خرج ظافراً فى النهاية من كل هذه المعامع.

ولما انتقلت الخلافة إلى الأتراك العثمانيين لم يكن لليهودية أى نفوذ فى أوائل عصورها، ولكن لما تغيرت الأمور واضطربت أحوال الدولة، بدأ النفوذ اليهودي يتسرب إلى أخطر مرافق الدولة كالجيش والمعارف. واستغلت اليهودية الماكرة دعاة الإصلاح العربي لتنفيذ مآربها وسجلت انتصاراً باهراً بخلع السلطان عبدالحميد الثانى الذى كان يعارض بشدة وعنف هجرة اليهود إلى فلسطين وتمكنهم فيها، ولم تكتف اليهوديه وربيبتها الماسونية بهذا، لأن الدولة لا تزال قائمة والصبغة الإسلامية هى الغالبة عليها، فدفعوا بها إلى حرب مزقت أوصالها شرّ تمزيق وثم تعاونوا مع القوى الإستعمارية لإلغاء الخلافة الإسلامية، فتم لها ذلك.

معاوية ﷺ فى الميزان

الكثيرين ممن عانوا كتابة التاريخ ولم يفقهوا الإسلام، ومن أصحاب الأغراض والبدع أعداء العرب والإسلام والإنسانية، طعنوا فى بنى أمية من أولهم إلى آخرهم، حتى لم يتركوا أحدا من ملوكهم إلا ثلبوه بإفتراءات يتنزه عنها سوقة الناس وأراذلهم[1].إذا نظر إلى ذلك مما كتبوه ــ المعتدل الخالى القلب ــ افتتن بها وحملها على محمل الصدق فيتشرب له كره وبغض أولئك الأسلاف الطاهرين لخلو ذهنه عن حب أو بغض لهم، فتصادف هذه الأخبار قلبا خاليا فتتمكن فيه، وتشيع بين الناس.

من ذلك ما يثلبونه به معاوية ﷺ وبنى أميه ويطعنونهم به، من بغض أمير المؤمنين على بن أبى طالب وتعداد نقائصه وسبه ولعنه على المنبر.

ذكر الحافظ فى كتابه البيان والتبيين أن النبي ﷺ قال فى معاوية:"اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب"

يقول الإمام بن كثير رحمه الله: انعقدت الكلمه على معاوية وأجمعت الرعايا على بيعته فى سنة إحدى وأربعين، فلم يزل بالأمر مستقلا إلى سنة وفاته، والجهاد فى بلاد

(١) د.محمد أبواليسر عابدين ـ أغاليط المؤرخين ـ مكتبة الغزالى ـ دمشق.

العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحةٍ وعدل، وصفحٍ وعفو.

وذكر الحلبي في سيرته في فتوح مكة قال: وكان من جملة من بايعه ﷺ على الإسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فعن معاوية رضي الله عنه:

لما كان عام الحديبية وقع الإسلام في قلبي فذكرت ذلك لأمي فقالت إياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت. فأسلمت وأخفيت إسلامي، فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعرُ بإسلامي أخوك خيرٌ منك هو على ديني، فلما كان عام الفتح أظهرت إسلامي، ولقيته ﷺ فرحب بي وكتبت له أي بعد أن استشار فيه جبريل عليه السلام فقال : استكتبه فإنه أمين، وأردفه النبي ﷺ يوما خلفه فقال: "ما يليني منك" قلت بطني.قال "اللهم املأه حلماً وعلماً"، وعن العرباض بن سارية ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول لمعاوية: "اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب" زاد في رواية "ومكن له في البلاد".وعن بعض الصحابة أنه سمع النبي ﷺ يدعو لمعاوية يقول: "اللهم اجعله هادياً مهدياً، واهده واهدبه، ولا تعذبه" وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوماً لمعاوية: "يا معاوية أنت مني وأنا منك، لتزاحمني على باب الجنة كهاتين" وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تليها[١].

يقول محمد منير الغضبان

لم تنل شخصية في تاريخنا الإسلامي، ومن الرعيل الأول من الصحابة، الذين تربوا على يدي رسول الله ﷺ، وعاشوا وحي السماء، من التشويه والدس والإفتراء ما نال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.. لقد أصبح كثير من المعلومات ثابتة في أذهان الناس لا تقبل الشك ولا تقبل الجدل، لا تتناسب أبدا والمستوى اللائق بصحابة رسول الله ﷺ.وصورة معاوية في أذهان الناس أنه طالب سلطة، وسياسي بارع،ونهاز فرص، لا يرعوى عن شئ في سبيل الوصول إلى الحكم. صارع من أجل السلطة، وسعى إلى قتل عشرات الألوف من الناس لكي يصل إلى الخلافة.

وهذه الصورة تتنافى مع حس المسلم وفطرته، لكنه لا يجد لها بديلا.فكتب التاريخ تذكر ذلك !![٢]

---

(١) نفس المصدر ص ١٠٠:١٠١

(٢) محمد منير الغضبان – أعلام المسلمين – معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد – دار القلم –

ذكر الإمام ابن كثير: قال بعضهم في معاوية وعمر بن عبدالعزيز: ليوم شهده معاوية مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبدالعزيز (خامس الخلفاء الراشدين) وأهل بيته.

وذكر بن خلكان فى تاريخه فى ترجمة عبدالله بن المبارك ﷺ. قال: سئل عبدالله بن المبارك أيهما أفضل معاوية بن أبى سفيان، أم عمر بن عبدالعزيز .فقال: والله إن الغبار الذى دخل فى أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر ألف مرة، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ فقال سمع الله لمن حمده، فقال معاوية ربنا ولك الحمد، فما بعد هذا ؟

وما أحسن ما نقله الصفورى فى نزهة المجالس قال:قال عمر بن عبدالعزيز: رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت، فأخذ على معاوية رضي الله عنهما فأدخله بيتاً، ثم خرج فقال: حكم لى ورب الكعبة، ثم خرج معاوية وهو يقول: غفر لى ورب الكعبة[1].

كان سبب تمسك معاوية بإمارة الشام، وعدم نزوله عنها وتحيله للبقاء فيها، بما اجتهد فيه أنه أقل إثما من نزوله عنها، حيث ظن وجوب بقائه فيها لما يعلمه من دخائل الرومان، وتحيلهم للعودة إلى البلاد التى انسلخت من ملكهم، فكان معاوية يظن نفسه الحصن المنيع والسد الذريع الذى يقف بوجه تيارهم وكيدهم الفظيع.

وكان سبب تمسك على بعزله وتصميمه رضى الله عنهما، هو تباين ما بين مسلكيهما فى الحكمة، فورع علي وزهده وكونه على سيرة العمرين، ينافى لين معاوية وسياسته وحلمه وبذله للمال فى إصلاح الدولة حسب تطور الوقت بما تقتضيه المصلحة.

أدى معاوية اجتهاده أن يبقى فى إمارة الشام للدفاع عن الإسلام ورد عادية الروم.قال بن حجر فى الإصابة: وولاه عمر الشام بعد أخيه يزيد بن أبى سفيان، وأقره عثمان، ثم استمر فلم يبايع علياً، ثم حاربه واستقل بالشام، ثم أضاف إليها مصر، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين ثم استقل لما صالح الحسن بن على، واجتمع عليه الناس فسمى ذلك العام عام الجماعة. وقال فى الإصابة:

دمشق.

(١) أبو اليسر عابدين ـ نفس المصدر السابق ص ١٠٤.

أنه لما بايع أهل العراق الحسن ﷺ، وسار بهم إلى أهل الشام، تراسل مع معاوية وجمع رؤوس أهل العراق وقال: إنكم قد بايعتمونى على أن تسالموا من سالمنى، وتحاربوا من حاربنى وأنى قد بايعت معاوية فاسمعوا له وأطيعوا. أعطاه معاوية عهدا إن حدث به حدث والحسن حى، ليجعلن هذا الأمر إليه، فكان أصحاب الحسن يقولون له يا عار المؤمنين، فيقول: العار خير من النار، ومات الحسن قبل معاوية، وما فعله الحسن كان من معجزة الرسول ﷺ.

أخرج البخاري فى صحيحه فى كتاب الفتن، فى باب قول النبي ﷺ للحسن بن على رضي الله عنهما: "أن ابنى هذا لسيد ولعل الله أن يصلح به فئتين من المسلمين".

ذكر المؤرخ بن خلدون فى المقدمة فى فصل انقلاب الخلافة إلى الملك:

"لما وقعت الفتنة بين على ومعاوية، وهى مقتضى العصبية، كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا فى محاربتهم لغرض دنيوي أو لإيثار باطل أو لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متوهم وينزع إليه ملحد، وإنما اختلف إجتهادهم فى الحق، وسفّه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده فى الحق فاقتتلوا عليه، وإن كان المصيب علياً، فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل، إنما قصد الحق وأخطأ، والكل فى مقاصدهم على حق..."[1].

بيعة يزيد بن معاوية رحمه الله

قال المؤرخ العربي المسلم عبدالرحمن بن خلدون فى مقدمته:

عهد معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما، إلى يزيد بن معاوية، خوفا من افتراق الكلمة، وما كان لبنى أمية أن ترضى لتسليم الأمر إلى من سواهم، فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه، مع أن ظنهم كان صالحا به، ولا يرتاب أحد فى ذلك، ولا يظن بمعاوية غيره، فلم يكن ليعهد إليه، وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق، حاشا لله لمعاوية من ذلك.

وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه، وإن كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم فى الملك مذهب أهل البطالة والبغى، إنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم، إلا فى ضرورة تحملهم على بعضها، مثل خشية افتراق الكلمة الذى هو أهم لديهم من كل مقصد، يشهد

(١) نفس المصدر السابق ص ١٠٩،١١٠.

لذلك ما كانوا عليه من الإتباع والإقتداء، وما علم المسلم من أحوالهم، فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبدالملك، وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين، وعدالتهم معروفة، ثم تدرج الأمر في ولد عبدالملك وكانوا من الدين بالمكان الذى كانوا عليه، وتوسطهم عمر بن عبدالعزيز، فنزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابة جهده ولم يهمل[1].

قال بن سيرين: وَفَدَ عمر بن حزم على معاوية فقال له: أذكرك الله في أمة محمد ﷺ بمن تستخلف عليها. فقال: نصحت وقلت برأيك. وقال عطيه بن قيس: خطب معاوية فقال: اللهم إن كنت عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده، وإنه ليس لما صنعت أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك.

كانت بيعة يزيد رحمه الله بيعة شرعية. ولم تجتمع كلمة المسلمين أكثر من اجتماعهم على بيعة يزيد والتشنيعُ عليه خروجٌ عن جادة الحق والصواب، ولما استنكف من استنكف فما هو إلا من بعض ما رأوا أحقيتهم بها، وقاموا لتأييد حقهم واسترجاعه، ولكونهم أورع وأعدل منه بلا شبهه. ولكن هذا كان بعد إنعقاد البيعة له واستتباب الأمر إليه، فقام هو أيضاً يدافع عن بيعته كعلى ابن أبى طالب ﷺ، ولم يأمر أمراءه وجنده أن يفعلوا ما فعلوه من التعدى على حرمة أهل البيت رضي الله عنهم، ولعن الله من هتك حرمتهم.

ذُكر في حياة الحيوان أنه لما أتى شمر بن ذى الجوش برأس الحسين ورماه بين يدى يزيد قال له: يا أمير المؤمنين ورد علينا هذا (يعني الحسين) في ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستة رجلا من شيعته فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيدالله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال، فغدونا عليهم عند شروق الشمس، واحتطنابهم من كل جانب، فلما أخذت السيوف مأخذها جعلوا يلوذون لوذان الحمام من الصقور، فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مزملة، وخدودهم تسفى عليها الرياح زوارهم العقبان ووفودهم الرخم.فلما سمع يزيد ذلك دمعت عيناه وقال: ويحكم كنت أرضى من طاعتكم دون قتل الحسين، لعن الله بن مرجانه، والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه، ثم قال: يرحم الله أبا عبدالله.ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه، وكان يزيد إذا حضر غداؤه دعا عليا بن

(١) المصدر السابق.

الحسين وأخاه عمر بن الحسين فأكلا معه، ثم وجه الذرية صحبة على بن الحسين إلى المدينة ووجه معه رجلا فى ثلاثين فارسا يسير أمامهم حتى انتهوا إلى المدينة.

لم يأمر يزيد بقتل الحسين بن على رضي الله عنهما، ولم يظهر الرضى بقتله وأظهر الألم، وقام بالواجب فى الحسين وأهل البيت رضي الله عنهم أجمعين.

يقول المنصفون: أن حاصل ما يشهد ليزيد بحسن الحال أربعة أحاديث من الصحاح، لا يعادلها شئ بصحتها ولا بأدنى منها فى الغض منه، ولا يصرفها عنه صارف إلا بتجامل وتعسف:

- أحدها: أخرج البخاري فى صحيحه فى كتاب الجهاد والسير، قال: روي عن النبي ﷺ قوله: "أول جيش من أمتى يغزون مدينة قيصر (القسطنطينية) مغفوراً لهم"، وكان المسلمون قد غزو القسطنطينية مرتين الأولى فى خلافة معاوية وأمر فيها ابنه يزيدا، وغزا معه أبو أيوب الأنصاري الذى نزل الرسول ﷺ فى داره لما قدم إلى المدينة مهاجراً.
- الحديث الثانى: ويتناول يزيد بعمومه ولا يوجد حديث يستثنيه من ذلك العموم قوله ﷺ : خير الناس قومى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين.
- الحديث الثالث: من حديث جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا" ثم قال النبي ﷺ: "كلهم من قريش" وهذا لفظ مسلم.
- الحديث الرابع: عن كتاب الفتن فى البخارى أن أهل المدينة لما خلعوا يزيد قال عبدالله بن عمر إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة" وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله.

يقول العلماء إن من أصول أهل العلم أهل السنة التى فارقوا بها الخوارج والمعتزله والمرجئه: أن الشخص الواحد تجتمع فيه حسنات وسيئات، فيثاب على حسناته ويعاقب على سيئاته.

إن أولئك مجتهدون مخطئون خطؤهم مغفورا لهم، وهم مثابون على ما أحسنوا فيه

من حسن قصدهم واجتهادهم فى طلب الحق واتباعه كما قال النبي ﷺ :

"إذا إجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا إجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر".

ومن أصول أهل العلم: أنه لا يمكن أحد من الكلام فى هؤلاء بكلام يقدح فى عدالتهم وديانتهم، هم عدول مرضيون، رضي الله عنهم وأرضاهم، والمنقول عنهم من العظائم كذب مفتري.[1]

الحجاج بن يوسف الثقفي

ذكر ابن خلكان فى ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي:

وإنى لأكره أن يتقول عن أحد ما يشينه بدون أن يكون النقل ثابتا على طريقة المحدثين. فأما صلاة الحجاج وإمامته بكثير من الصحابة وخطبه فيهم فثابت لا ينكر، وكذلك عبادته وقراءته القرآن ومناقبه فى الغزو والجهاد والفتوح ببلاد العجم والشرق لا يحتاج إلى دليل، وحين صار أهل الأهواء يحرفون القرآن كما نقل القسطلانى فى كتاب لطائف الإشارات: أن المعتزله قرأوا قوله تعالى:﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[2] بنصب لفظ الجلالة، وأن مبغضى الشيخين قرأوا قوله تعالى﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلَّينَ عَضُدًا﴾[3] بتثنية المضل لا جمعه ويعنون بهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. فزع الحجاج إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة فى القرآن علامات، وقام نصر بن عاصم وبأمر من الخليفة بوضع النقط أفرادا وأزواجا.

ولو تتبعنا سيرة الحجاج وما قام به من سائر أعماله لا نشك فى أنه كان ساعيا فى جمع الكلمة، ولم الشعث وإخماد الفتن الداخلية، ليتفرغوا لنشر الدعوة إلى الإسلام، ومآثره فى الفتوحات ببلاد الشرق، وحنكته وتدبيره لا يحتاج إلى دليل ولا برهان.

قيل عنه أنه قتل سيد التابعين سعيد بن جبير رضي الله عنه.ولعل للحجاج بعض العذر فى ذلك فقد ذكر بن خلدون أن الحجاج استعمل سعيد بن جبير على عطاء الجند الذين وجههم إلى قتال ملك الترك(رتبيل) وكان رتبيل يؤدى خراج الجند ثم عصى وتمرد، فجرد له الحجاج عبدالرحمن بن الأشعث بجيش غزا بلاده واستولى عليها كلها،

(١) المصدر السابق
(٢) النساء ١٦٤.
(٣) الكهف ٥١.

ولم يلبث الأشعث حتى انتفض على الحجاج وخلعه وصالح رتبيل علـى أنـه إن ظهـر فـلا خراج على رتبيل ما بقى الدهر، وإن هزم منعه ممن يريده، ودخل البصرة، وبايعه أهلها، واشتد القتال بينه وبين الحجاج سنة ٨٢هـ. وخلع عبدالملك وكاد أمر الحجاج أن يتلاشى.

وكان ممن لحق عبدالرحمن بن الأشعث وخلع الحجاج سعيد بن جبير ﷺ، ولما هلك بن الأشعث، لحق سعيد بأصبهان ثم إلى أذربيجان ثم إلى مكة مع أناس من أمثاله يستخفون بأسمائهم، فبعث الحجاج من يحمل أهل العراق الذين هم فى مكة إليه، فيجئ بهم إليه، ومنهم سعيد بن جبير، فلما رآه الحجاج شتم خالد القسرى على إرساله وقال: لقد كنت أعرف أنه بمكة، وأعرف البيت الذى كان فيه، ثم أقبل على سعيد وقال: ألم أشركك فى أمانتى؟ ألم أستعملك؟.. ثم تفعل ــ يعدد أياديه عنده ــ فقال: بلى.قال: فما أخرجك على قتالى؟ قال: أنا امرؤ من المسلمين أخطئ مرة وأصيب أخرى،ثم استمر فى محاورته. فقال: إنما كانت بيعة فى عنقى، فغضب الحجاج وقال: ألم آخذ بيعتك لعبدالملك بمكة بعد مقتل ابن الزبير، ثم جدد له البيعة فى الكوفة فأخذت بيعتك ثانيا؟ قال: بلى.قال فنكثت بيعتين لأمير المؤمنين، وتوفى بواحده.. والله لأقتلنك.فقال إنى لسعيد كما سمتنى أمى.

فضربت عنقه فهلل رأسه ثلاثا أفصح منها بمرة.

ويقال أن عقل الحجاج التبس يومئذ، وجعل يقول: قيودنا.فظنوها قيود سعيد بن جبير فأخذوها من رجليه، وكان إذا نام يرى سعيد بن جبير فى منامه آخذا بمجامع ثوبه يقول: يا عدو الله فيم قتلتنى، فينتبه مرعوبا يقول: مالى ولسعيد بن جبير.

لقد خلع سعيد بن جبير التابعى الجليل بيعة عبدالملك بن مروان وانضم إلى الخارجى فى أحرج أوقات الجهاد والفتوح، ولكن حيث تاب وأتى إلى الحجاج كان على الحجاج أن يعفو عنه لأن أهل البغى لا يجوز الإجهاز على جرحاهم..ولكن قضى الله تعالى له بالشهادة.

رويَ عن أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أنه رأى الحجاج فى المنام بعد موته وهو جيفة منتنه، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير فإنه قتلنى به سبعين قتله. فقال له: ماأنت منتظر؟ قال: ما ينتظره الموحدون.عفا الله عنه والعصمة لله وحده.[1]

(١) أنظر نفس المصدر السابق ص ١٩١: ١٩٨.

حادثة التحكيم فى الحرب بين على ومعاوية رضي الله عنهما

ردد المستشرقون وتلامذتهم على غير علم صحيح، أن عمرو بن العاص غدر بأبى موسى الأشعرى رضي الله عنهما، وقدمه للكلام بعد أن اتفقا على خلع معاوية وعلى رضي الله عنهما، وخلع أبو موسى معاوية وعليا، بينما تقدم عمرو بعده فخلع عليا، وأثبت معاوية. وأن عليا ﷺ كان إذا قنت لعن معاوية وعمرا وغيرهما من أهل الشام، كما أن معاوية كان فى قنوته يلعن عليا وابن عباس والأشتر وحسنا وحسينا!!

والذى يصح من ذلك هو ما روى الأئمة خليفة بن خياط(من شيوخ الإمام البخارى) وأحد أوعية العلم، وأبو الحسن على بن عمر الدارقطنى من أئمة فقهاء الشافعية:

أنه لما خرجت الطائفة العراقية فى مائة ألف والشامية فى سبعين ألف نزلوا على الفرات بصفين، اقتتلوا فى أول يوم وهو يوم الثلاثاء على الماء فتغلب أهل العراق عليه، ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة ٣٧، ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ورفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة على أبوموسى، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص، وكان أبو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما، أرسله النبى ﷺ إلى اليمن مع معاذ، وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم.[1]

قال المستشرقون: أنهما لما اجتمعا بأذرح من دومة الجندل، وتفاوضا، واتفقا على أن يخلعا الرجلين، فقال عمرو لأبى موسى: أسبق بالقول. فتقدم فقال: إنى نظرت فخلعت عليا من الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفى هذا من عنقى – أو من عاتقى – وأخرجه من عنقه فوضعه فى الأرض. وقام عمرو فوضع سيفه فى الأرض وقال: إنى نظرت فأثبت معاوية فى الأمر كما أثبت سيفى هذا فى عاتقى، وتقلده، فأنكر أبو موسى، فقال عمرو: كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الإختلاف.

قال أبوبكر بن العربي فى (العواصم من القواصم) معلقا على ذلك: هذا كله كذب صراح، ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شئ أخبر عنه المبتدعه ووضعته التاريخيه للملوك، فتوارثه أهل المجانه والجهاره بمعاصى الله والبدع.[2]

---

(١) زعم المستشرقون أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعا فى القول.
(٢) أنظر د.محمد رشاد خليل – المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره ص٧٧-٧٩.

وذكر ابن كثير فى البداية والنهاية: لما إجتمع الحكمان تراوضا على المصلحة للمسلمين، ونظرا فى تقدير الأمور، ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقوا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما.وقد أشار أبو موسى بتولية عبدالله بن عمر بن الخطاب.فقال له عمرو: فول ابنى عبدالله فإنه يقاربه فى العلم والعمل والزهد.[١]

القتلة الحقيقيون للحسين بن علي رضي الله عنه

يقول المنصفون من أهل العلم:

كانت حادثة كربلاء فاجعة كبيرة نزلت بآل البيت وذهب فيها بطلها الحسين بن علي ﷺ وأكثر إخوانه وأبنائه، وهو أفضل من عليها يومذاك، وإذا كان الإمام الحسين ﷺ مجتهداً فى خروجه إلا أن ذلك الخروج ليس له ما يبرره من الناحية الشرعية، كما أنه ليس بالصحيح من الناحية السياسية والعسكرية والإجتماعية، فجماعته لا تزيد كثيرا على المائة أكثرها من النساء والأطفال، تخرج إلى مكان تعم فيه الفوضى ليقوم زعيمها هناك بالثورة ضد الحكم، ويحمل لواء الجهاد ليعمل على تطبيق المنهج الإسلامي بشكل أكثر سلامة، وتتوقع هذه الجماعة القتال والصدام بوالى بنى أمية الذى يملك الأمر بشكل قوى، ويقسو على أنصارها بكل شدة، وإذا نظرنا إلى ما فعله أحد ولاة بنى أمية فى هذه الحادثة ألا يجب أن ننظر إلى ما فعله أولئك الذين دعوا الحسين للخروج إليهم، ثم تخلوا عنه ساعة الشدة وسلموا رسوله ابن عمه مسلم بن عقيل وقت الضيق، بل انضم أكثرهم إلى الجيش الذى قاتل الحسين، وشاهدوا مصرعه، ولم ينصروه، ألا يُعد أولئك هم القتلة الحقيقيون له !

إن الذين تولوا كبر هذه الفاجعة إنما هم الذين سجلوها بهذه الصورة فذكروا ما فعلت خصومهم ونسوا ما اقترفت أيديهم هم منها، فلم يسجلوا خيانتهم له، ومشاركتهم فى قتله وأنصاره وأهله.

وإضافة إلى فاجعة كربلاء كانت ثورة زيد بن على بن الحسين رضي الله عنهم

---

(١) منير محمد الغضبان – معاوية بن أبى سفيان صحابى كبير وملك مجاهد– دار القلم دمشق – نقلا عن البداية والنهاية للإمام بن كثير ج٧ ص ٢٨٣.

في الكوفة سنة ١٢٢هـ أيام خلافة هشام بن عبدالملك، وكما سلم أهل هذه المدينة الحسين بن علي سلموا كذلك حفيده زيد وقد دعوه للخروج وحثوه على ذلك، فلما قام تخلوا عنه ورفضوه ومنذ ذلك الوقت عرفوا باسم الرافضة وهو الذى أطلق عليهم هذا الإسم، وبعد كل هذا لم يرعووا ولم يتفكروا بل قاموا يعلنون توبتهم بعد كل حادثة يرتكبونها، فهم الذين أعلنوا عدم الطاعة للإمام علي كرم الله وجهه؛ وتوانوا عن نصرة الحسين، وتباطؤا في القتال حتى رأى أنه لابد من مبايعة معاوية، ثم بدؤوا يظهرون اللوم والتأفف، ثم تخلوا عن الحسين وعن زيد بعد أن دعوهم للخروج وأظهروا لهم التأييد(١)

ذكر بن جرير الطبري في تاريخه في حوادث سنة ستين ومائة في ذكر الخبر عن مسيرة الحسين إلى الكوفة قال: قال أبو مخنف عن عدى بن حرمله عن عبدالله بن سليم والمدري قال: أقبلنا حتى انتهينا إلى الصفاح، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر، فواقف حسينا فقال له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب.فقال له الحسين: بين لنا نبأ الناس خلفك. فقال الفرزدق: من الخبير سألت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، وحين عزم على المسير نصحه ابن عباس كثيرا وكثيرا ليقضي الله أمرا كان مفعولا.(٢)

يقول أهل العلم الصحيح كان معاوية ﷺ يتوقع أن يُخرِجَ أهلُ العراق الحسين، وقد حذر ابنه يزيد من إساءة معاملة الحسين ﷺ إذا حدث ذلك، فقد روى أن قال له: وأما الحسين بن علي فإنه له رحما ماسة وحقا عظيما، وقرابة من محمد ﷺ، ولا أظن أهل العراق بتاركيه حتى يخرجوه. فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه. ولقد أدرك يزيد مغبة هذا الحادث الشنيع وعاش طوال عمره نادما، وكان كلما ذكر الحادث قال آسفا: وما كان علي لو احتملت الأذى، وأنزلته معي في داري وحكمته فيما يريد. وإن كان علي في ذلك وكف ووهن في سلطاني حفظا لرسول الله ﷺ ورعاية لحقه وقرابته. لعن الله بن مرجانه، فإنه أخرجه، واضطره وقد كان سأله أن يخلي سبيله ويرجع فلم يفعل أو يضع يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عزوجل. فلم يفعل، فأبى ذلك ورده عليه وقتله.فبغضني بقتله إلى المسلمين، وزرع لي في

(١) أنظر محمود شاكر – التاريخ الإسلامي – ج٤ – المكتب الإسلامي
(٢) د.أبواليسر عابدين – المرجع السابق ص ٢٢٨.

قلوبهم العداوة، فبغضني البر والفاجر، مما استعظم الناس من قتلى حسينا مالي ولابن مرجانه لعنةُ الله.(١)

الخلاصة

- ظلم التاريخ بنى أمية ظلماً كثيراً، إذ طمس كل ما لهم، من فضائل وإيجابيات ولم يتعرض لها أبدا ولم يذكرها !

وبالمقابل فإنه توسع فى ذكر السلبيات، أو افترى عليهم الكذب، فنسب لهم ما لم يكن منهم، وأوجد حوادث لم تقع فى أيامهم، ويعود ذلك إلى أن كتابة التاريخ إنما كانت بأيد شيعية حاقدة، كان وراءها أهداف وغايات.

- كان معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما صحابيا جليلاً، والصحابة كلهم عدول، وإن اجتهد فى بعض القضايا، ولم يوفق فى الإجتهاد، ولم يحالفه التوفيق فى النتائج إلا أنه يبقى صحابياً عدلاً.

- لقد أشيعت عن العصر الأموي روايات لا سند لها يدعمها ويجعلها فى مستوى الروايات.وإنما كلها محض افتراءات(٢).

اتهموا معاوية ﷺ رغم ما عنده من أوسمة خالدة أولها الوسام النبوي فهو من جملة كتاب الوحي، ثانيهما وسام عمر بن الخطاب فقد جعله أميراً على الشام طوال مدة خلافته، ثالثهما وسام التاريخ فقد سجل أنه صحابي كبير وملك مجاهد.



(١) د.محمد رشاد خليل ـ المنهج الإسلامي لدارسة التاريخ وتفسيره ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ نقلا عن الكامل لابن الأثير مجلد ٥ ص ٨٧ وانظر تفصيل هذه المسأله فى كتاب عبدالملك بن مراون ـ لضياء الدين الريس ص ١٠٢.

(٢) أنظر محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي ـ العهد الأموي ـ الجزء الرابع ـ المكتب الإسلامي ط (٧).

الدولة العثمانية

كتب المؤرخون عن الدولة العثمانية، وتناولوها بالتأريخ والتحليل.. منهم من كتب بأمانة، ومنهم من زاد على ذلك في تحامله وتحميله الأحداث أكثر من طاقتها.

يسمون الدولة العثمانية بالاستعمار تارة، وبالاحتلال تارة، وبالظلم والجور والعسف تارة أخرى.

ما أحوج الأجيال الصاعدة لمعرفة تاريخها الحقيقي الذي طمسه الغرب النصراني والصهيونية بقصد مطامح استعمارية استيطانية.. ما أحوجها لدرء الخطر الذي يتهددها في حاضرها ومستقبلها.

أما آن الأوان لكتابة تاريخنا المشرق بأيد نظيفة، لخيرنا وخير الإنسانية جمعاء؟

نشأة الدولة العثمانية (الدولة فى طورها الأول)

تُعتبر الدولة العثمانية أعظم الدول الإسلامية التي أخرجتها التركستان الشرقية، وأطولها عمرًا، وأعظمها نفعًا للإسلام والمسلمين.

بدأ ظهور العثمانيين في التاريخ عندما دفعت غزوات المغول في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي إحدى القبائل التركية الإسلامية للاتجاه صوب أراضي الدولة العباسية، واستقرت في الأناضول بقيادة أرطغرل بن سليمان، الذي التحق بخدمة السلطان علاء الدين السلجوقي، وساعده في جهاده ضد ا لبيزنطيين، وأقطعه في مقابل ذلك مقاطعة كانت النواة الأولى للدولة العثمانية، التي استمرت من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر الهجري.

تولى الحكم بعد أرطغرل ابنه الغازي عثمان، الذي يُعتبر بحق مؤسس الدولة العثمانية، والتي تُنسب إليه، فقد استطاع أن يوسع رقعة مقاطعته الصغيرة بالتوسع نحو بحر مرمرة، ثم تولى الحكم بعده أورخان بن عثمان ٧٢٦-٧٦٣هـ، الذي استولى على أراضي الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى، ونشر الإسلام في تلك البقاع، وأكثر من فتح المساجد والمدارس، وعبر مضيق الدردنيل إلى البر الأوروبي.

وفي عهد مراد الأول ٧٦٣-٧٩١هـ/ ١٣٦١-١٣٨٩م: توسعت الدولة العثمانية توسعًا كبيرًا، واستولى على بلغاريا وسلانيك وأرهب الأوربيون، فنظموا حملة صليبية بسبب نداءات البابا، وتداعت أوربا لحرب هذه القوة الإسلامية الفتية الصاعدة، وكانت تلك الحملة بقيادة ملك المجر وبجيش قوامه مائة ألف مقاتل، وكان الجيش العثماني قليل العدد، حيث لم يزد أفراده عن عشرة آلاف مقاتل.. ومع هذا أنزل الله نصره على جنوده المجاهدين الصابرين، وانهزم الصليبيون هزيمة نكراء.

أعدت الدول الأوربية حملة أخرى بجيش كثيف للانتقام من العثمانيين وتقابل الجيشان، وكانت حصيلة المعركة هزيمة أخرى للصليبيين، وانتصارًا ساحقًا للعثمانيين، مكنهم من الوصول إلى بحر الأدرياتيك، مما أفزع العالم الأوربي المسيحي، وتنادوا لإقامة حملة صليبية ثالثة عام ٧٩١هـ/١٣٨٩م، وللمرة الثالثة تمت هزيمة الصليبيين.

وبينما كان مراد الأول يتجول في ساحة المعركة، اغتاله أحد الأعداء فذهب إلى ربه شهيدًا.

السلطان بايزيد

عندما تولى السلطان بايزيد، كانت أراضي الدولة العثمانية قد وصلت إلى وسط أوروبا، ولم تسكت أوروبا، وللمرة الرابعة تجمعت جيوش ١٥ دولة أوروبية لمحاربة المد الإسلامي الصاعد على يد الدولة العثمانية الفتية، والتقت الجيوش عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م، وكانت نتيجة المعركة الضارية النصر المؤزر للجيش العثماني بقيادة السلطان بايزيد، ولم تستطع جحافل أوروبا أن تنتصر على هذا السلطان، ولكن حاكمًا مسلمًا آخر استطاع أن يُخضع السلطان بايزيد ويهزمه، وهو **تيمورلنك** في معركة أنقرة عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م وانتهت المعركة بأسر بايزيد وموته في الأسر كمدًا وحزنًا.

وتمزقت الدولة العثمانية لفترة محدودة، ولكن سرعان ما لبثت أن عادت بعدها لتواصل مسيرتها القوية على يد محمد الأول بن السلطان بايزيد.

السلطان مراد الثاني

عندما جاء مراد الثاني استطاع أن يُعيد لهذه الدولة قوتها حتى وصلت جيوشه المجر، مما أدى إلى قيام حملات صليبية جديدة، استطاع السلطان مراد الثاني هزيمتها.

تنازل السلطان مراد الثاني لابنه محمد الثاني (محمد الفاتح) الذي لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من العمر ليتفرغ هو للعبادة.

وعندما علمت أوروبا بذلك جردت حملة صليبية ضخمة، فأرسل محمد الثاني لوالده قائلاً له: "إن كنت أنا السلطان فأنا آمرك بقيادة الجيش، وإن كنت أنت السلطان فدافع عن مملكتك".

آنذاك قام السلطان مراد الثاني بواجب الجهاد، وهزم جيش الصليبيين البالغ أكثر من مائة ألف جندي، وأراد مراد الثاني بعد هذه المعركة أن يعود إلى عزلته، فأبى عليه ذلك رجال الدولة والجيش، واستمر في الحكم لحين وافته المنية سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م.

السلطان محمد الفاتح

تولى محمد الفاتح، الشاب القوي الجريء الحكم بعد والده ٨٥٥-٨٨٦هـ/ ١٤٥١-١٤٨١م، واستطاع هذا السلطان الشاب أن يفتح القسطنطينية [1] التي قال فيها الرسول ﷺ: (لَتُفْتَحَنَّ القسطنطينية.. فلنعم الجيش جيشها، ولنعم الأمير أميرها).

وبفتح القسطنطينية زالت الإمبراطورية البيزنطية إلى الأبد، وقد تم ذلك الفتح المبين عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م. ولقد عامل محمد الفاتح النصارى معاملة حسنة، على عكس ما فعله ويفعله الصليبيون عندما يظفرون بالمسلمين.

وجاء في كتاب محمد الفاتح إلى أهل القسطنطينية بعد أن أقسم بالله خالق الأرض والسموات بأنه يعطي الأهالي المسيحيين حريتهم في العبادة والتجارة قائلاً لهم: "يستطيع الأهالي أن يديروا أموالهم وبيوتهم ومتاجرهم وبساتينهم ومراكبهم وتجارتهم، وأن يحافظوا على أولادهم وزوجاتهم كما يشاؤون. وهم أحرار في بيع تجارتهم في جميع أنحاء البلد.. وسيحافظ على كنائس وصلوات أهل المدينة.. وإنني لن أحوّل كنائسهم إلى جوامع، ولن آخذ أبناءهم إلى الإنكشارية (الخدمة العسكرية آنذاك)، ولن أكرههم على الدخول في ديننا. وأعدهم بأنني لن أعاملهم كعبيد، بل سأحافظ عليهم وأدافع عنهم كما أحافظ وأدافع عن نفسي".

وقد بر السلطان بوعده.. وهكذا كان المسلمون بصورة عامة رحماء بالنصارى، يعاملونهم معاملة كريمة في جميع مراحل الفتوح الإسلامية منذ عهد الراشدين.. وهم على العكس من ذلك لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.. وعندما تسنح لهم الفرصة يقومون بذبح النساء والأطفال والشيوخ والضعفاء.. وكم هي جرائمهم في الحروب الصليبية في الشام وبيت المقدس.. وكم هي جرائمهم في الأندلس.. وكم هي فظائعهم في روسيا القيصرية التي أجبرت المسلمين على التنصر أو القتل، تماماً مثلما فعل الأسبان.. وكم من مآسي لا تزال تحدث حتى اليوم.

استمر بناء وتوسيع الإمبراطورية على يد السلطان الشاب محمد الثاني، بعد أن

---

(١) غزا الأسطول العربي القسطنطينية بقيادة بسر بن أرطأة سنة ٤٤هـ/ ٦٤٤م، وحاصرها يزيد بن معاوية سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م، ثم حاصرها العرب نحو أربع مرات بعد ذلك، ولم يفتحوها لمنعتها، وأخيراً فتحها محمد بن مراد الثاني، وهو ابن أربع وعشرين سنة، سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م.

تحقق على يديه العمل الباهر الذي تطلع إليه حكام الإسلام منذ أيامه الأولى.

كان محمد الفاتح يعتقد أنه لا مناص للعثمانيين من الاستيلاء على القسطنطينية إذا أرادوا تدعيم ممتلكاتهم في أوروبا.

كيف تم فتح القسطنطينية؟

مهد محمد الفاتح لهذا العمل العظيم عن طريق الاستعدادات السياسية والعسكرية. فقام بتجديد كل المعاهدات واتفاقيات الهدنة مع جميع جيرانه والأمراء الذين تربطهم بالدولة علاقات معينة، وباستكمال المنشآت التي بدأها السلطان بايزيد الأول على مقربة من القسطنطينية.

وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من مايو عام ١٤٥٣م أصبحت مدينة الأباطرة - بعد حصار استمر ثلاثة وخمسين يومًا - ثالث وآخر عاصمة لدولة الخلافة الإسلامية. واتجه محمد الفاتح مباشرة إلى كنيسة أياصوفيا حيث أذن المؤذنون للصلاة، ثم صعد السلطان بعد ذلك إلى مذبح الكاتدرائية وأدى صلاة الظهر إيذانًا بتحويلها إلى مسجد. وأطلق السلطان على مدينة القسطنطينية إسلامبول [١]، أي عاصمة الإسلام، وقد رفع الاستيلاء على القسطنطينية من شأن العثمانيين في العالم الإسلامي.

بعث محمد الثاني إلى أمراء المسلمين ينبئهم بذلك الفتح العظيم، وفي رسالته إلى عزيز مصر "إينال شاه" عام ١٤٥٣-١٤٦٠م سلطان دولة المماليك الشراكسة قال:

"إن من أحسن سنن أسلافنا أنهم مجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، ونحن على تلك السنة قائمون، وعلى تلك الأمنية دائمون، ممتثلين بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [٢]، ومستمسكين بفضل الملك العلام، إلى أداء فرض الغزاء في الإسلام، مؤتمرين بأمره تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ﴾ [٣]، وجهزنا عساكر الغزاة والمجاهدين من البر والبحر، لفتح مدينة مُلِئَت فجورًا وكفرًا، والتي بقيت وسط الممالك الإسلامية تباهي بكفرها فخرًا.

---

(١) تُكتب أحيانًا استامبول وأحيانًا اسلانبول، وهو اسم استخدمه المسلمون منذ الأيام الأولى للإسلام، وظل اسم القسطنطينية يُستخدم كمصطلح رسمي عثماني.

(٢) التوبة ٢٩.

(٣) التوبة ١٢٣.

لقد أحرز محمد الفاتح في فترة حكمه التي امتدت ثلاثين عامًا (١٤٥١-١٤٨١م) الكثير بجانب هذا العمل العظيم، حيث امتدت الإمبراطورية دولة الخلافة الإسلامية في البلقان وبلاد اليونان وأصبح البحر الأسود بحيرة إسلامية، واستولى على مملكة طرابزون. وفي عام ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م تم الاستيلاء على جزيرة القرم.

السلطان سليم الأول ٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م

في عهد السلطان سليم الأول تمت فتوحات كثيرة، واستولى على أرضروم ومرعش وأذربيجان، وبعد هزيمة الصفويين في إيران في موقعة "جالديران" عام ١٥١٤م، تمكن من احتلال سوريا بعد موقعة "مرج دابق" عام ١٥١٦م، ثم احتلوا مصر في العام التالي.

السلطان سليمان (الملقب بالقانوني) (١)

جاء بعد السلطان سليم إلى الحكم ابنه (سليمان الملقب بالقانوني) حيث وصلت الإمبراطورية العثمانية إلى أوج عظمتها، وعاشت دورها الذهبي، وقد حكم ٤٨ سنة قضى معظمها في أسفار الفتوحات، إذ بلغ عدد الحملات التي قادها بنفسه ثلاث عشر حملة، ففتح بلغراد وجزيرة رودس والمجر، ووصل إلى أبواب فيينا، وفتح بغداد وأجزاء من إيران، كما فتح شمال أفريقيا.

ولمعرفة مدى اتساع هذه الفتوحات، نقول أنه تسلم إمبراطورية مساحتها ٧,٥ ميلون كم٢ ولكن هذه المساحة بلغت عند وفاته ١٣ مليون كم٢.

ويُذكر لهذا السلطان المجاهد أنه أدخل نظمًا وتنظيمات كانت كلها مستمدة من الشريعة الإسلامية، ولم تكن مستمدة كما أُشيع عنه من القوانين الوضعية (٢).

في عهده توحدت البلاد العربية من الجزائر إلى الخليج العربي شرقًا، ومن حلب شمالاً إلى خليج عدن وبحر العرب جنوبًا، ووصلت الخلافة العثمانية إلى أوج مجدها.

والشيء الذي يُذكر لهذا الحاكم المسلم أنه أصدر في عام ١٥٢٠م فرمانًا لاحقًا أكد

(١) لأنه وضع القوانين المنظمة لمرافق الدولة.
(٢) انظر د. جمال عبدالهادي محمد مسعود وآخرون - الدولة العثمانية ص٥٥- الوفاء للطباعة والنشر.

فيه ما جاء في الفرمان الذي صدر في عهد أبيه السلطان سليم الأول بمنع اليهود من استيطان سيناء.

(خير الدين بارباروسا) وأخوه (عروج) لم يكونا قرصانين [1]

كان خير الدين البحار الشهير وأخوه عروج نصرانيين، من إحدى جزر بحر إيجه، كانا يعملان في القرصنة البحرية، ثم هداهما الله إلى الإسلام فأسلما ودخلا في خدمة السلطان "محمد الحفصي" صاحب تونس، وكانا يعترضان السفن الأسبانية والبرتغالية المحاربة وغيرها.

استطاع عروج أن يحرر مدينةالجزائر، وأن يهزم جيوش شارلكان التي أرسلها لمحاربته، كما حرر مدينة تلمسان، غير أنه قُتِل في إحدى حروبه مع الأسبان، واستمر خيرالدين في عمله البحري، ووجه كل اهتمامه ضد الأسبان انتقامًا لما فعلوه بالمسلمين في الأندلس.

عندما جاء السلطان "سليم" إلى مصر أرسلا له رسولاً يعلنان له خضوعهما للدولة العثمانية، وفي عهد السلطان "سليمان" قام خيرالدين برباروس بغزو مواني جنوب إيطاليا، ونجح في تحرير تونس من الاحتلال الأسباني، فانزعج الصليبيون من أبناء أوروبا الذين كانوا يعدون لاغتصاب الشمال الأفريقي.

لقد كان خيرالدين وأخوه مجاهدين مسلمين، وكان لهما دور عظيم في مواجهة الزحف الصليبي على ديار المسلمين.

لقد لعب العثمانيون دورًا كبيرًا في صد هجمات البرتغاليين والأسبان والدول الأوروبية الأخرى على البلاد العربية ابتداءً من الشمال الأفريقي.. المغرب وتونس والجزائر وليبيا، وانتهاء باليمن وعمان والصومال.

كما لعب العثمانيون دورًا بارزًا وهامًا في صد الامتداد التوسعي للدولة الصفوية في إيران والتي استولت على العراق مما أدى في النهاية إلى إضعاف الدولتين المسلمتين، وتحولهما إلى لقمة سائغة للجيوش الروسية خاصة، والأوروبية عامة.

---

(١) المصدر نفسه.

تصدى السلطان سليم الأول للهجمة البرتغالية الأسبانية الشرسة، التي غزت ديار الإسلام تحت شعار الاكتشافات الجغرافية، لتطويق العالم الإسلامي ونهب ثرواته.

حينما اتجه الأسبان والبرتغاليون نحو بلاد المسلمين ـ كان شعارهم الصليب أو المدفع، ووجهوا مدفعيتهم إلى المدن، وهدموا المساجد في شرق أفريقيا، وهاجموا مراكب الحجاج في البحر الأحمر، وقتلوا ومثلوابالحجيج، وأرادوا اقتحام مكة والمدينة ـ تصدى لهذا العدوان البرتغالي الأسباني الصليبي السلطان سليم الأول، بعد أن أحس بأن مقدسات المسلمين في خطر، تاركًا الجبهة الأوروبية، وحركة الجهاد مستعرة بها، وجاء ليوحد العالم الإسلامي.. العراق والجزيرة العربية وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا والجزائر والمغرب وتونس في جبهة واحدة مع شبه جزيرة البلقان وشبه جزيرة الأناضول، ومعظم أوروبا الشرقية ضد الهجمة البرتغالية الأسبانية.

وعندما بدأ الصفويون يتحرشون بالعثمانيين، ويحاولون التوسع، بعد أن تحالفوا مع المماليك، وسعوا إلى نشر المذهب الشيعي، قاد السلطان سليم جيشًا استطاع به تأديب الصفويين الذين تحالفوا أحياناً مع البرتغاليين أعداء الأمة الإسلامية ضد العثمانيين [1].

ويقرر المؤرخ أرنولد توينبي بأن سياسة الدولة الصفوية في إيران ـ خلال المحاولة التي قام بها الصفويون لبسط المذهب الشيعي في العراق وآسيا الصغرى ـ هي التي دفعت الدولة العثمانية إلى الخروج إلى الشرق العربي لحماية آسيا الصغرى خاصة والعالم السني بصفة عامة [2].

ويرى فريق من المؤرخين أن السلطان سليم الأول قد وجه اهتمامه نحو الشرق لصد الخطر الصليبي وحماية الشرق الأدنى الإسلامي بعد أن دخل البرتغاليون البحر الأحمر عام ١٥١٣م واستولوا على عدن وجزر كمران.

تنازل الخليفة العباسي عن الخلافة الإسلامية للسلطان سليم الأول

أجمعت معظم مصادر التاريخ على أن الخليفة المتوكل على الله تنازل عن الخلافة للسلطان سليم، وسلمه شاراتها وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء العباسيون في بغداد،

---

(١) انظر جمال الدين عبدالهادي وآخرون ـ الدولة العثمانية ـ دار الوفاء.
(٢) عمر عبدالعزيز عمر ـ تاريخ المشرق العربي ص٨٨ ـ دار النهضة العربية.

وسيف الخليفة عمر بن الخطاب، والتي لا تزال محفوظة حتى اليوم في مسجد أبي أيوب في إسلامبول.

ومنذئذ أصبح السلطان العثماني هو خليفة المسلمين، وصارت إسلامبول هي مقر الخلافة الإسلامية العظمى.

يرى المؤرخ ابن خلدون في مجيء الأتراك العثمانيين برهانًا على عناية الله المتواصلة بالإسلام والمسلمين فيقول:

"بينما كانت الخلافة الإسلامية قد ضعفت وفسد أمرها، ولم تعد قادرة على صد أعدائها، جلب الله تعالى لها بحكمته وحسن تدبيره وإحسانه حكامًا وحماة جددًا من بين قبائل الترك العديدة العظيمة، حتى ينفث من جديد الروح في جسم الإسلام، ويُعيد إلى المسلمين وحدتهم" [(١)]. ويقول فهمي جدعان [(٢)]: "كان يحكم مشرق العالم الإسلامي – عند مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) - دولاً ثلاث هي الدولة العثمانية في آسيا الصغرى والأناضول، والدولة الصفوية في إيران، ودولة المماليك في مصر وسوريا.

أما غرب هذا العالم فكان تحت حكم السعديين الفلاليين ومن بعدهم العلويين، وقد كانت أخطار الأسبان والبرتغال تتهدده باستمرار، وكانت أفريقيا (تونس) في ظل الخلافة الحفصية، كانت موانئها ومدنها إيضًا تعاني باستمرار من هجمات الأسبان الذين بعد أن استردوا الأندلس راحوا يتطلعون إلى الاستيلاء على أفريقيا المسلمة.

ولا شك أن الدولة العثمانية هي التي قُدِرَ لها أن تكون أعظم هذه الدول إطلاقًا، وأن تؤدي دورًا فاعلاً حاسمًا في التاريخ حتى مطلع القرن العشرين. ولقد تعاقب على حكم هذه الدولة في مراحل تكوينها وتوسعها العظيم عدد من عظماء السلاطين الدهاة الذين غيرو شكل العالم في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، مؤسسين إمبراطورية شاسعة امتدت من مداخل فيينا إلى مضائق باب المندب، ومن بلاد القفقاس عبر شمال أفريقيا، إلى مشارف شواطيء الأوقيانوس الأطلسي. وبتعبير آخر توسعت

(١) البرت حوراني: الأسس العثمانية للشرق الأوسط - لونجمانز ص٦.
(٢) د. فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام - دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان.

داخل أوروبا وهزت العالم الصليبي باحتلالها للقسطنطينية عام ١٤٥٣م، ثم اتجهت بعد ذلك إلى العالم العربي المجزأ المضطرب المهدد فجعلت منه جناحها الثاني في آسيا وأفريقيا.

اتجهت الفتوحات العثمانية في أوائل القرن السادس عشر نحو الشرق العربي في عهد السلطان سليم الأول، وفي وقت كانت فيه الدولة الإيرانية الصفوية بقيادة السلطان شاه إسماعيل آخذه في التوسع، بينما كانت دولة المماليك في مصر وسوريا قد وهنت قواها من جراء حروبها مع المغول بشكل خاص. وكان هؤلاء قد عقدوا مع الصفويين معاهدة قطعوا بها علاقاتهم مع السلطان سليم، ولأسباب مختلفة، بعضها سياسي، وبعضها جغرافي استراتيجي، وبعضها ديني، وجه السلطان سليم حملة ضد إيران الصفوية، هزم جيشها ضامًا إلى الدولة العثمانية أناطوليا الشرقية، وشمال العراق، بما في ذلك كردستان، ثم لم يلبث أن جرد جيشًا كبيرًا قاده بنفسه عام ١٥١٦م وتوجه به إلى سوريا حيث التقى في سهل مرج دابق شمالي حلب بجيش السلطان المملوكي قانصوه الغوري فهزمه في أقل من نهار واحد، وقُتِلَ الغوري، بينما تابع الجيش العثماني زحفه محتلاً حمص وحماه ودمشق، ثم مجتازًا صحراء سيناء، ومشتبكًا مع المماليك في معركة الريدانية التي فتحت له الطريق إلى القاهرة، فدخلها عام ١٥١٧م منهيًا بذلك حكم المماليك لمصر وسوريا الذي دامَ قُرابة ثلاثة قرون (١٢٥٠-١٥١٧م)، وقد تلا ذلك احتلال الحجاز مع مكة والمدينة، ثم الطرق التي كان ينازعهم عليها الصفويين، وقد وطدوا حكمهم فيها.

أما أفريقيا العربية ــ خلا المغرب ـ فقد أصبحت مرتبطة بالدولة العثمانية أولاً بواسطة أمير البحر المجاهد خيرالدين بارباروسا الذي كافح الأسبان كفاحًا مجيدًا، ثمَّ لمّا تعاظمت الأخطار الأسبانية والبرتغالية تدخلت جيوشها مباشرة وطالت الحرب بينها وبين أسبانيا، حتى تمكنت من إبعاد هذا الخطر، وجعل أفريقيا ولاية عثمانية (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)، إلى ثلاث إيالات.. الجزائر وتونس وطرابلس، يحكم كل واحدة منها وال يُلقب بـ (باشا) ثم تحولت إلى ولايات عسكرية، وذلك إلى حين الغزو الفرنسي للجزائر في عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م.

من منجزات الدولة العثمانية

يُثبت المؤرخون المنصفون أن الأثر الذي خلفته الفتوحات العثمانية في البلاد

العربية لم يكن أثرًا سلبيًا بالإجمال. وهو لم يصبح كذلك إلا في العصور المتأخرة حين ارتبط الوجود التركي بنزعات الاضطهاد للعرب التي بدأت بظهور التجمعات والدعاوي الطورانية المنفردة ووصلت إلى أوجها بإنفاذ أحكام القمع الجسدي في عدد من أحرار العرب عام ١٩١٦م على أيدي متطرفي جمعية الاتحاد والترقي الذين كانوا ينفذون تعاليم الماسونية والصهيونية العالمية.

والذي يميل المؤرخون إلى إثباته هو أن القبائل التركية حين دخلت العالم الإسلامي لم تأت غازية فاتحة كالغازي والفاتح الأجنبي إلى عالم حاول التصدي لها، أو كان في استطاعته أن يحمي نفسه ويحكم نفسه ويتطور بدونها، وأنه لولا هذه القبائل لما كان لهذا العالم أن يعيش بعد الانهيار العظيم الذي أصابه، أو على الأقل أن يتكون على الشكل الذي تكون فيه.

كما أن الدولة العثمانية بضمها لسوريا ومصر والحجاز والعراق وأفريقيا العربية في القرن السادس عشر، قد أدت خدمات عظيمة لم يكن إيقاف الخطر البرتغالي الأسباني، وحماية أفريقيا العربية من أوروبا الكاثوليكية بعد سقوط الأندلس أخطرها. فهناك بالإضافة إلى ذلك الحؤول دون التوسع الإيراني الشيعي في العالم السني - وإن كانت هذه القضية تظل قضية مذهبية خطورتها نسبية - غير أن الأهم والأخطر من هذا كله هو أن الدولة العثمانية قد خلقت في العالم العربي وحدة سياسية كانت قد زالت تمامًا بعد تفكك الدولة العباسية وهدمها ثم زوالها في منتصف القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

وأكثر من هذا أيضًا أنها حمت هذا العالم خلال أربعة قرون كاملة من الخطر الأوروبي، إذ ما كادت الدولة تدخل في مرحلة الضعف في القرن التاسع عشر حتى بدأت الدول الأوروبية - وخاصة فرنسا وانجلترا - تنفذ عمليًا مطامعها ومشاريعها الاستعمارية.

ولن تنسى الأمة المسلمة حماية سلاطين آل عثمان للأرض المباركة ومقدساتهم في بيت المقدس "فحينما فتح السلطان سليم الأول مصر عام ١٥١٧م/ ٩٢٤هـ أصدر فرمانًا بمنع اليهود من الهجرة إلى سيناء، فسد الطريق في وجوه اليهود إلى القدس الشريف، وكان السلطان عبدالحميد الثاني على نفس الطريق، فرفض بإباء وشمم منح اليهود

فلسطين، وقال عنها: "إنها أرض الأقصى التي رواها الأجداد والآباء بدمائهم، ولا يمكن التفريط في حبة رمل من رمالها".

كما يُثبت هؤلاء المؤرخون

(١) أن السلطان سليم عندما عاد من مصر إلى إسلامبول بصحبته ألف جمل محملة بالذهب والفضة، فضلاً عما غنمه من التحف والسلاح العيني، والنحاس المكتشف، والخيول والبغال والجمال وغيرها، بالإضافة إلى طوائف الصناع المهرة، وأهل الفنون والنجارين والحدادين والمرخمين والمبلطين والمهندسين والحجارين والفعلة، كان أمر لم يُقصد منه تفريغ مصر من خبرائها بقدر ما كان يُقصد منه الاستعانة بهذه الخبرات من أجل تطوير عاصمة الدولة.

(٢) أنه إذا ما استثنينا العهد المتأخر للدولة، فإننا نلاحظ أن العثمانيين كانوا على وجه العموم يمنحون المقاطعات العربية شيئًا من الاستقلال الذاتي، ويحلون بعض العرب في مكان بارز من الإدارة الداخلية، ومن النظام القضائي، والمؤسسات العسكرية للإمبراطورية.

(٣) صحيح أن اللغة العربية لم تكن اللغة الرسمية للدولة، إلا أنها بقيت لغة الشريعة، ولغة المعاهد الدينية التي تستقي مصادرها منها، كجامعة الأزهر في القاهرة، والمعاهد الدينية في بلاد الشام. وفي هذا رد وإنكار على من يقولون بأن العرب كانوا طوال أربعمائة سنة أمة مستضعفة تحت نير الأتراك، أو أن البلدان العربية قد نُهبت خيراتها وخيم عليها الفقر من جراء الحكم التركي. كما أنه ليس هناك دليل تاريخي قاطع على صحة ما يُشاع في القرن العشرين بأن الأتراك وحدهم المسؤولون عن التخلف وعن التأخر الحضاري الذي ألمّ بالأقطار العربية طوال أربعمائة سنة.

(٤) إن بعض البلدان العربية، وخاصة سوريا، قد أفادت من القرون الأولى من الحكم التركي، وأن مصائب العرب حتى في العصور التالية لم تكن متأتية من شدة الحكم التركي وقسوته، بقدر ما كانت نتيجة لعدم سطوة الحكم التركي وقدرته على إثبات وجوده، ذلك لأن العرب كانوا حتى منتصف القرن التاسع عشر يعانون من الانقسامات الداخلية والأنظمة القبلية، والتنافس بين العائلات التي كانت تتولى

الحكم، ويقاسون الشقاء بسبب مشاحناتهم الداخلية ضد الباشوات [1].

(٥) أن الدولة العثمانية قد ألزمت نفسها بأن لا تكون دولة الأتراك فقط، وإنما بحكم قيامها على نظام للحكم إسلامي للإسلام والمسلمين أيضًا، بمعنى أنها كانت تعتبر أن هدفها هو تقدم الإسلام وحمايته ضد أي خطر خارجي، وهي على الرغم من الاعتراضات الكثيرة والانتقادات المريرة التي وجهها عدد من مفكري العرب، فإنهم أنفسهم كانوا ينظرون إليها على أنها دولة الخلافة الإسلامية، وأنهم شركاء في الحكم، ولم يتزعزع هذا الشعور عندهم إلا بعد ما شهدوا دعاوى الطورانيين، ومن محاولة دمج العنصر العربي وتتريكه بعد الاستيلاء على مقاليد الحكم من قبل الاتحاديين إثر انقلاب عام ١٩٠٨م.

مآخذ على السياسة التركية العربية خاصة، وفي السياسة التركية العثمانية عامة

يرى البعض من المؤرخين:

(١) أن الأتراك لم يسعوا بجد لتطوير الأقطار العربية، وإنما تركوها على حالها ضحية لمشاكلها المزمنة، وللأنظمة الاجتماعية والإقطاعية الظالمة.

(٢) أنه بسبب الحروب التي خاضوها في أوروبا، قد أرهقوا هذه الأقطار بما كانوا يستأصلون من ضرائب، وبما كانوا يزودون به الجيوش المحاربة من جند هذه الأقطار. ويتساءل البعض عن الأسباب التي دفعت الدولة العثمانية إلى استنزاف أقطار الدولة في هذه الحروب التي كانت نتيجة توسع في البلدان الأوروبية لم يصحبه أي جهد يُذكر لنشر دعوة الإسلام، ولم يخلف وراءه أي أثر يُذكر للإسلام، ولم يكن في نهاية الأمر إلا جهدًا عسكريًا خالصًا أو شبه خالص تحمل الإسلام والمسلمون أنفسهم آثاره التاريخية المعروفة.

(٣) يتساءل البعض عن الحكمة في السكوت عن أمر تعريب مؤسسات الدولة، وعدم الاكتراث الكامل لهذه المسألة في نظام سياسي يأتمر بدين لا ينفك عن اللغة التي جاء بها، وأنها على الرغم من ربط أنظمتها بالشريعة الإسلامية، قد تجنبت عن

(١) المصدر السابق نقلاً عن زين نورالدين زين - نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية - ط٢ بيروت ١٩٧٢ - ص٢٦-٢٨.

عمد جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة.

ويرد البعض فيقول:

ومهما يكن من أمر فإن العالم العربي كان جزءًا من الدولة العثمانية، واجه ما واجهت، وعانى ما عانت، وحين سقطت الخلافة أصبح العالم العربي ممزقًا مفتتًا مستعمرًا ضعيفًا متخلفًا. وكان يوم سقوط الخلافة هو يوم سقوط الغطاء الشرعي لوحدة الأمة، وثقلت على الأمة العصور الحديثة بتحدياتها، وضاقت عليها الأرض بما رحبت.

كان سقوط الخلافة العثمانية أشبه بسقوط الأندلس قبل خمسة قرون.

عندما كانت الإمبراطورية العثمانية دولة قوية في بداية نشأتها، وقامت بتوسعاتها في أوروبا، فإننا نجد أن معظم الدول الأوروبية قد بدأت تتكتل ضد هذا الخطر من جانب دولة إسلامية شرقية وكانت نظرة أوروبا تجاه الدولة الناشئة المتوسعة نظرة دينية لازالت قائمة على مدى العلاقة بين المسيحية والإسلام، حيث لم تكن الحروب الصليبية التي قامت في العصور الوسطى قد غابت بعد عن الأذهان، إذ كان هَمُّ أوروبا حتى نهاية القرن السادس عشر هو التكتل والوقوف ضد الخطر العثماني، وإنقاذ الدول الأوروبية من السيطرة العثمانية. وبذلك فإننا نجد أن قوات السلطان سليمان قد فشلت في الاستيلاء على مدينة فينا التي وصلتها في ٢٧ سبتمبر عام ١٥٢٩م، وسرعان ما انسحبت منها في ١٥ أكتوبر، ولقد قام العثمانيون بمحاولة أخرى في مدى قرن ونصف، أي في عام ١٦٨٣، ولكنه فشلوا أيضًا. وبذلك أوقفت أوروبا التقدم العثماني، وتقدم النمساويون وحلفاؤهم إلى المناطق العثمانية في المجر واليونان وسواحل البحر الأسود.

يقول أبوالحسن علي الندوي [1]:

"رغم العلل التي وُصِفت بها الدولة العثمانية تسجيلاً للواقع وأمانة للتاريخ، فلا شك أنها كانت - على علاتها الأخيرة - حصنًا منيعًا للإسلام، وسورًا قويًا للأقطار العربية الإسلامية الواقعة في الشرق الأوسط بما فيها الحجاز، وفلسطين، يمنع من تدخل القوى الأجنبية الغربية في هذه البلاد وعبثها بها، عبث اللاعب بكرة القدم، واعتدائها على مقدساتها.

وقد بقي الوضع على ذلك إلى عهد السلطان عبدالحميد خان، رغم ما قيل عنه

(١) أبوالحسن الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - ص ١٧٠ - دار السلام للطباعة والنشر.

وأشيع، فقد أخفقت كل محاولة مسيحية، وكل مؤامرة يهودية، ضد المقدسات الإسلامية في عهده، حتى نشبت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، واستطاع الحلفاء أن يضموا العرب إلى معسكرهم، ويثيروهم على الأتراك، ونشأت فكرة القومية العربية، وانفصلت الأقطار العربية عن الإمبراطورية العثمانية، وأصبحت دولاً وإمارات كبيرة وصغيرة، وعاشت تحت الانتداب مدة طويلة، ثم استقلت، ولم تبق يد قوية تحميها، ولا سطوة عالمية تُخْشَى وتُرْهَب، وقامت إسرائيل في حضانة القوى الأوروبية الكبرى وحمايتها في قلب العالم العربي، واستطاعت أخيرًا أن تستولي على الضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء، وأن تمتلك القدس الشريف لأول مرة في التاريخ، والعالم العربي لا يملك دفعاً ولا منعًا، ويردد المثل العربي القديم: "أُكِلتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض" [1].

لقد كانت نهاية الإمبراطورية العثمانية – وخاصة في الشرق – أكبر انتصار للصليبية الأوروبية، واليهودية العالمية، وقد تركت فراغًا لم يُملأ"

يقول العلامة الندوي (٢):

تفرد الشعب التركي المسلم تحت قيادة آل عثمان بمزايا اختص بها من بين الشعوب الإسلامية يومئذ، واستحق بها زعامة المسلمين:

أولاً: أنه كان شعبًا ناهضًا متحمسًا طموحًا، فيه روح الجهاد، وكان سليمًا – بحكم نشأته وقرب عهده بالفطرة والبساطة في الحياة – من الأدواء الخلقية والاجتماعية التي أصابت الأمم الإسلامية في الشرق في مقتلها.

ثانيًا: أنه كان متوافرًا لديه القوة الحربية التي يقدر بها على بسط سيطرة الإسلام المادية والروحية، ويرد بها غاشية الأمم المناوئة وعاديتها، ويتبوأ بها قيادة العالم، فعنوا بفن الحرب وتنظيم الجيوش، حتى صاروا أئمة بغير نزاع، والمثل الكامل، والقدوة لأوروبا.

وكانو يحكمون في ثلاث قارات.. أوروبا وآسيا وأفريقيا، وملكوا الشرق الأوسط من فارس حتى مراكش، ودوخوا آسيا الصغرى، وتوغلوا في أوروبا، حتى بلغوا أسوار

(١) كلمة قالها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يشير إلى قتل عثمان بن عفان ﷺ (عن مجمع الأمثال للميداني).
(٢) أبو الحسن الندوي – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – ص١٦٠.

فينا، وكانوا سادة البحر المتوسط من غير منازع.. جعلوه بحيرة عثمانية لا أثر للأجنبي حوله، وقد كتب معتمد القيصر بطرس الأكبر لدى الباب العالي أن السلطان يعتبر البحر الأسود كداره الخاصة، لا يُباح دخوله لأجنبي، وأنشأوا أسطولاً عظيمًا لا قِبل لأوروبا به حتى اجتمعت لسحقه، روما والبندقية وأسبانيا والبرتغال ومالطه عام ٩٤٥هـ/ ١٤٥٧م ولكن لم تغن عنهم كثرتهم شيئًا.

دخل الأسطول العثماني موانى العالم القديم، وكانت أوروبا كلها ترتعد منهم وتخشاهم، وكانت تمسك عن قرع أجراس كنائسها احترامًا للترك إذا نزلوا بها.

الدولة العثمانية في عصور الانحطاط :

تقول "خالدة أديب" (١):

"في الوقت الذي بدأ الغرب في دراسة علوم الطبيعة في مدارسه وجامعاته، وأصبحت أوروبا مركزًا للعلوم الحديثة، وكان القسس الكاثوليك والبروتستانت فيها يشاركون في العلوم الحديثة. كان العلماء في تركيا العثمانية على الضد من ذلك، فلم يعنوا باكتساب العلوم الحديثة، وتغلب الجمود على نظامهم التعليمي فأصيبوا بالجدب العلمي وشبه الشلل الفكري".

"كان من سوء حظ المسلمين - فضلاً عن سوء حظ الأتراك - أن أخذ الترك في الانحطاط، ودب فيهم ما دب فيمن قبلهم من الأمم من استبداد الملوك وجورهم، وسوء تربيتهم، وفساد أخلاقهم، وخيانة الأمراء وغشهم، وإخلاد الشعب إلى الدعة والراحة، وكان شر ما أصيبوا به الجمود في العلم، والجمود في صناعة الحرب وتنظيم الجيوش، وقد نسوا قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ﴾ (٢).

كان خليقًا بهم - لحرج مركزهم السياسي والجغرافي، وقد أحاطت بهم الدول الأوروبية إحاطة السوار بالمعصم - أن يجعلوا وصية القائد الإسلامي عمرو بن العاص

(١) خالدة أديب - محاضرات في الجامعة المليه عن صراع الشرق والغرب في تركيا. (أبو الحسن الندوي - المرجع السابق).
(٢) الأنفال ٦٠.

ﷺ للمسلمين في مصر نصب أعينهم: "واعلموا أنكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم، وتشوف قلوبهم إليكم وإلى داركم".

ولكن الترك وقفوا، وتقدم الزمان" (١).

تركيا الفتاة

"رأى بعض رجال تركيا الفتاة أن الإسلام دين طارئ غريب لا يصلح للترك، وأن الأولى بهم أن يرجعوا إلى وثنيتهم الأولى قبل اعتناق آباؤهم الدين الإسلامي، وأنه لابد من إصلاح ديني يوافق طبائعهم" (٢)، "ورأى البعض الآخر أنهم أتراك واتخذوا من طوران كعبة لهم، وتغنوا بمدائح جنكيزخان، ونظموا الأناشيد للأحداث في وصف الوقائع الجنكيزية ليطبعوهم على الإعجاب بها.

وكما حصل عند الترك، حصل عند الفرس، وصار ناشئتهم يبحثون عن أديانهم القديمة، كالزرادشية والمانوية والمزدكية التي كانت تدعو إلى الإلحاد والإباحية" (٣).

يقول العلامة الندوي (٤)

سرت عدوى القومية إلى العرب آخر القرن التاسع عشر الميلادي، وهم الذين ظلوا ثلاثة عشر قرنًا يدعون إلى الأخوة البشرية، والمساواة الإنسانية، بحكم تعاليم دينهم الذي اختارهم الله لهم، وامتزج بدمائهم ولحومهم، وأصبحت لهم طبيعة لا تفارقهم، وذلك بحكم عوامل، بعضها داخلية، وبعضها خارجية أجنبية.

من أهم **العوامل الداخلية**، الكبرياء القومية، التي تظاهر بها بعض الحكام الأتراك، والغطرسة التي ظهرت في بعض معاملاتهم وتصرفاتهم، والتي كانت تشعر كثيرًا من العرب، الذين عندهم حساسية زائدة بأنهم أمة من الدرجة الثانية. فأثار ذلك في العرب النقمة والنخوة العربية، وأضرمها، وعمل على تعميق جذورها بعض كبار المثقفين المسيحيين، الذين لم تربطهم بالأتراك رابطة العقيدة والدين والإخاء الإسلامي بطبيعة

---

(١) المرجع السابق.
(٢) من محاضرات خالدة أديب هانم في الجامعة الملية بدلهي.
(٣) الأمير شكيب أرسلان - حاضر العالم الإسلامي - الجزء الأول.
(٤) انظر أبو الحسن الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - ص٢١٦-٢٢٠ - الطبعة التاسعة.

الحال، وتلقوا الثقافة الغربية، التي قد سرى في أدبها وشعرها، وفلسفتها وسياستها تمجيد العنصر والجنس والفكرة القومية.

وجاءت **العوامل الأجنبية**، فانتهز دهاة الغرب والقادة السياسيون، الذين كانوا يحلمون من القديم بانهيار الإمبراطورية العثمانية، وانفراط عقدها، وزوال سلطانها، ونفوذها الروحي والسياسي من الشرق، فاحتضنوا هذه الفكرة التي قد دب دبيبها في عروق بعض الشباب العرب الطامحين، و بدأوا يغزونها بكتاباتهم ومؤلفاتهم، ورحلاتهم وجولاتهم، في المدن العربية الكبرى، واتصالاتهم بقادة الرأي، وحملة الأقلام، ورؤساء القبائل والطوائف في العالم العربي، ويوحون إليهم - متقنعين بالحب للعرب والدفاع عن حقهم - بنقل مركز الخلافة من الأستانه التي اغتصبته في القرن العاشر الهجري، إلى مكانها الشرعي الطبيعي في أحد الحرمين الشريفين، أو إحدى عواصم الأقطار العربية الإسلامية، وكيف تسربت هذه الفكرة إلى عقول العرب، وكيف بدأت تعمل عملها، وماهو الدور الذي لعبة المفكرون الغربيون في ولادتها، ثم في إرضاعها، وتغذيتها، ونقلها من مكان إلى مكان؟

نقرأ ذلك واضحًا في ما ننقله من كتاب "مستقبل الإسلام Future of Islam الذي ألفه المستر ولفرد بلنتي عام ١٨٨٢م: إن مركز الدين وعاصمته في جزيرة العرب، وهي مهد الإسلام، ومهبط الوحي والإلهام، وهي البلد الوحيد الذي يتمتع بجميع صفات الحكم الديني، ويستطيع أن يزاوله إلى أبعد الحدود، ولا يوجد فيها المسيحيون واليهود، فيضطر إلى خلاف معهم ونزاع، ولا هو ببلد خصب غني يسيل عليه لعاب الدول الغربية، والخليفة هناك لا يخشى إنذار سفير إنجليزي أو فرنسي وتهديد مبعوث أجنبي، إنه يستطيع أن يتصرف بحرية شأن نائب الرسول، ويكون الإسلام صافيًا نقيًا من جميع الشوائب والأدران، لذلك كله من المحتمل أن تعود الخلافة إلى أهلها في مكة أو المدينة.

إن نقل العاصمة الروحية من القسطنطينية إلى مكة عملية طبيعية سهلة، لا تغير في الأفكار والمعتقدات الراهنة للجمهور، ويتفق مع آراء العلماء واتجاهاتهم كل الاتفاق.

إن مكة والمدينة هي المأوى الشرعي والملاذ الروحي لأهل الحل والربط، وستكونان مركز القوة الروحية، وقد وافق عل هذا الرأي كل من تحدثت إليه في هذا الموضوع، وآمنوا بأن جميع العلماء سيوافقون على هذه الفكرة عدا أصدقاء تركيا، أما أنا

فإني أرى أن مكة هي المقر الرئيسي للخلافة. كنّا نسمع منذ زمان هذه الجملة السائرة، أن "روما هي العاصمة"، كذلك جملة "مكة هي العاصمة" تؤثر تأثيرًا بالغًا في الأذهان، فإذا أضيف إليها "أن الخلافة في قريش" فإنه يثير على أقل تقدير اهتزازًا ونشوة في العرب الأقحاح.

إن العنصر العربي بلا شك يؤيد مثل هذا الخيار، ولا يغيب عن بالنا أن منطقة نفوذ العرب تمتد من مراكش إلى بوشهر، كما يقع في هذه المنطقة مسلموا الهند والملايو، بل إن كل عنصر إسلامي أينما كان يدور في هذه الفلك، ماعدا الأتراك الذين لا يزالون يفقدون أهميتهم على مر الأيام"

ويمضي الندوي فيقول:

ونشبت الحرب الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، وسنحت للأقطار العربية فرصة الانشقاق على الإمبراطورية العثمانية، وانتهز الحلفاء هذه الفرصة الذهبية، فنفخوا في تربة القومية، وقام لورانس الداهية بدوره، فأشعل الحماس القومي، وأثار العرب على الأتراك، وثار الشريف حسين في الحجاز، وأهل الشام في الشام، وفضلوا الانضمام إلى راية الحلفاء على البقاء إلى جوار الأتراك المسلمين، الذين كانوا رمز قوة الإسلام وشوكته، وتناسوا نصوص القرآن والسنة في هذه القضية، واعتمدوا على الوعود الخلابة، والسياسة المتقلبة، التي لا تعرف إلا المصلحة، ولا تعبد إلا القوة، وكان من قيام الحكومة العربية الهاشمية في سوريا، ثم نقض الحلفاء للعهود،وتجاهلهم لها بتاتًا، وانهيار هذه الحكومة السريع.

السلطان عبدالحميد الثاني السلطان الشهيد

(١٢٥٨-١٣٣٦هـ/ ١٨٤٢-١٩١٨م)

تذكر كتب التاريخ أن عهد السلطان عبدالحميد الثاني قد تميز بالظلم والاستبداد، وكبت الحريات، وملاحقة الأحرار والقسوة على الأتراك والعرب [١]، وأنه سعى لتوطيد

(١) انظر كتب المواد الاجتماعية، فريق خبراء مؤسسة جيوبرجكتس ــ وزارة التربية ــ البحرين ــ طبعة ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م، ص١٤٨-١٤٩ للصف الثالث الإعدادي، وتاريخ العرب الحديث والمعاصر للمرحلة الثانوية.

سلطانه إلى كبت كل نزعة إلــى الحريــة فـي الإمبراطوريـة العثمانيـة بواسـطة جهـاز مـن الجاسوسية معقد واسع التشعب، وأنه عطل الدستور الذي وضعه مدحت باشا بعد أن أقالـه من منصبه كصدر أعظم ونفاه، وأنه أبى القيام بأي إصلاح على النمـط الأوروبـي، وأخذ بأردأ أساليب الطغيان الشرقي، بل إنه استغرقه استغراقًا متعاظمًا يومًا بعـد يـوم، في جـو من أحلام اليقظة الوهمية، مؤكدًا فى المحل الأول على مقامه الدينـى كخليفـة ، رجـاة أن يبسط سلطانه ، من هذه الطريق على جميع المسلمين[1].

أتى السلطان عبد الحميـد إلـى الحكـم فـى فـترة مضطربـة جـدًا مـن تـاريخ الدولـة العثمانية، والأوضاع كانت تغلى فى البلقان، والثورات قائمة فى البوسنة والهرسك والجبل الأسود وبلغاريا، والدول الأوربية وروسيا تؤجـج هـذه الثـورات وغيرهـا، وتمدهـا بالمـال والسلاح وبالمتطوعين، وتضغط بذلك على الدولـة العثمانيـة التـى بقيـت وحيـدة أمـام هـذه الدول جميعاً. ومن جهة أخرى كانت فرنسا قد خرجت خاسرة من حربها مع ألمانيـا سـنة ١٨٧٠م لذلك فقد تضعضع وضعها وضعـف تأثيرهـا فـى أوروبـا، أمـا انجلـترا فقـد كـان اهتمامها متوجهـاً إلـى مسـتعمراتها، وإلـى مشـاكلها الداخليـة، ولا تبـدي إلا اهتمامًـا قليـلاً بالمشاكل الأوروبية، مما أدى إلى تعاظم روسيا وألمانيا والنمسا في القارة الأوربية. بـدأت القلاقل في قريـة مـن قـرى الهرسـك فـي الأسـبوع الأول مـن أغسـطس سـنة ١٨٧٥م، وسرعان ما انتشرت إلى جميع أنحاء الهرسك والبوسنة. ولم تقف الدولة العثمانية مكتوفـة الأيدي إذ أرسلت جيوشها لقمع هذه الثورات. ولكن ما لبثت الـدول الأوروبيـة أن تدخلـت تدخلاً سافرًا، واندلعت الثورة في بلغاريا والجبـل الأسـود، وانتشـر الـدم والدمـار فـي كـل مكـان. إذ أصبحـت القـرى المسـلمة تُهـاجم ويُذبـح سـكانها، وتُنسـف الجسـور وأعمـدة التلغـراف. وهنا لم تجد الدولة العثمانية بدًا من إرسـال جيـش قوامـه ١٨ ألـف جنـدي إلـى مناطق العصيان، وأحرزت الجيوش العثمانية انتصـارات كبيرة علـى الصـرب فـي أواخـر شهر أغسطس عام ١٨٧٦م، وهو نفس الشهر الذي تسلم فيه السلطان عبد الحميد المسئولية العظمى في أحلك أدوار التاريخ التركي وأكثرها صعوبة.

تقول الكاتبة الأمريكية Elizabeth Warmely Leatimer: "أثبـت هـذا السـلطان

(١) كارل بروكمان - تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمه نبين امين فارس ومنير البعلبكـي ص ٥٨٩ ص ٥٩٠ - دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الأولى ١٩٤٨

في مدة قصيرة أنه سياسي من الدرجة الممتازة، حيث أدار الإمبراطورية العثمانية الواسعة التي كانت مشرفة على الزوال إدارة ممتازة، وبدأ بإصلاحها وترقيتها".

ويصف البروفيسور "أرمينيوس واميري" رئيس جامعة بودابست السلطان عبدالحميد فيقول: "إرادة حديدية، عقل سليم، عيون معبرة ومؤثرة، شخصية وخلق وأدب رفيع جدًا يعكس التربية العثمانية الأصيلة.. هذا هو السلطان عبدالحميد. ولا تحسبوا معلوماته الواسعة تخص الإمبراطورية العثمانية المنهكة، فمعلوماته حول أوروبا وآسيا وأفريقيا بل حتى حول أمريكا معلومات واسعة، وهو يراقب عن كثب جميع الحوادث في هذه الأماكن.. والسلطان متواضع ورزين إلى درجة حيرتني شخصيًا. وهو لا يجعل جليسه يحس بأنه حاكم وسلطان كما يفعل الملوك الأوربيين في كل مناسبة.. يلبس ببساطة ولا يحب الفخفخة، أفكاره عن الدين والسياسة والتعليم ليست رجعية، ومع ذلك فإنه متمسك بدينه غاية التمسك، ويرعى العلماء ورجال الدين، ولا ينسى بطريق الروم وبطريق الأرمن من عطاءاته الجزيلة.

إن بعض ساسة أوروبا يريدون أن يصوروا السلطان عبدالحميد عدوًا متعصبًا ضد المسيحيين، وليس هناك ادعاء فارغ أكثر من هذا الادعاء، لأن القول بأن السلطان الذي يختار لوزارة مالية الإمبراطورية، ولرئاسة أطباء القصر السلطاني أشخاصًا مسيحيين من رعاياه، ويُعطي مثل هذه المناصب المهمة لغير المسلمين من الروم والأرمن، هو شخص متعصب ضد المسيحيين هو كذب، وتصرف لا أخلاقي وبعيد عن الحقيقة.

إنني أستطيع أن أقول بكل ثقة: إذا استمر الأتراك بالسير في الطريق الذي رسمه هذا السلطان، إذا لم يظهر عائق سياسي فإنهم سيسترجعون مجدهم وقوتهم السابقة، وأكثر من هذا فإنهم سيصلون إلى مستوى الدول الأوروبية في مجال الثقافة والاقتصاد في مدة قصيرة [١]".

... والأمة تتقدم الآن نحو عهد جديد، فهناك تقدم واضح في الأدب واللغة، إن على منضدتي وأنا أكتب هذا الكتاب عدة مؤلفات تركية عن الاقتصاد والتاريخ والفلك والجغرافيا طُبعت بأمر السلطان وأرسلت إلى لتدقيقها، وهي في الحقيقة كتب جديرة

(١) انظر أورخان محمد علي - السلطان عبدالحميد الثاني.. حياته وأحداث عهده - دار الوثائق - الكويت.

بالاهتمام والتقدير، فقد استقت أحدث المعلومات العلمية من أوروبا كي توزع على المدارس والشعب. ومن البديهي أن الدولة العثمانية تحتاج لنهوضها إلى إنجاز أمور كثيرة.. ولكن السلطان عبدالحميد شاهد وفهم كل هذه الأمور، وهو يعمل جاهدًا لرفع مستوى شعبه من الناحية المادية والروحية [١].

صوره الأعداء من اليهود والأرمن والاتحاديين بصورة السفاح، حتى أن الأرمن أطلقوا عليه لقب (السلطان الأحمر Sultan Rouge)، وأطلق عليه جلادستون صفة "المجرم الكبير The great criminal". وفي العالم العربي كيلت له التهم نفسها، فقد صوره الكاتب القبطي الماسوني جرجي زيدان في كتابه "الانقلاب العثماني" سفاحًا يقتل ضحاياه ويقذف بهم في بحر مرمرة [٢].

تذكر المصادر التاريخية الموثوقة أن صفة الرحمة كانت أبرز صفة عنده، بل لعل صفة الرحمة الزائدة عن الحد الصحيح كانت أبرز نقطة ضعف عنده، والتي أدت في النهاية إلى عزله عن السلطنة.. كان يبدل أحكام الإعدام التي يصدرها القضاة إلى السجن المؤبد.

السلطان عبدالحميد ومواجهة الاستعمار والصهيونية

بعد ظهور الصهيونية كحركة سياسية ودينية وفكرية، وتبلورها وذيوع أخبارها بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد سنة ١٨٩٧م في مدينة بال بسويسرا، نشطت الدعوة إلى جمع اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين، لتثبيت موضع قدم لهم هناك، تمهيدًا لتحقيق أطماعهم المنشودة.

ولما كانت فلسطين تقع آنذاك ضمن أملاك الدولة العثمانية، فقد اتجهت أنظار ومحاولات زعماء اليهود إلى السلطان عبدالحميد لعله يوافق على مقترح من مقترحاتهم العديدة لتشكيل نواة صغيرة في فلسطين، أو فيما يجاورها، كخطوة أولى تتبعها خطوات أخرى نحو الوصول إلى الهدف النهائي، ولم يكن هرتزل أول من بذل مساعيه لدى السلطان في هذا الموضوع، فقد أرسلت جمعية أحباء صهيون أحد أعضائها وهو لورنس

(١) نفس المصدر عن Marti faciasi ص٦١-٦٣.
(٢) د. محمد محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية ـ ج١ ص٣٤.

أوليفانت Laurence Oliphant إلى السلطان عبدالحميد، تعرض عليه جهود اليهود في تعمير تركيا، وتجديد شبابها، مقابل السماح لهم بالاستيطان في شرق الأردن وسوريا الجنوبية، فرفض السلطان قائلاً:

"إن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أي جهة من المملكة إلا في فلسطين، لأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها ترفض مساعدة اليهود في إقامة مملكة لهم في فلسطين أساسها الدين".

كما تقدم السير صموئيل مونتاجو ـ عضو البرلمان البريطاني عن حزب الأحرار وكان رئيسًا للمؤسسة اليهودية أحباء صهيون في بريطانيا ـ إلى السلطان باقتراح مشابه سنة ١٨٩٣م فرفض طلبه كذلك.

وفي عام ١٨٩٥م ألف تيودور هرتزل ـ أبرز شخصية يهودية أنذاك في مجال السعي لإقامة الدولة الصهيونية ـ كتابًا بعنوان "الدولة اليهودية"، ونشره في عام ١٨٩٦م، وكان له تأثير كبير وصدى واسع في أوساط اليهود، لذا نجح في عقد المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧م.

كان السلطان عبدالحميد يرصد جميع التيارات الفكرية والسياسية في أوروبا بدقة قبل المؤتمر الصهيوني، بل قبل قيام هرتزل بكتابة كتابه المعروف، والدليل على ذلك الفرمانات الثلاثة المتعاقبة التي أصدرها السلطان سنة ١٨٩١م ومنع بموجبها هجرة اليهود إلى فلسطين وقيد وحدد زياراتهم إلى القدس (١).

الفرمانات التي بموجبها منع السلطان هجرة اليهود إلى فلسطين

- **الفرمان الأول:** [إن قبول الذين طردوا من كل مكان، في الممالك العثمانية سيؤدي في المستقبل إلى تشكيل حكومة موسوية، لذا فإن إجراء هذه المعاملات غير جائز، وبخاصة أن الممالك الشاهانية ليست من قبيل الأراضي الخالية والمتروكة، ولما كان من المفروض إرسال هؤلاء إلى أمريكا، لذا فلا يقبل هؤلاء ولا أمثالهم، بل يجب وضعهم في السفن فورًا لإرسالهم إلى أمريكا، وأن يتخذ مجلس الوزراء

(١) انظر أورخان محمد علي ـ السلطان عبدالحميد الثاني ـ ص٢٤٧-٢٥٩.

قرارًا قطعيًا بخصوص تفاصيل هذا الأمر، وعرضه علينا، إذ ما الداعي لقبول من طردهم الأوربيون المتمدنون ولم يقبلوهم في ديارهم. وفضلاً عن ذلك فإن هناك دسائس كثيرة، لذا فإن هذا الأمر غير جائز على الإطلاق.

وبناءًا على ذلك، وحتى لا يبقى هناك أي مجال بعد الآن لأية معروضات أخرى في هذا الخصوص. تُعاد هذه المذكرة للصدارة العظمى لاتخاذ قرار عام في هذا الموضوع].

- **الفرمان الثاني:** (أصدره السلطان بعد سبعة أيام من الفرمان الأول إلى اللجنة العسكرية للمعية السنية)، [إن قبول هؤلاء الموسويين وإسكانهم أو إعطائهم حق المواطنة شيء ضار جدًا، فقد يتولد عن هذا في المستقبل مسألة حكومية موسوية، لذا يجب عدم قبولهم، وأن يؤخذ هذا في الحسبان عند عرض المسألة، وأن يُعرض هذا القرار بسرعة هذا اليوم، وأن تعطى المعلومات للصدارة العظمى من السكرتارية الخاصة].

- **الفرمان الثالث:** (بعد يوم واحد من الفرمان الثاني)، [لا يحق لأية دولة أن تعترض على عدم قبولنا الموسويين الذين طردتهم دولة متمدنة ولم تقبلهم الدول المتمدنة الأخرى، وهؤلاء الذين يحتجون ويعترضون علينا كان الأحرى بهم الاحتجاج على الدول التي طردتهم ورفضت قبولهم.

وبناءً عليه، فإن هؤلاء الموسويين لو أُسكنوا في أي مكان (من أجزاء الإمبراطورية) فإنهم سوف يتسللون إلى فلسطين شيئًا فشيئًا مهما اتخذت من تدابير، وسيسعون لتشكيل حكومة موسوية بتشجيع وحماية الدول الأوروبية، ولن يعمل هؤلاء في الزراعة والفلاحة، بل سيحاولون الإضرار بالأهالي كما فعلوا في البلدان التي طردوا منها. ومادام هؤلاء بصدد الهجرة إلى أمريكا، إذن فإن من المناسب أن يُهاجروا إلى هناك، ونرى وجوب المذاكرة بشكل مفصل في هذا الموضوع في اللجنة العسكرية] (١).

(١) المصدر السابق ص٢٥٧-٢٥٩ (نقلاً عن Mart Faciasi ص٤٣-٤٥).

التعليمات التي أصدرها السلطان حول زيارة اليهود لمدينة القدس سنة ١٩٠٠م

المادة الأولى : لابد للموسويين سواءً أكانوا من رعايا الدولة العلية، أو من الممالك الأجنبية - الذين يذهبون إلى فلسطين لأجل الزيارة أن يحملوا معهم تذكرة مرور – أو جواز سفر تتضمن صفة وغاية السياحة وتابعية حاملها.

المادة الثانية : على جميع هؤلاء الزوار الموسويين الذين يصلون ولاية بيروت أو إلى أي ميناء من موانئ ولاية القدس الشريف إيداع تذاكر مرورهم أو جوازات سفرهم لدى موظف الجوازات، والحصول - مقابل قرش واحد - على تذكرة زيارة أو إقامة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر في فلسطين، ولتيسير تمييز هذه التذاكر عن غيرها يجب أن تكون بلون وشكل مميز، ويجب إبراز هذه التذكرة لموظفي الدولة وللشرطة عند الطلب في أثناء السياحة أو الإقامة، ويُخرج بقوة الشرطة، أو بواسطة قنصل الحكومة المنتسب إليها كل من يتجاوز هذه الأشهر الثلاثة.

المادة الثالثة : يجب تنظيم قائمة بمتدرجات وتواريخ تذاكر الإقامة المؤقتة للزوار الموسويين المذكورة في المادة السابقة، وتنظيم هذه القوائم في نهاية كل شهر ليتسنى إخراج الذين يتجاوزون هذه المدة. وكذلك معاقبة الموظفين الذين يتهاونون في هذا الخصوص.

المادة الرابعة : إذا ظهرت في الجداول المنظمة لأمور السياحة والإقامة أية مخالفة لدى الزوار الذين يكملون المدة المسموحة لإقامتهم أو سياحتهم ويتركون أرض فلسطين، أو يأتون ميناء بيروت لركوب البواخر، أو ينهون مدة إقامتهم، أو الذين يزودون بوثائق المرور ووثائق الإقامة فيجب اتخاذ إجراءات حازمة ضد المخالفين وضد الموظفين المسئولين عن تطبيق هذه التعليمات [١].

تيودور هرتزل والسلطان عبد الحميد:

اتصل تيودور هرتسل Theodore Herzel بالسلطان عبدالحميد الثاني، وقدم إليه مقترحاته المغرية التي تتلخص في:

(١) نفس المرجع السابق ص٢٥٩-٢٦٠ (نقلاً عن Yahudiler Dunyayi Nasil Istila Ediyorlar ص٤٦-٤٨).

(١) مساعدة السلطان على إنشاء أسطول بحري.
(٢) معاضدته في سياسته الأوروبية.
(٣) إنشاء جامعة عثمانية في القدس تغني عن الذهاب إلى جامعات أوروبا، وبذلك لا يتعرض الطلبة إلى تشرب النزعات الجديدة.
(٤) تحسين أوضاع السلطنة العمرانية.
(٥) عقد قرض مالي لتغطية تكاليف المشروعات المقررة.

مقابل منح اليهود حق استيطان فلسطين، وإقطاعهم جزءًا من أرضها المهملة.

تمت المقابلة الأولى مع السلطان في مايو ١٨٩٦م، والثانية في أغسطس ١٩٠٢م، وفي كلا الحالتين أخفق هرتسل في إقناع السلطان، وعجز عن الحصول على أي وعد يُسَهِّل له مهمته الخادعة. رغم المغريات الكبيرة، والوساطات العديدة، والأموال الكثيرة التي بذلها لحاشية السلطان، واعترف هرتسل أنه قدم الرشوة للوزراء وعجزت جميع دسائسه ومحاولاته عن زحزحة السلطان عبدالحميد، فظل ثابتًا أمام المغريات، وكان آخر جواب فاه به أمام هرتسل ما نصه:

"إن فلسطين ليست ملكًا لي، وإنما هي ملك شعبي، لا يحق لي التصرف بها، ولا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين، التي قاتلت أمتي في سبيلها، وروت تربتها بدماء المسلمين. أسمح كليا بالهجرة إلى أي جزء من السلطنة باستثناء فلسطين.." (١).

وأرسل السلطان من يقول لهرتسل أن أحلامه لا يمكن أن تتحقق إلا على أنقاض السلطنة، وينصحه أن يحتفظ بملايينه لأنه ـ أي السلطان ـ يفضل المبضع في جسمه ولا تقطع فلسطين من جسم السلطنة العثمانية، وأنه حين تتجزأ الإمبراطورية الإسلامية فإن اليهود يأخذون فلسطين بلا مقابل.

وحينما أدرك اليهود ثبات السلطان رحمه الله في وجه أطماعهم زادوا من تآمرهم لإسقاطه، واستعانوا بالقوى الشريرة في الوطن العربي والعالم، والتي نذرت نفسها لتمزيق

(١) عبدالله التل ـ جذور البلاء ص١٥٠ نقلاً عن:
Iosef Patai, Star over Jordan, the life and calling of theodore Herzel.

ديار الإسلام، وأهمها الماسونية والدونمة، والجمعيات السرية "الاتحاد والترقي"[١]، التي كان وصولها إلى الحكم من أبرز نجاحات الماسونية الدولية في تاريخها، والخطوة الأولى الكبرى التي خطتها لاستلاب أرض فلسطين.

مصطفى كمال أتاتورك

نجحت اليهودية الصليبية في إلصاق الرزائل بالسلطان عبدالحميد، وإضفاء جميع صور البطولة على اليهودي "مصطفى كمال" [٢] الذي مَثَّلَ رأس الأفعى اليهودية [٣]، ونفذ لدغتها القاتلة، التي أدت إلى هدم الخلافة الإسلامية، وتمزيق الوجود السياسي للمسلمين، فقد كان هذا الخبيث يتظاهر بالتدين، والتعلق بأهداب الإسلام، ويصلي في مقدمة الجنود، كما يفعل بعض طواغيت اليوم، وكان يتملق العلماء المنافقين، ويستغلهم لشحن نفوس عامة الناس ودفعها إلى تحقيق مآربه. وحالما استتب له الأمر، وأصبح أبًا للأتراك، كما كانوا يسمونه "أتاتورك"، شرع ينفذ خطته التي رسمها له اليهود لهدم الخلافة، وتمزيق شمل المسلمين، لتقوم على أنقاضها الحكومات العميلة للشرق والغرب.

ألغى مصطفى كمال الخلافة الإسلامية التي كانت تُرهب أعداء الله، ثم فصل تركيا عن جسم العالم الإسلامي، وأعلن العلمانية الإلحادية، وفصل الدين عن الدولة، واضطهد علماء المسلمين، وقتل منهم العشرات، وأغلق كثيرًا من المساجد، وحَرَّمَ الأذان والصلاة باللغة العربية، وأجبر الشعب على تغيير زيه الإسلامي، وفرض القوانين المدنية السويسرية، وفرض العطلة الأسبوعية الأحد بدلاً من يوم الجمعة، وقضى على التعليم الإسلامي، واستبدل بالحروف العربية حروفًا لاتينية، واستدعى العلماء اليهود لتنظيم الجامعات التركية.

---

(١) يجد القارئ في كتاب الجنرال التركي رفعت أتليخان "الخطر المحيط بالإسلام" بحثًا مفصلاً عن دور الصهيونية في خلع السلطان عبدالحميد، والمؤامرات التي دُبرت لإسقاطه بسبب عدم رضوخه لمطالب اليهود لمنحهم امتيازات في فلسطين. ففي ذلك يقول: إن الشخص الوحيد في تاريخ الأتراك عمومًا الذي عرف حقيقة اليهودية وقدر اضرارها على الأتراك والإسلام، وكافحها مدة طويلة لتحديد شرورها هو السلطان عبدالحميد الثاني. إن هذا السلطان التركي العظيم كافح ضد المنظمات الخطرة مدة ثلاث وثلاثين عامًا بذكاء وعزم وإرادة مدهشة جدًا كالأبطال.

(٢) كان مصطفى كمال من يهود الدونمة الذين طردوا من أسبانيا واستوطنوا سالونيك، وتظاهروا بالإسلام.

(٣) يرى اليهود أن ذنب الأفعى اليهودية ثابت في القدس، ورأسها يتحرك في بلدان العالم، ينفث السموم ويواصل لدغاته لكل من يقف في طريق أطماع اليهود، إلى أن يتم لهم تدمير الشعوب والسيطرة على العالم، وعندها يعود رأس الأفعى إلى أورشليم، ليتربع ملك اليهود على عرش العالم، ويحكم من هيكل سليمان.

تقول دائرة المعارف اليهودية: "إن الانقلاب التركي عام ١٩٠٨م الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك، أفاد الأمة، فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة الإسلام، وألغى وزارة الأوقاف...". .

لقد أحالت خطة مصطفى كمال تركيا إلى مزرعة يهودية، سَخَّرَ أجهزتها للدعاية اليهودية ضد الإسلام، وسمحت للرأسمال اليهودي أن يسيطر على تجارة البلاد، حتى أصبحت سوقًا لإسرائيل تُصَرِّف فيه بضائعها.

إنه مهما قيل عن مساوئ السلطان عبدالحميد الثاني فيكفيه فخرًا أن يثبت بأن القوى التي تآمرت على إسقاطه كانت معادية للإسلام، وأنه صان الدولة الإسلامية طوال مدة حكمه، وأن عملية تمزيق دولة الخلافة الإسلامية لم تبدأ إلا بعد أن سيطر اليهود والماسون على الأستانه عام ١٩٠٩م، وظهر دعاة القومية [١].

الماسونية والسلطان عبدالحميد

جمعية الاتحاد والترقي

بعد أن فشلت مساعي هرتزل لدى السلطان عبدالحميد في استقطاع وطن قومي لليهود في فلسطين، رغم العروض السخية، والإغراءات العديدة التي قُدِمَت للسلطان من قِبَل الصهيونية العالمية والماسونية ـ التي كانت واجهة من واجهاتها، تعمل بوحي يهودي، وأسرار يهودية ـ قررت التخلص من السلطان.

دعمت المراكز الماسونية الجمعيات السرية التي تعمل ضد السلطان عبدالحميد، فمدت يدها إلى جمعية الاتحاد والترقي التي تشكلت على طراز جمعية الكاربوناري الإيطالية، وتدرب أعضاؤها على أيدي الماسونيين الإيطاليين، لتنبعث فيها الحياة خارج الإمبراطورية العثمانية، ولكنها أدركت أن دور وجهد بضعة أشخاص هاربين من الدولة العثمانية لن يكون مجديًا على الإطلاق، لذلك فإن الأسلوب المؤثر والفَعَّال هو التسرب إلى الجيش، واصطياد الضباط الشباب بكل أنواع الإغراءات المختلفة.

كان الجيش الثالث في مدينة سلانيك هو الأنسب لهم، فهو بعيد عن مركز الدولة،

(١) انظر فؤاد سيد الرفاعي ـ حقيقة اليهود ـ دار صلاح الدين.

كما أنه مركز الدونمة [1] واليهود والماسونيين.. فيه أقوى المراكز الماسونية، علاوة على أنه في إقليم مضطرب مشحون بالفتن وبالحركات السرية المسلحة، كما أنه يتمتع بنوع من الحرية العسكرية لا تتمتع بها الجيوش الأخرى التي بقيت مخلصة للسطان.

يقول المؤرخ التركي "نظام الدين نظيف" في كتابه "إعلان الحرية والسلطان عبدالحميد الثاني": [..عندما رُد طلب الوفد اليهودي في الحصول على وطن لهم، وخاب هرتزل في مسعاه، اشتد العداء ضد السلطان عبدالحميد، وهذا ما كان يتوقعه عبدالحميد، لأن اليهود قوم يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم، فالمال متوفر لديهم، وكانوا يسيطرون على أهم العلاقات التجارية الدولية، وكانت صحافة أوروبا في قبضتهم، فكان في مقدورهم إطلاق العواصف التي يريدونها لدى الرأي العالمي متى شاءوا...

بدأوا أولاً بتحريك الصحافة العالمية، ثم أخذوا بتوحيد وتجميع كل الشروط المعادية لعبدالحميد في المجتمع العثماني.. وأخذ المشرق الأعظم الماسوني الإيطالي على عاتقه هذه المهمة في التوحيد والتنسيق، لأنه كان أقرب مركز ماسوني للإمبراطورية العثمانية. ولعب محفل Macedonid Risorta ومحفل Labos Lux الإيطاليين، وخاصة محفل ريزورتا في سلانيك دورًا ملحوظًا] [2].

دور الماسونية في حركة تركيا الفتاة

يعترف الدكتور "أرنست أ. رامزور" في كتابه "تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م" بدور المحافل الماسونية في خلع السلطان عبدالحميد فيقول: "يؤكد الدارسون أنه في حوالي سنة ١٩٠٠م قد قرر "المشرق الأعظم الفرنسي" إزاحة السلطان عبدالحميد، وبدأ يجتذب لهذا الغرض حركة تركيا الفتاة منذ بداية تكوينها، وأنه يمكن القول بكل تأكيد أن الثورة التركية كلها تقريبًا من عمل مؤامرة يهودية ماسونية".

وتقول "ناستا هـ. ولستر Nasta H. Welster" مؤلفة كتاب "الجمعيات السرية

(١) الدونمه جماعة من اليهود هربوا من الأندلس في نهاية القرن العاشر الهجري، واستقروا في الدولة العثمانية. تظاهروا بالإسلام وبقوا على دينهم يمارسون شعائره وطقوسه سرًا (ومعنى كلمة الدونمه هو المرتد).

(٢) انظر أورخان محمد علي ص٢٧٠-٢٨٢، السلطان عبدالحميد الثاني: حياته وأحداث عهده.

والحركات الهدامة Secret Societies and Subversive Movment" حول علاقة حركة الاتحاد والترقي بالماسونية: "إن حركة تركيا الفتاة نشأت من المحافل الماسونية في سلانيك التي كانت تُدار من قِبَل "المشرق الأعظم" الإيطالي.

ويقول سيتون واطسون في كتابه "نشأة القومية في بلاد البلقان The Rise of Nationality in the Balkans": [إن أعضاء تركيا الفتاة الذين كان غرب أوروبا على أتصال دائم بهم كانوا رجالاً منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية وطراز تفكيرها، وكانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية، وبالنظريات غير المتوازنة للروح الوحشية للثورة الفرنسية. كان كثير منهم أشخاصًا مشبوهين، ولكنهم كانوا دون استثناء رجال مؤامرات لا رجال سياسة، ومدفوعين بدافع الكراهية والحقد الشخصي، لا بدافع الوطنية، والثورة التي انجزوها كانت نتاج عمل مدينة واحدة وهي مدينة "سلانيك"، إذ نمت وترعرعت فيها وتحت حماية المحافل الماسونية "جمعية الاتحاد والترقي" وهي المنظمة السرية التي بدلت نظام حكم عبدالحميد.

إن العقول الحقيقية للحركة كانت عقولاً يهودية أو يهودية مسلمة، وقد جاءت مساعداتها المالية من أغنياء "الدونمة" ومن يهود سالونيك، ومن الرأسماليين العالميين أو شبه العالميين في فينا وبودابست وبرلين وربما في باريس ولندن أيضًا].

كانت الأيدي اليهودية من وراء الأستار، وكانت المؤامرة تتم باسم الإصلاح، وباسم مقاومة الظلم والاستبداد، وتحت شعارات الحرية، الإخاء، والمساواة.

وكان السلطان عبدالحميد على وعي كامل بأن خيوط المؤامرة المحاكة ضده هي في أيدي اليهودية العالمية لعدم استجابته لبيع القدس وفلسطين إليهما [1].

يقول السلطان عبدالحميد بعد خلعه ونفيه إلى سلانيك:

"إن أشد ما آلمني هو تبليغي قرار الخلع من قبل ذلك اليهودي الماسوني. فأنا لا أستطيع نسيان "عمانوئيل قره صو" من بين وفد المبعوثين النواب الذين جاءوا إلى يلدز. لقد كان هذا إهانة لمقام الخلافة. ونحن نعلم جميعًا مدى الحقد الذي يكنه اليهود منذ زمن الرسول ﷺ للإسلام، ولمقام الخلافة. وعندما كنت على عرش السلطنة العثمانية جاءني

(١) المرجع السابق ص٢٨٣-٢٨٧.

في أحد الأيام "تيودور هرتزل" مؤسس المنظمة اليهودية العالمية مع رئيس الحاخاميين، وذلك من أجل غاية يهودية، وقبلت الزيارة للاستماع إليهم لمعرفة مقاصدهم، فكان طلبهم هو وطن لليهود، وكانوا يقترحون القدس لذلك، حتى أن تيودور هرتزل قال بلا خجل: "أحب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالاً من أجل القدس".

شعُرت بأن الدم يطفر إلى رأسي.. تأمل! لقد وصلت الجرأة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة على مقام سلطتنا. صرخت بهما "أخرجا من هنا حالاً، إن الوطن لا يباع بالمال". وعندما دخل رجال القصر أمرتهم بإخراجهما.

ومنذ ذلك الحين ناصبني اليهود العداء، وكل ما قاسيته هنا في سلانيك هو جزاء عدم إعطائي وطناً لليهود" [١].

ويقول في رسالته التي وجهها إلى الشيخ محمود أفندي أبي الشامات من منفاه: "إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة ـ فلسطين ـ ورغم إصرارهم لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي:

"إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً، فلن أقبل.. لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً".

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي.. وقبلت وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين، وقد كان بعد ذلك ما كان" [٢].

مقتطفات من الوثيقة البريطانية

في رسالة سرية بعثها السفير البريطاني في استانبول "السير جيرارد لاونز" بتاريخ

---

(١) المرجع السابق ص٢٨٨-٢٨٩ نقلاً عن Iki Devrin Perde Arkasi ص٥٠-٥١.
(٢) المرجع السابق ص٢٨٩ نقلا عن مجلة العربي العدد ١٦٩ سنة ١٩٧٢ - مقالة لسعيد الأفغاني.

٢٩ آيار ١٩١٠م إلى وزير خارجية بريطانيا "شارل هاردينج" يقول: [...لا يخفى عليك أن حركة تركيا الفتاة في باريس كانت مستقلة عن حركة تركيا الفتاة في سلانيك، وكانت تجهل معظم تنظيماتها وإجراءاتها الداخلية، ويسكن في سلانيك حوالي ١٤٠,٠٠٠ نسمة منهم ٨٠,٠٠٠ يهودي من أصل أسباني، ٢٠,٠٠٠ من طائفة سبط لاوي، أو من اليهود المتظاهرين بالإسلام، ومعظم هؤلاء اليهود الأسبان الأصل قد حصلوا في الماضي على الجنسية الإيطالية.

وهم ماسونيون ينتمون إلى المحافل الإيطالية، ويحتلون مراكز رفيعة في الماسونية، وهم يزعمون بأن محافلهم الماسونية هي فروع من المحفل الأسكتلندي القديم وتتبع طقوسه.

وقبل بضعة أعوام أسس "عمانوئيل قراصوه" [(١)] ـ وهو يهودي ماسوني من سلانيك، ويمثل الآن مدينة سلانيك في مجلس المبعوثان التركي ـ بالتعاون مع الماسونية الإيطالية محفلاً في سلانيك سمي بمحفل "ماسيدونيا ريزورتا" ويبدو أن قراصوه أقنع رجال تركيا الفتاة ضباطًا ومدنيين بالانتماء إلى الماسونية، وهدفه من ذلك فرض النفوذ اليهودي غير المستساغ على الأوضاع الجديدة في تركيا"].

ويستطرد السفير البريطاني قائلاً: [...وقد علم جواسيس عبدالحميد بالحركة، ويظهر أن إسماعيل باشا عرف بعض أسرارهم ونقلها إلى قصر يلدز. وبعد مدة قصيرة من قيام الثورة سنة ١٩٠٨م أغتيل إسماعيل ماهر باشا في ظروف غامضة].

[...ويظهر أن المخططين لحركة تركيا الفتاة في سلانيك كانوا بالدرجة الأولى من اليهود.. كانت شعارات أعضاء تركيا الفتاة "الحرية، العدالة، التآخي"].

[...وبعد مدة قصيرة من ثورة ١٩٠٨م، وحالما انتقلت جمعية الاتحاد والترقي إلى القسطنطينية، أصبح من المعروف بأن عددًا كبيرًا من قادتها كانوا ماسونيين].

[..وبعد أن تم خلع السلطان عبدالحميد أخذت الجرائد اليهودية في سلانيك تزف البشائر بالخلاص من "مضطهد إسرائيل" الذي رفض مرتين أن يستجيب لطلب الزعيم الصهيوني هرتزل، والذي وضع جواز السفر الأحمر ضد المهاجرين البولونيين اليهود،

(١) كان قراصوه أحد الرجال الذين حملوا إلى السلطان عبدالحميد رسالة خلعه من السلطنة.

وغير ذلك من الأعمال التي حالت دون تحقيق الحلم الصهيوني في فلسطين. وأعلن المؤتمر الصهيوني التاسع المنعقد في همبرغ من شهر كانون الأول سنة ١٩٠٩م بأن انقسام العالم اليهودي بين الصهيونيين ودعاة الهجرة إلى مناطق أخرى غير فلسطين قد انتهى.. وعاد اليهود موحدين بفضل معجزة الثورة التركية..] (١).

الحروب الصليبية حروب دينية

كانت الحملات الصليبية التي مر على بدايتها أكثر من تسعة قرون - والتي مازالت مستمرة حتى اليوم - حروبًا ذات صبغة دينية، ولم تكن كما يذكر بعض تلامذة الغرب وعملائه من كُتّاب التاريخ، حروبًا اقتصادية بحته، تهدف إلى تحقيق الكسب المادي فقط.

جاءت الحملات الصليبية تحت راية الصليب بدعوة من البابا أوربان الثاني، وأشرف على إعدادها أساقفته، وكان بطرس الناسك المُحَرِّض الأول لها.

تؤكد الحقائق التاريخية أن البابا "أوربان الثاني" ارتقى درجات كاتدرائية مجمع كليرمونت (في مدينة كليرمونت التي تقع جنوبي باريس بحوالي ٢٨٨ كيلو مترا) في يوم ٢٧ نوفمبر عام ١٠٩٥م، وكانت الكاتدرائية تغص بالأساقفة، وعدد غفير من الأمراء والنبلاء، والآلاف من المسيحيين، وكان الجو باردًا إلا أن هذا الجمع الغفير احتشد ولم يأبه بزمهرير الشتاء القارص، واعتلى البابا المنصة، وألقى خطابه الرهيب قائلاً: [إنه في ظل الظروف الملحة قدمت أنا أوربان الثاني المُتَوَّج بمشيئة الرب بتاج التثليث الأعظم للعالم أجمع إليكم ياعباد الرب بمثابة رسول لأنبئكم بالأوامر الربانية].

[عليكم أن تأخذوا، وبكل سرعة، المساعدات إلى إخوانكم في المشرق التي طالما وعدتموهم بها، إنهم بحاجة ملحة إليها، إن العرب والتركمان قد حاربوهم، وتوغلوا في الأراضي الرومانية "البيزنطية" عميقًا حتى البسفور، وهم يتوغلون الآن أعمق من ذي قبل في أراضي هؤلاء المسيحيين. لقد أبادوهم سبع مرات في المعركة، فقتلوا منهم من قتلوا، وأخذوا عددًا كبيرًا من الأسرى، ودمروا الكنائس، واجتاحوا أراضي المملكة، وإذا لم تتصدوا لهم الآن فإنهم سيمدون سلطانهم أعمق، وسينشرونه فوق العبيد المخلصين للرب].

---

(١) انظر إلى الوثيقة بالتفصيل في المرجع السابق ص٢٩٣-٣١٢ نقلاً عن مجلة آفاق عربية – السنة الثالثة – العدد ٩ آيار - ترجمة د. محمد توفيق حسين.

[ولهذا السبب أتوجه إليكم بالرجاء والتحريض، وإنه ليس أنا الذي أتوجه إليكم، ويحرضكم الرب على لساني أنا نائب المسيح، أتوجه إلى الفقير منكم والغني، وأسألكم أن تتسارعوا نحو طرد أبناء الشر (المسلمين) هؤلاء من المناطق المسكونة من قبل إخواننا، وأن تقدموا المساعدة في وقتها المناسب إلى عباد المسيح. إنني أخاطب جميع هؤلاء الحضور، وأعلن نفس الشيء إلى جميع الغياب، لكن اعلموا أن المسيح هو الذي يخاطبكم، ويصدر الأوامر].

[إن جميع الذين يذهبون إلى هناك ويفقدون حياتهم في البر والبحر أثناء الرحلة، وخلال المعركة ضد الكفار المسلمين في نظر أوربان الثاني سيتم غفران ذنوبهم في الحال، وإنني امنح هذا من خلال السلطة المضفاة عليَّ من الرب].

[انهضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضد إخوانكم المسيحيين، بل قاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس.. حاربوا تحت لواء المسيح، قائدكم المسيح].

كان رد الحشود الهائلة لدعوة العدوان وشن الحروب الصليبية هو: هكذا أراد الله. لقد حرص البابا الداهية على قتال المسلمين، وأثار حماس النصارى، وكان يؤكد لهم أنه الناطق الأوحد باسم الرب المسيح.

لقد أقام الأسقف "أديمار" بعد أن فرغ البابا من خطابه، والذي استقر الرأي على أن يقود أول حملة صليبية، ليضرب المثل المحتذى للفرسان، فتقدم الصفوف، وركع أمام الباب ملتمسًا بركاته وتلقى منه شارة الصليب.

خطاب البابا أوربان الثاني في الجماهير المسيحية داعيًا إلى الحروب الصليبية

ياشعب الفرنجة! شعب الله المحبوب المختار! لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة، تعلن أن جنسًا لعينًا أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيح، وخربها بما نشره فيها من أعمال السلب والحرائق، ولقد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب. وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنسوها برجسهم، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان، فانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين.

على من تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع، إذا لم تقع عليكم أنتم؟ أنتم يامن حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم. أمجاد شارلمان، وعظمة وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم، فليثر همتكم ضريح السيد المسيح المقدس ربنا ومنقذنا!!.

الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لُوِثت ودُنِست. لا تدعوا شيئًا يقعد بكم من أملاككم أو من شئون أسركم. ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تُحيط بها من جوانبها البحار وقلل الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضًا، ويلتهم بعضكم بعضًا، وتتحاربوا ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث، وتملكوها أنتم.

إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها هي فردوس المباهج، إن المدينة العظمي القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجدًا لا يفنى في ملكوت السموات.

عن: قصة الحضارة لول ديورانت

ماذا فعلوا بالمسلمين

اقتحم الصليبيون بيت المقدس يوم الجمعة ١٥ يوليو عام ١٠٩٩، بعد حصار دام أكثر من أربعين يومًا، ولم يسع الجند المدافعون عن بيت المقدس من المسلمين سوى اللجوء إلى المسجد الأقصى للاحتماء به والدفاع عنه، فتبعهم الصليبيون، واقتحموا المسجد، وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية رهيبة.

يقول المؤرخ جيستا فرانكو: "إن جنودنا كانوا يخوضون حتى سيقانهم في دماء المسلمين".

ويقول جيبون: "خدام الرب المسيحيين رأو حينئذ تمجيده وتكريمة فذبحوا سبعين ألفًا من أهل القدس، من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال قربانًا للرب.

ويقول المؤرخ هـ. ج. ويلز في كتابه "موجز تاريخ العالم": "وسقط بيت المقدس بعد شهر من الحصار، وكانت المذبحة التي دارت رهيبة فظيعة، فإن الراكب على جواده كان يصيبه رشاش الدم الذي سار في الشوارع أنهارًا".

أما المؤرخ "ميشو" وهو من كبار المؤرخين الغربيين للحروب الصليبية ـ يقول واصفًا ما حدث في القدس ـ تعصب الصليبيون في القدس أنواع التعصب الأعمى الذي لم يسبق له مثيل حتى شكى من ذلك المنصفون من المؤرخين، فكانوا يُكرهون المسلمين على إلقاء أنفسهم من أعالي البيوت، ويجعلونهم طعامًا للنار، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض، ويجردونهم في الساحات، ويقتلونهم فوق جثث الآدميين.... الخ).

لقد قطعوا رؤوس المسلمين، وبقروا بطونهم، وحرقوا بعضهم في النار، وهذا ما أجمع عليه مؤرخو المشرق والمغرب.

كانت حقًا الحروب الصليبية حروبًا دينية خالصة، ودوافعها دينية خالصة.

الحملة الفرنسية على مصر والشام

جاءت الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال مصر عام ١٧٩٨م، فكانت بمثابة أول غزو عسكري مسيحي غربي في التاريخ الحديث.

تذكر كتب التاريخ المدرسية أن الحملة كانت فاتحة خير ونهضة وبركة على مصر والعالم الإسلامي، حيث نقلت الحملة الصليبية إلى الشرق مبادىء الثورة الفرنسية في الحرية والإخاء والمساواة، وأن عصر النور والتنوير قد حل بالبلاد بعد تحطيم الحاجز العثماني الذي حال دون اتصال الشرق بأوروبا طيلة ثلاثة قرون كاملة.

المقاومة الإسلامية للحملة (جرائم نابليون البشعة)

كان الإسلام من وراء كل حركات المقاومة للحملات الصليبية على البلاد، ومدافعة

الاحتلال الفرنسي والإنجليزي والصهيوني، ومن قبله الأسباني والبرتغالي والهولندي.

عندما احتل الفرنسيون مصر كان الإسلام وحده هو الذي أشعل نيران المقاومة المسلحة، والمقاومة السلبية.. ولم يجبن المسلمون المصريون أمام تفوق الفرنسيين العسكري، بل قاتلوهم ببسالة وشجاعة نادرة، وليس بوصفهم مصريين كما تصورها كتب التاريخ المدرسية، ولكن بوصفهم مسلمين يقاتلون الكفار الذين يحتلون أراضيهم، والدليل على ذلك أن الأزهر الشريف بعلمائه وشيوخه هم الذين قادوا حرب الدفاع المقدس والجهاد. وحكم الفرنسيون على عشرات من العلماء الشبان بالقتل، ونُفِّذَ فيهم حكم الإعدام مثلما نُفِّذَ في سليمان الحلبي ـ قاتل الجنرال كليبر ـ نفذ فيه حكم الإعدام بطريقة بشعة، ولم يكن سليمان الحلبي مصريًا، بل كان مسلمًا سوريًا، دفعه إسلامه إلى قتل قائد الحملة الصليبية الموجهة إلى الأرض المسلمة.

يقول المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي: [لما دخل الغزاة الفرنسيين بخيلهم ورجلهم صحن الأزهر، أحدثوا فيه وتغوطوا، وشربوا فيه الشراب وتمخطوا، ودشتوا الكتب والمصاحف، وداسوها بنعالهم].

عندئذ اشتعلت الثورة في القاهرة والأقاليم، ولم تنطفيء جذوتها، وظلت جثث القتلى تفوح رائحتها في القاهرة وحدها أكثر من ثلاثين يومًا، وقُدِّرَ عدد المسلمين القتلى في مقاومة الحملة الفرنسية بنحو نصف مليون شهيد في مصر وقراها.

استخدم نابليون الوسائل البشعة الدنيئة في اغتصاب الأموال وابتزازها، وانتهاك الحرمات، كانت الإعدامات بالجملة، ودون محاكمات. كان يُصدِرُ أوامره للجنود الفرنساوية بالاقتصاد في استخدام الرصاص (بعد غرق أسطوله في أبي قير) على أن يستخدموا السكاكين وأسنة البنادق في قتل المصريين، وإغراقهم في النيل، إلى غير ذلك مما يندى له الجبين، ويعتبر وصمة في التاريخ.

وعندما انطلقت قوات نابليون نحو الشام.. انطلقت تنهب وتذبح العرب على طول الطريق من العريش إلى عكا، ولما دخلوا يافا أعملوا السيف في نحو ألفي جندي من أفراد الحامية كانوا يحاولون التسليم.. راحوا يقتلون الناس كالمجانين طوال المساء كله، والليل كله.. ولا تزال الصفحات التي كتبها المؤرخون تذكر السلب والنهب وشق البطون، وهتك أعراض البنات وهن مازلن في أحضان أمهاتهن المائتات. وبعد أن أعطى نابليون الأمان

للحامية المستسلمة في يافا أمر بذبح كل الحامية!! هذه الصفحات مُحيت كلها محوًا، وطويت صور هذه المقاومة الباسلة طيًا.. مُحيت من كتب التاريخ المدرسيّة، بقصد حجبها عن أبنائنا وبناتنا، ولسحب ذيول النسيان على دور الإسلام في المعركة، وإغفال تضحيات المسلمين الجسيمة وخسائرهم في الأرواح والأموال [1].

الأسباب الحقيقية للحملة وأبعاد التآمر الصليبي اليهودي

جاء نابليون إلى مصر ومعه مخطط صليبي كامل لإخراج مصر من دائرة الإسلام، لعلها تكون بعد ذلك نقطة ارتكاز لإفساد بقية العالم الإسلامي، والذي يتلقى فيها العلم، ويستمد منها النور.

يقول أحد الباحثين: [أنه حين انتهت السلطة العليا في فرنسا إلى نابليون بونابرت، انتهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا في الاتصال به، والإيحاء إليه عن طريق مستشاريه من اليهود، ثم قدموا له مذكرة قالوا فيها: "إنه ما من أمر من الأمور التي تلفت الأنظار في العالم اليوم وتستحق الاهتمام، كالمصير الذي ستؤول إليه مصر]، وتقترح المذكرة على نابليون اتخاذ مصر مستعمرة فرنسية مستغلاً أموال اليهودية، وخبرتهم في التجسس، في مقابل أن تمنح فرنسا اليهود الأرض التي سيقيمون عليها وطنهم وجمهوريتهم بعد تيههم الثاني. وتقترح المذكرة على نابليون أن يستدعي اثنين أو ثلاثة من زعمائهم ويقول لهم: اتجهوا بأنظاركم إلى مصر، تلك الأرض الجميلة، بعد خلاصها من العثمانيين، وبلغوا اقتراحاتنا إلى إخوانكم التائهين في الأرض، وليجمعوا الأموال فيبتاعوا ذلك الربع من مصر الذي يجاور برزخ السويس والبحر الأحمر، أما الثمن الذي يقدمونه لنابليون - بعد الأموال - فهو أن يكونوا في يده أداة تخريب واضطراب، فإذا استطاعوا عن هذا الطريق الدخول إلى عقر آسيا، فإنهم يقدمون عنصرًا استعماريًا متينًا ثابت الأركان، قد يكون ضروريًا يقدم لهم الضمانات لبث الفوضى وإشعال الفتن، وإحلال الأزمات للقضاء على الأتراك جملة واحدة.

---

(1) أنور الجندي - المرجع السابق - بتصرف.

استصوب نابليون الفكرة واستعان نابليون بعلماء اليهود وحاخاماتهم على صياغة النداء الذي يقول بأن الأمة الفرنسية تقدم لكم الآن على الرغم من كل العقبات مهد إسرائيل ياورثة فلسطين الشرعيين، إن فرنسا تناديكم الآن للعمل على إعادة احتلال وطنكم واسترجاع ما فُقِدَ منكم.

كان الهدف أن يمنحهم نابليون قِسْمًا من مصر يتخذونه قاعدة للوثوب إلى فلسطين، والمقابل هو المال وأن يكونوا في يده أداة فوضى وتخريب وتَثَبُّت للاستعمار الفرنسي!!.

كانت هذه هي مهمة الإمبراطور العظيم حامل لواء الثورة الفرنسية وشعاراتها الإنسانية !![1].

نتائج الحملة الفرنسية

بدأ نابليون بدراسة الإسلام والقرآن، ثم أصدر عقب احتلاله الاسكندرية منشورًا ادعى فيه الإسلام في محاولة لتملق عواطف المسلمين، وتنويم الشعور الديني، جاء فيه:

[بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لا ولد له ولا شريك في ملكه، من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية، السرعسكر الكبير، أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته، يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية" أي أن الهدف هو الانتقام من المماليك الذين يتعاملون مع الفرنسيين المقيمين في منطقة نفوذهم مصر والشام بالذل والاحتقار].

[أيها المشايخ والقضاة والأئمة والجريجية (اليونانيون المقيمون في مصر)، وأعيان البلد: قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضًا مسلمون مخلصون. وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائمًا يحث النصارى على محاربة الإسلام، ومع الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه، أدام الله ملكه... الخ] [2].

(١) انظر الأستاذ أنور الجندي ـ معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ـ ص٢٤٥-٢٤٨ ـ دار الإصلاح ـ نقلاً عن الأستاذ عدنان عبدالقادر أبوشيخي.

(٢) انظر الأستاذ محمد قطب ـ واقعنا المعاصر ـ ص١٩٩-٢٠٥.

وبعد هزيمة المماليك أمام بونابرته في معركة امبابة، استقر في القاهرة في منزل الألفي بك، وكان بوصفه مسلمًا! محبًا للإسلام والقرآن يرأس مجلس العلماء! ويخلع عليهم أحيانًا خلعًا سنية، ويُحاول استخدامهم في ترويج القوانين الوضعية التي أراد إحلالها محل الشريعة الإسلامية، والتي كان يطبعها في المطبعة العربية التي جاء بها معه ووضعها في بولاق.

كانت محاولة تنحية الشريعة الإسلامية هي أول نقاط المخطط التي بدأ بتنفيذها بالفعل، حتى كشفه واحد من علماء الأزهر فقال له في وجهه: لو كنت مسلمًا حقًا كما تدعي لطبقت الشريعة الإسلامية في بلدك فرنسا بدلاً من تنحية الشريعة هنا ووضع القوانين الوضعية بدلاً منها.

النتائج العلمية للحملة

وكما تتجاهل كتب التاريخ المدرسية الأهداف الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر والشام، يزعم مؤلفي الكتب المدرسية أن للحملة نتائج علمية نقلت مصر والشرق نقلة حضارية، ويتساءل المرء هل كانت مهمة نابليون حضارية؟! ألم يكن نابليون مستعمرًا خطط له اليهود لاحتلال مصر؟ ألم تكن حملته على مصر فاتحة الهجوم الإمبريالي على العالم الإسلامي، وبداية لحملة التغريب التي جلبت على الأمة الإسلامية الويلات. ثم ماهي بذور النهضة التي زرعها في مصر أثناء احتلاله؟! استخدم نابليون المطبعة التي استقدمها معه من فرنسا في كتابة المنشورات التي طالب فيها الشعب المصري المسلم بالخضوع لأوامر المغتصب الصليبي.

وعن البعثة العلمية التي جاءت بها لتنقب عن آثار فراعنة مصر الوثنيين الطغاة، يقول أحد المستشرقين في كتابه "الشرق الأدنى.. مجتمعه وثقافته Near East Culture and Socity": [إننا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا بطبيعة الحال نطمع في أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات].

كان هذا هو هدف الحملة المخطط للبعثة العلمية المرافقة للحملة، ولم يكن هدفًا علميًا، إنماكان هدفًا صليبيًا مغلفًا بالعلم، شأنه شأن الرحلات العلمية الاستكشافية التي قام بها الصليبيون ابتداءًا من القرن السادس عشر الميلادي.

لقد كانت الآثار الفرعونية موجودة منذ ألوف السنين.. سُرِق منها ما سُرِق، ونُهِب منها ما نُهِب، وبقيت المعابد والهياكل الضخمة يزورها من يزور مصر ويعتبرها من عجائب الماضي السحيق، يتسلى برؤيتها، ويقف عندها ليأخذ العبرة ويمضي.. ويعود بلاده ليصفها لمن لم يرها، ثم يمضي الأمر كله بلا احتفال كبير.

وأما المسلمون من أهل مصر، فقد كانوا يرونها دون شك ويعجبون من دقائق صنعها، ولكنها في حسهم أصنام وأوثان تركها قوم غابرون، انقطعت الصلة بينهم بكون هؤلاء مسلمين وأولئك من عبدة الأوثان.

وكان هذا هو الحال في كل مكان في العالم الإسلامي، توجد فيه آثار من بقايا عبدة الأوثان الذين كانوا يسكنون الأرض قبل مجيء الإسلام، سواء في الجزيرة العربية، أو بلاد الشام والعراق، أو غيرها من البلاد.. وظل الأمر كذلك ما يزيد على ألف عام.. الناس في إسلامهم، وهذه الأوثان في الأرض، لا تثير فيهم إلا عبرة التاريخ.

ولكن المخطط الخبيث الذي حمله الصليبيون معهم وهم يجوسون خلال الديار كان هو نبش الأرض الإسلامية لاستخراج حضارات ما قبل التاريخ لذبذبة ولاء المسلمين بين الإسلام وبين تلك الحضارات، تمهيدًا لاقتلاعهم نهائيًا من الولاء للإسلام!

كان المقصود هو إثارة النعرة الفرعونية في المصريين المسلمين، حتى إذا انتسبوا لم يكن انتسابهم إلى الإسلام، إنما إلى مصر بعيدًا عن الإسلام.

أشار الجبرتي في كتاب عجائب الآثار أن الحملة ا لفرنسية نشرت الفاحشة والفجور في شوارع القاهرة، ذلك لخروج الساقطات الفرنسيات اللواتي جاء بهن نابليون، وكن يمشين حاسرات الرأس يثرن الفتنة ويغرين النساء المسلمات بتقليدهن [١].

الحملة والفكر العلماني

يرى الدارسون المحدثون من أساتذة التاريخ أن الحملة الفرنسية أدخلت العلمانية إلى مصر للمرة الأولى تعبيرًا عن روح الثورة الفرنسية، وأنها اتخذت طابعًا رافضًا لكل ما هو ديني.

---

(١) نفس المرجع السابق.

يقول المؤرخ المصري المعاصر للحملة الفرنسية عبدالرحمن الجبرتي: [إن الفرنسيين قوم لا يتدينون بدين، ويقولون بالحرية والتسوية].

ويرى الدكتور صلاح العقاد أن الأفكار التي كان يحملها الفرنسيون إلى مصر كانت تتسم بالعلمانية لأن أثر الفكر العلماني الذي خلفته الثورة الفرنسية كان لا يزال قويًا ولذلك لم تصطبغ الحملة الفرنسية بصبغة دينية.

وأسماهم جمال الدين الأفغاني بالدهرية أو الطبيعيين Naturalism وهم الذين يقصرون الوجود على الطبيعة المنظورة، وأن لا شيء خارج الطبيعة، فالطبيعة مستكفية بنفسها مستغنية عن خالق يوجدها.

ويرى الدكتور محمد البهي أن الاتجاه العلماني نشأ وتبلور في ظل الثورة الفرنسية منذ عام ١٧٨٩م بعد أن رفض الأوربيون الخضوع للكنيسة الكاثوليكية، ووساطة البابا صاحب الحق في الغفران، والجزاء باللعن نيابة عن الله، ومن هنا ترك هذا المجتمع الاعتماد على الله، إن لم يكن قد خالجه الشك في وجوده، وبدأ الإنسان في هذا المجتمع يعتمد في تفكيره ونظمه، ولم يعد ينظر إلى السماء التي يوجد فيها الله، وبدأ ينظر إلى الأرض.

محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة

تزعم كتب التاريخ أن محمد علي هو مؤسس مصر الحديثة وباني نهضتها!! ويقول عنه المستشرق الألماني بروكلمان أنه من أعظم الشخصيات التي عرفها الإسلام حديثًا شأنًا، إذ أخرج مصر من الظلمات إلى النور!!

أصل محمد علي ومولده

وُلِدَ محمد علي سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م وهو ألباني، مقدوني، أوروبي الأصل. لم يتعلم القراءة والكتابة إلا في الخامسة والأربعين من عمره، اشتغل في مطلع شبابه بتجارة الدخان، أحب ركوب الخيل واستعمال السلاح، وتولى بعض الفرق العسكرية.

جاء إلى مصر مع الفرقة العسكرية العثمانية التي جاءت للدفاع عن مصر ضد الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت في صيف ١٧٩٨م.

وصوله إلى السلطة

بدأت أحلام محمد علي في ملك مصر، بعد مغادرة الحملة الفرنسية عام ١٨٠١م، وبخروج الحملة عادت مصر ولاية عثمانية، وعين لها خسرو باشا واليًا.

تنسك محمد علي، واظهر للناس تمسكه الشديد بالإسلام، وتجمع العلماء حوله، واختاروه واليًا عليهم بشروطهم، وأرسلوا للسلطان العثماني بذلك، فأرسل مرسومًا بتعيينه واليًا على مصر سنة ١٨٠٥م.

بدأ محمد علي بإبعاد الضباط الألبان الذي جاءوا معه في الحملة لينفرد هو بالحكم، ثم بدأ بتصفية الزعامات الدينية التي أوصلته إلى الحكم، فأعلن بهذا تصفيته للدين، وإزاحته بعيدًا عن حركة الحياة، ثم اتجه إلى تصفية الأمراء المماليك الذين دافعوا عن البلاد وعن الإسلام بدمائهم، واستشهد الكثير منهم برصاص جيش نابليون (١).

يقول عبدالرحمن الجبرتي: [إن الوثائق التاريخية الأوروبية تقول إن قنصل فرنسا بالقاهرة حينئذ -رودفيني- هو الذي خطط ومول مذبحة القلعة الشهيرة التي قضى فيها محمد علي على المماليك.

محمد علي كان أداة لتنفيذ المخطط الصليبي ضد الإسلام

يقول أحد الباحثين المنصفين: [لقد دخل محمد علي مصر باسم الإسلام، واختاره أهلها وعلماؤها باسم الإسلام، وبشروط الإسلام، ولكنه أخرج مصر من دائرة الإسلام بعد أن أصبح أداة لتنفيذ المخطط الصليبي الذي عجزت الحملة الفرنسية عن تنفيذه ضد الإسلام.. احتضنته فرنسا بعد أن تدخلت لدى السلطان لإرساله واليًا على مصر، فأنشأت له جيشًا مدربًا على أحدث الأساليب، ومجهزًا بأحدث الأسلحة المتاحة يومئذ بإشراف سليمان باشا الفرنساوي، وأنشأت له أسطولاً بحريًا على أحدث طراز، كما أنشأت له ترسانة بحرية في دمياط، وغير ذلك من الإنشاءات].

ويتساءل المفكر الإسلامي محمد قطب فيقول: هل كان كل هذا حبًا في شخص محمد علي؟ أو حبًا في مصر؟ إنما كان هذا لتنفيذ المخطط الصليبي الذي عجزت الحملة الفرنسية عن تنفيذه بسبب اضطرارها إلى الرحيل.

(١) جوده محمد عواد - قضايا إسلامية - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

لقد قام محمد علي بدور خطير في نقل مصر من المرتكز الإسلامي إلى شيء آخر يؤدي بها في النهاية إلى الخروج من الحيز الإسلامي.. سواء كان واعيًا تمامًا لهذا الدور، أو مُستَغَلاً من قِبَل الصهاينة والصليبيين لتنفيذه، والذي يغلب وفي ضوء تجربتي كمال أتاتورك وجمال عبدالناصر، أنه كان واعيًا للدور وضالعًا فيه.

ويضيف الشيخ محمد قطب قائلاً: لقد كانوا يريدون القضاء على الإسلام بصفة عامة، ولكنهم وضعوا في مخططهم أهدافًا مرحلية معينة تمكنهم – في تصورهم – من القضاء الأخير على الإسلام.. من هذه الأهداف: القضاء على الدولة العثمانية، والقيام بتغريب العالم الإسلامي، مع العناية الخاصة بتغريب مصر – بلد الأزهر – وتصدير التغريب منها إلى بقية العالم الإسلامي.. ذلك لقتل روح الجهاد الإسلامية ضد الصليبيين عن طريق إزالة ا لحاجز العقدي، ولضمان تبعية العالم الإسلامي للغرب.

كانت الخطة الصليبية التي اضطلعت فرنسا بتنفيذها في مصر هي تكبير محمد علي وإغرائه للاستقلال عن الدولة العثمانية، لتتفكك عرى الدولة وتنهار. وفي ذات الوقت كانت الخطة هي تغريب مصر – بعد استقلالها – لضمان تبعيتها الدائمة للغرب، وانفصالها عن الإسلام نهائيًا.

حروب محمد علي

خاض محمد علي سلسلة من الحروب ضد الوهابيين في شبه الجزيرة العربية، كانت من أكبر سيئاته، كما حارب السلطان العثماني في محاولة للاستقلال عن الخلافة، وعندما اتسعت أطماعه الشخصية منعته الدول الأوربية وأوقفته.

كتب الشيخ محمد عبده في المنار سنة ١٩٠٢م/ ١٣٢٢هـ بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس مُلك هذه الأسرة، قال: إن لمحمد علي ثلاثة أعمال كبيرة:

(١) تأسيس حكومة مدنية علمانية كانت مقدمة لاحتلال الأجانب له.

(٢) قتاله للدولة العثمانية بما أظهر به للعالم كله ولدول أوربا خاصة ضعفها وعجزها، وجرأهن على التدخل في أمور سياستها.

(٣) مقاتلة الوهابية والقضاء على مانهضوا به من الإصلاح الديني في جزيرة العرب، مهد الإسلام ومعقله [١].

(١) انظر معالم التاريخ الإسلامي المعاصر – أنور الجندي – ص٢٥٥.

كان محمد علي كنابليون، كلاهما تحركه أهداف علمانية.. وكان طموح نابليون الذي حققه في أوروبا ـ بعد رحيله من مصر ـ أكبر عوض عن فشله في تحقيقه في الشرق. ثم إن الاستعمار نفسه لم يخسر شيئًا، فقد استطاع أن يحقق أهدافه عن طريق محمد علي والمسلمين أنفسهم. ولا يعني فشل نابليون في حصار عكا وغزوها أن تظل مغلقة.. ولكن فتحها على يد قائد مسلم هو إبراهيم بن محمد علي، فلقد كانت حروب إبراهيم باشا في عكا وفلسطين وسوريا والأناضول والجزيرة العربية لمحاربة جماعة محمد بن عبدالوهاب أول الإسلاميين الخلصاء في العصر الحديث تحت راية الإسلام بسلاح فرنسي ومشورة فرنسية وخبراء عسكريين فرنسيين. كانت هذه الحروب التي قادها قائد مسلم وتحاربت فيها جيوش مسلمة تحقيقًا للتخطيط الذي رسمه المستشرق الفرنسي الكونت (فولني) الذي حفظه نابليون عن ظهر قلب قبل حملته على مصر، إذ كان ينادي هذا المستشرق بأن السيطرة على الشرق لا تتم إلا بعد الاستيلاء على مصر والشام، وتحطيم الخلافة العثمانية [1].

كان محمد علي امتدادًا لنابليون في مصر، ومبادئ العلمانية التي أرساها نابليون وجيوشه الفرنسية مكن لها محمد علي بعد ذلك، بعد أن قوض سلطة الأزهر، وأضعف نفوذ علماء الدين.

لقد مهدت أوروبا ـ خاصة فرنسا ـ كيف تحكم مصر بعد خروج الفرنسيين منها، وكانت خطة محمد علي في التحديث استمرارًا لخطة نابليون، وأقام محمد علي دولته العلمانية التي لا تفرق بين مواطن وآخر إلا بمقدار ما يقدمه لها من خدمات، دون ما اعتبار لدين أو عرق أو لون، تمامًا كما فعلت فرنسا بعد نجاح ثورتها الكبرى.

ويشهد الشيخ محمد عبده الذي عاصر عددًا من حكام أسرة محمد علي، على هذا العصر فيقول: لم يفكر محمد علي في بناء التربية على قاعدة من الدين والأدب، أو وضع حكومة منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل.. وحتى الكتب التي تُرجمت في فنون شتى، تُرجمت برغبة الأوروبيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد، وحرم المصريين من بلوغ الرتب أو الجيش، لذلك لم تلبث تلك القوة (الجيش) أن تهدمت واندثرت، وظهر الأثر عندما جاء الإنجليز لإخماد ثورة عرابي، ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس

(١) انظر د. السيد أحمد فرج ـ جذور العلمانية ص٣٤-٣٥ ـ دار الوفاء.

تثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها [١].

إن محمد عي استولى على ثروات الدوائر الدينية، وحرم المشايخ من سابق وظائفهم التي هيمنوا بها على المجتمع، وحكم عليهم بالعزلة التامة، حتى أنهم لم يعد في استطاعتهم أن يظهروا أمام الناس بأنهم القوة الوحيدة التي تستطيع أن تفرض على الحكام أن يحكموا بمقتضى العدالة الواجبة [٢].

نهاية محمد علي

حاول محمد علي تكوين قوة عظمى على حساب الشعب المسلم، فأنشأ أسطولاً بحريًا تحطم في النهاية على يد من أحبهم، وبنى حضارته الوهمية على أيديهم، حيث اجتمعت انجلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا، وحطموا الأسطول المصري في البحر، وأجبروه على العودة من حيث بدأ، كما انخفض عدد الجيش وأصبحت مصر من بعده مطمعًا حيث احتلها الإنجليز سنة ١٨٨٢م، وحققت بريطانيا أهدافها بعد أن حطمت قوة محمد علي العسكرية، وطردته من أملاكه، وصار يستعطفهم لإبقائه في حكم مصر له ولأبنائه من بعده!!

الاكتشافات الجغرافية والتوسعات الأوربية في العالم

استمرت الحروب الصليبية ضد المسلمين طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، ثم انتهت بجلائهم بعد أن قيض الله عز وجل للمسلمين من القادة أمثال الشهيد نورالدين والبطل صلاح الدين، وفيضًا آخر من قادة المسلمين عربًا وغير عرب، رفعوا راية الإسلام، وقاتلوا في سبيل الله، وباعوا أنفسهم وأموالهم فأيدهم الله بنصره.

وبعد إخراج المسلمين من الأندلس عام ١٤٩٢م، سنحت الفرصة لقراصنة البحر الأوروبيين ركوب البحار، وصار لدى نصارى شبه جزيرة أيبريا رغبة قوية في مطاردة المسلمين لانتزاع أراضيهم ومصادر ثرواتهم، فاحتلوا بعض الثغور الإسلامية على حين غرة من المسلمين، وانتقل نشاطهم من شمال أفريقيا إلى غربها وجنوبها، وظهر ما عُرِفَ

(١) المرجع السابق نقلاً عن مقال في مجلة المنار للشيخ محمد عبده.
(٢) المرجع السابق نقلاً عن عبدالرحمن الجبرتي.

في كتب التاريخ - تاريخ العالم الحديث والمعاصر - بحركة الكشوف الجغرافيـة الأوروبيـة خلال القرن الخامس عشر.

دور الأمة المسلمة في حركة الكشف الجغرافي

المصريون:

اهتم المصريون منذ القدم باكتشاف المناطق البعيدة، فوصلت بعثاتهم إلى بلاد بنت (القرن الأفريقي)، وداروا بسفنهم حـول القـارة الأفريقيـة، فكـانوا بذلـك أسـبق مـن فاسـكو دي جاما.

ويشير بعض المؤرخين إلى وصول المصريين إلى أمريكا الجنوبيـة، وقد لاحظـوا ذلك من خلال التشابه الكبير فـي بنـاء الأهرامـات، فكـانوا بذلـك أسـبق مـن كولمبـس فـي الوصول إلى العالم الجديد.

الفينيقيون:

اشتهر الفينيقيون بالملاحة، وأظهروا فيها كفـاءة وقـدرة عاليـة، واحتكروا تجـارة البحر المتوسط، وازدهرت مدنــه الكثيرة مثـل جبيـل وصـور وصيـدا وأوغـاريت، وامتـد نشاطهم من الجانب الشرقي للبحر المتوسط إلى الجانب الغربي، وعبر الفينيقيون مضيـق جبل طارق إلى المحيط الأطلسي، وتركوا آثار حضارتهم في الجـزر البريطانيـة، وتعـدوا هذه الجهة شمالاً حتى شبه جزيرة اسكندناوه.

بلادنا مركز النشاط والمعلومات الجغرافية زمن الإغريق والرومان.

ظلت بلادنا مركزًا للحركـات الكشـفية والمعلومـات الجغرافيـة، فكـانت الاسـكندرية إحدى مشاعل الحضـارة، ويرجع الفضل إلى التجار العرب الذين عرفوا الطـرق التجاريـة البحرية، وعرفوا الرياح الموسمية عند باب المندب وبحر العرب، وعنهـم أخذهـا اليونـان والرومان.

لقد وصل التجار العرب إلى سيلان والصين، وجاب الكثير من جهات البر والبحـر في آسيا وأفريقيـا وأوروبـا، وسـجلوا أخبـارهم ومعـارفهم عنهـا للإفـادة منهـا، ولقد كتـب

الرحالة ابن خرداذبه دليلاً للتجار والمسافرين للاسترشاد به في رحلاتهم البحرية من بلاد العرب إلى الهند والصين.

فضل العرب والمسلمين في علم الجغرافيا وفي رسم الخرائط وفي تقدم فن الملاحة

حافظ العرب على الإنجازات العلمية التي توصل إليها علماء سابقون مثل بطليموس، وتوصلوا إلى نظريات خاصة بالملاحة والجغرافيا والفلك، كما ظهرت مؤلفات جغرافية جديدة على أيدي كبار الجغرافيين من المسلمين أمثال الخوارزمي الذي اشترك في قياس محيط الأرض في عهد الخليفة العباسي المأمون، كما أدخل تحسينات على خريطة بطليموس، كذلك اشتهر المقدسي الذي وضع كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، ويقول عنه المستشرق الأوروبي "أشبرنجر" أنه أكبر جغرافي عربي عرفته البشرية، ويعتبر كتابه نموذجًا للكتاب العلمي من حيث التنظيم والتبويب، وفي القرن الثاني عشر الميلادي أنجز أعظم عمل جغرافي عربي منظم في كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي الذي وُلِدَ في سبته، وتعلم في قرطبة، وتنقل في أوروبا وآسيا الصغرى، ثم استقر في بلاط روجر الثاني ملك صقلية، وهناك صنع كرة فلكية من الفضة وخريطة للعالم حُفِرت على اسطوانة من الفضة الخالصة، ولقد قَسَّمَ الإدريسي العالم إلى سبعة أقاليم مناخية، ثم قَسَّمَ كلا منها إلى عشرة أقسام من المغرب إلى المشرق، ووضع لكل قسم خريطة خاصة به بالإضافة للخريطة العامة.

أما ابن حوقل فقد ألف كتاب "مسالك الممالك" بعد أن جاب العالم الإسلامي من المشرق إلى المغرب فيما يقارب من الثلاثين عامًا، وكذلك الاصطخري الذي ألف كتاب "المسالك والممالك" وأوضحه بكثير من الخرائط.

ومن علماء المسلمين الجغرافيين ياقوت الحموي الذي ألف كتاب "معجم البلدان" الذي يُعتبر موسوعة جغرافية ضخمة استغرقت عدة مجلدات مرتبة حسب حروف المعجم.

وإلي جانب كل ما تقدم أدخل العرب الكثير من التحسينات على صناعة السفن ورسم الخرائط، كما أدخلوا الأسلوب الرياضي ووضعوا خطوط الطول والعرض، واستخدموا آلات دقيقة لقياس ارتفاع الشمس والنجوم والكواكب فوق الأفق كالاسطرلاب، ولتحديد الاتجاه كالبوصلة "بيت الإبرة" وربع محيط الدائرة.

الدوافع الحقيقية للاكتشافات الجغرافية الأوروبية

كان الدافع الديني من أهم العوامل التي شجعت أوروبا على القيام بحركة الكشوف الجغرافية، وكانت البرتغال وأسبانيا أسبق الدول في القيام بالكشف الجغرافي، لأن الناحية الدينية لعبت دورًا كبيرًا في تخطيط سياسة هاتين الدولتين، وكانت تكمن في هذه الناحية روح صليبية جارفة.

كانت البرتغال تهدف إلى تحويل المسلمين في غرب أفريقيا وغيرها من المناطق الآهلة إلى المسيحية الكاثوليكية، كما كانت أسبانيا تبغي نشر المسيحية وفق المذهب الكاثوليكي بين السكان الأصليين والوثنيين فيما وراء البحار، وقد استهدفت هذه الروح الصليبية تحويل المسلمين في كافة المناطق إلى نصارى.

تجلت فكرة التعصب الديني والروح الصليبية في أسبانيا في عام ١٤٦٩م، عندما تزوج فرديناند حاكم أراجون، من إيزابيلا حاكمة قشتالة، وكان ذلك بمثابة مولد دولة أسبانيا المتحدة في التاريخ الحديث وبدا فعلا سياسة الاضطهاد الديني، والقضاء على كل فرد لا يدين بالمذهب الكاثوليكي، وكانت أول الأعمال التي قاما بها الاستيلاء على غرناطة، وهي آخر معقل للمسلمين في شبه جزيرة أيبيريا، وبعد طرد المسلمين من الأندلس ازداد مسيحيو شبه جزيرة أيبيريا تحمسًا وشراسة في مطاردة المسلمين خارجها، وانتقل نشاطهم إلى شمال أفريقيا وغربيها، وراودتهم الآمال في محاصرة الإسلام عن طريق البحر والقضاء عليه.

ظهرت حركة الكشوف الجغرافية باهتمام كبير من البابوات الذين أصدر بعضهم عدة مراسيم تخول ملوك أسبانيا والبرتغال الحق في ملكية كل إقليم جديد، ووصفوا في مراسيمهم الإسلام بأنه طاعون، وطالبوا ببذل الجهود لتنصير سكان المناطق التي كُشِفَت أو التي تُكْتَشَف، والحيلولة بينهم وبين إصابتهم بطاعون الإسلام.

وبالإضافة إلى ذلك كان البابوات يعدون المشتركين في الرحلات الكشفية بالعفو عند الحساب في اليوم الآخر.

أرسل البابا نيقولا الخامس ١٤٤٧-١٤٥٥م في عام ١٤٥٤م مرسومًا إلى ملك

البرتغال اشتمل على ما أطلق عليه اسم "خطة الهند" وهي تقوم على أعداد حملة صليبية نهائية تشنها أوروبا الكاثوليكية للقضاء قضاءً مبرمًا على الإسلام [1].

عمد البابا إلى خريطة للكرة الأرضية، ورسم فيها خطًا رأسيًا يقطع المحيط من الشمال إلى الجنوب، وقال إن الأراضي التي تقع إلى الغرب فهي من نصيب أسبانيا، وقد عُرِفَ الاتفاق الذي تم بين أسبانيا والبرتغال بإشراف البابا سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٩٤م باسم معاهدة توردسيلاس [2].

انطلق البرتغاليون والأسبان من الكنيسة مأذونًا لهم في تطويق العالم الإسلامي والإجهاز عليه.

يقول الأستاذ محمود شاكر [3]: [رأى البرتغاليون ضرورة تطويق المسلمين، فقام ملك البرتغال حنا الأول بحملة على المسلمين في مراكش، واحتل سبتة، وجعل ابنه هنري حاكمًا عليها، لكنهم وجدوا أن التطويق يجب أن يكون عن طريق الوصول إلى بلاد لا يسكنها مسلمون حتى لا يساعدوا سكان الأندلس بثورات يقومون بها، فكان الانتقال على السواحل الأفريقية الغربية، وكلما وصلوا مكانًا وجدوا فيه مسلمين تركوه واتجهوا نحو الجنوب، بعد أن أسسو فيه قاعدة، وأخيرًا وصلوا إلى الرأس الأخضر، ولما وجدوا فيه مسلمين كانت خطوتهم أوسع، فوصلوا الكنغو، وتجاوزوا خط الاستواء، ثم دفعت العواصف بارثلميوديار نحو الجنوب حتى وصل أقصى الجنوب من القارة الأفريقية، وتجاوزها حتى وصل إلى السواحل المطلة على المخيط الهندي، ولمّا عاد سمى الطرف الجنوبي من القارة برأس العواصف، ولكن ملك البرتغال أطلق عليه اسم رأس الرجاء الصالح، حيث شعر بأمل في إمكانية تطويق المسلمين.

حرمان المسلمين من مصادر ثروتهم وقوتهم

لم يكتف الأسبان والبرتغاليون بإخراج المسلمين من الأندلس، بل أرادوا ملاحقتهم في المغرب وإخراجهم منه، فسيطروا على بعض مراكز شواطيء البحر الأبيض

(١) د. عمر عبدالعزيز عمر ـ دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث ـ ص٨٣ ـ دار المعرفة الجامعية.
(٢) د. جمال عبدالهادي ـ أفريقيا يُراد لها أن تموت جوعًا ـ ص٢ ـ دار الوفاء.
(٣) انظر المصدر السابق ص١٩١-٢٠٩.

المتوسط شمال المغرب مثل مليلة ووهران، وكذلك استولوا على مناطق على شواطيء المحيط الأطلسي، وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا بعدم إمكانية التوغل نحو الداخل لتمكن المسلمين.

حرص الأسبان والبرتغاليون على معرفة طرق تجارية أخرى غير التي يسيطر عليها المسلمون للوصول إلى بلاد الشرق، حيث مواطن التجارة التي كانوا يسمعون عنها من التجار المسلمين، وحرمان المسلمين من الأرباح التي كانوا يجنونها، ونشر النصرانية في البلاد التي يدخلونها، ثم حث النصارى على محاربة الإسلام والمسلمين، والاستفادة من كل خلاف يحدث بين المسلمين.

دور اليهود

أرسلت البرتغال بعض اليهود الذين يجيدون العربية إلى مصر، حيث أظهروا هناك الإسلام، وتقربوا من الحكام، مستفيدين من أوضاعهم المادية الحسنة، فاستطاعوا أن يعرفوا أحوال جيش دولة المماليك أقوى الدول الإسلامية آنذاك، والتي تسيطر على شرق أفريقيا، وتساعد المسلمين في حربهم ضد الأحباش والنصارى، كما تَعَرّفُوا على أوضاع البلاد الداخلية، وسرقوا خرائط البحار، والمعلومات عن الملاحة، وكيفية التخلص من منطقة الرهو الاستوائي التي بقيت لغزًا يصعب حله لدى الأوربيين حتى تلك الساعة. حيث تهدأ الرياح في المنطقة الاستوائية، ولا تتحرك السفن الشراعية، ولا يمكن التنقل إلا في الربيع شمالاً مع حركة الشمس الظاهرية، وفي الخريف جنوبًا، وعندما أخذ اليهود كل ما يريدون، انسلوا من مصر عائدين إلى البرتغال، وقدموا ما لديهم للحكومة.

فاسكو دي جاما

ما أن خرج المسلمون من الأندلس، حتى أرسلت البرتغال بارثليموديـاز عام ١٤٨٧م، في نفس الاتجاه الذي سار فيه هنري الملاح، ثم كلف ملك البرتغال الملاح البرتغالي فاسكو دي جاما عام ١٤٩٧م بمهمة البحث عن الطريق البحري إلى الهند، ومواصلة جهود بارثلميوديار عن طريق جنوب أفريقيا، فاستجاب وأبحر على رأس بعثة، وسار من لشبونة ووصل إلى رأس الرجاء الصالح عام ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، وسارت سفنه مع تيار موزمبيق شمالاً، ونزل في عده موانئ، أهمها موزمبيق وممبسه وماليندي،

وكانت هذه الموانئ مراكز إسلامية مليئة بالتجار العرب الذين فوجئوا بهؤلاء الأوربيين الذين أتوا من طريق لم يعهدوه من قبل، وقضى دي جاما أسابيع في ماليندي يجمع المعلومات عن أقصر طريق بحري يؤدي إلى الهند، ووطد علاقته بحاكم ماليندي الذي أمده بملاح مسلم عربي هو شهاب الدين أحمد بن ماجد ليساعده في الوصول إلى الهند.

أبحر دي جاما من ميناء ماليندي بصحبة ابن ماجد نحو الهند، فوصل إليها عام ١٤٩٨م، ونزل في كاليقوط، وعقد معاهدة مع حاكمها الزامورين.

الأعمال الوحشية ضد المسلمين

كان البرتغاليون يرغبون في الوصول إلى آخر ديار الإسلام، ولكنهم يئسوا من ذلك فما وصلوا إلى منطقة إلا وجدوا فيها مسلمين حيث كان المحيط الهندي آنذاك بحرًا إسلاميًا خالصًا، لذلك فكروا في الانتقام من المسلمين وغزوهم في عقر دارهم في أرض العرب.

عندما وصل فاسكو دي جاما إلى قاليقوط، وجد فيها مسلمين، واستقبله حاكمها استقبالاً سيئًا فأضمر له الحقد، وعاد إلى البرتغال، ولكنه عاد بعد مدة على رأس حملة جديدة، واتجه مباشرة إلى قاليقوط، وضربها بالقنابل انتقامًا لزيارته الأولى لها.

أغرق فاسكو دي جاما سفينة في خليج عمان تنقل الحجاج من الهند إلى مكة، وعلىظهرها مائة حاج حيث أعدمهم جميعًا بعد أن فعل بهم الأفاعيل، ثم عاد إلى كالكوتا فأحرق مجموعة من المراكب كانت محملة بالأرز، وقطع أيدي وآذان وأنوف بحارتها، وكان في مدينة كيلوا في شرق أفريقيا ثلاثمائة مسجد، دمر معظمها على أيدي البرتغاليين بمجرد دخولهم المدينة، وأعلن البرتغاليون بعد انتصارهم على المماليك في معركة ديو البحرية أنهم سيهدمون الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، وأنهم سيزيلون معها آخر آثار الإسلام، وهذا ما جعل العثمانيين يتجهون نحو بلاد العرب يضمونها إلى دولتهم ليقفوا في وجه البرتغاليين.

مشروعات البوكيرك

خلف البوكيرك فاسكو دي جاما، والذي يعود إليه الفضل في توطيد دعائم

الإمبراطورية البرتغالية، تضمنت مشروعاته قبل موته تحويل مياة نهر النيل إلى البحر الأحمر ليحرم مصر من ري أراضيها، ويخرب شبكة الري التي كانت قائمة فيها آنذاك، وتهديم المدينة المنورة في شبه جزيرة العرب، ونبش قبر الرسول محمد ﷺ، وأخذ كنوزه حيث كان يتصور أن ضريحه مليئ باللآليء والمجوهرات شأن الفاتيكان، وسرقة رفات الرسول ﷺ، وجعلها رهينة حتى يتخلى المسلمون عن الأماكن المقدسة في فلسطين.

خطاب البوكيرك

ألقى البوكيرك خطابًا هامًا ـ يقطر حقدًا على المسلمين ـ قبل هجومه الثاني على مدينة ملقا في شبه جزيرة الملايو عام ٩١٧هـ/ ١٥١١م، جاء فيه:

[الأمر الأول هو الخدمة الكبرى التي سنقدمها للرب عندما نطرد المسلمين من هذه البلاد، ونخمد نار هذه الطائفة المحمدية، حتى لا تعود للظهور بعد ذلك أبدًا، وأنا شديد الحماسة لمثل هذه النتيجة.. إذ استطعنا تخليص ملقا من أيديهم فستنهار القاهرة، وستنهار بعدها مكة] (١).

وعندما انتصر البرتغاليون في ملقا استدعى ذلك إقامة قداس شكر في أوروبا عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م. وقال أحد الخطباء في هذا القداس: إن هذا سيسهل استعادة القدس، وفسر كيف أن الصليب وصل إلى أماكن بعيدة، واتهم سلطان ملقا بأنه مسلم متعصب يكره النصارى، ونادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس (٢).

الرسائل المتبادلة بين ملك البرتغال وملكة الحبشة

أرسل ملك البرتغال عمانويل إلى ملكة الحبشة إليني رسالة يُشَمّ منها روائح الحقد على المسلمين جاء في إحدى رسائل إليني :

[بسم الله، والسلام على عمانويل سيد البحار، وقاهر المسلمين القساة الكفرة، وتحياتي إليكم ودعواتي لكم، لقد وصل إلى مسمعنا أن سلطان مصر جهز جيشًا ضخمًا ليضرب قواتكم ويثأر من الهزائم التي ألحقها بها قوادكم في الهند، ونحن على استعداد

(١) نفس المصدر السابق نقلاً عن د. نبيل الطويل ـ الإسلام في المشرق الأقصى.
(٢) المصدر السابق.

لمقاومة هجمات الكفرة بإرسال أكبر عدد من جنودنا في البحر الأحمر، وإلى مكة، وإلى جزيرة باب المندب، وإذا أردتم نسيرها إلى جدة أو الطور. وذلك لنقضي قضاءً تامًا على جرثومة الكفر، ولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملك مسيحي يستطيع في وقت قصير أن يُبيد الشعوب الإسلامية المتبربرة، ولما كانت قواتنا متوغلة في الداخل، وبعيدة عن البحر الذي ليس لنا فيه قوة أو سلطان، فإن الاتفاق معكم ضروري، إذ أنكم أهل بأس شديد في الحرب البحرية] [١].

الاكتشافات الأسبانية

لم تكن الروح الصليبية أقل ظهورًا عند الأسبان منها عند إخوانهم البرتغاليين.. دفعهم الحقد الصليبي الأعمى كذلك إلى محاولة تطويق المسلمين والقضاء عليهم قضاءً تامًا.

تلقى الأسبان المساعدات من أوروبا، حيث نجد معظم ملاحيها ليسوا من الأسبان وإنما من باقي دول أوروبا التي كانت تمدهم بكامل إمكاناتها.

كانت مهمة الأسبان الالتفاف على المسلمين من ناحية الشرق، فكانت رحلات كريستوفر كولمبس عام ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م إلى جزر كناريا، ثم جزر الأنتيل في أميركا الوسطى، ثم رحلات أمريكو فيسبوشي الفلورنسي الأصل، الذي توصل إلى أن الأرض التي وصلها كولمبس هي أرض جديدة بالنسبة إلى أوروبا. ثم رحلات ماجلان من أشبيلية عام ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، والتي طاف فيها حول أمريكا الجنوبية، ثم وصل إلى الجزر التي أُطلق عليها فيما بعد جزر الفلبين تخليدًا لملك أسبانيا آنذاك فيليب الثاني.

دخل ماجلان في معارك مع المسلمين في تلك الجزر، وطلب منهم الاستسلام بعد أن صب عليهم جام غضبه قائلاً لهم: [إنني باسم المسيح أطلب إليكم التسليم ونحن أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد]، فأجابه السكان المسلمون بأن الدين كله لله، وأنهم يعبدون ربًا واحدًا هو إله الناس جميعًا، ثم انقضوا عليه وقتلوه ورفضوا تسليم جثته للأسبان، ولا يزال قبره هناك شاهدًا على ذلك.

(١) المرجع السابق نقلاً عن حامد عمار - علاقة الدولة المملوكية بالدول الأفريقية.

هل كان فاسكو دي جاما أول من كشف طريق رأس الرجاء الصالح؟

أكدت الأبحاث التاريخية أن فاسكو دي جاما البرتغالي لم يكن هو الذي كشف طريق رأس الرجاء الصالح، وأن المناطق التي وصل إليها الصليبيون من أسبان وبرتغاليين وغيرهم كانت معروفة للمسلمين قبل ذلك بأكثر من أربعة قرون، وأن تجارة العالم كله كانت تمر في أيدي المسلمين من أرض الصين شرقًا إلى الجزر البريطانية شمالاً وغربًا، وكانوا يخططون الشاطيء الأسيوي الأفريقي ويحفظونه على خريطتهم، وعلى هذه الخرائط اعتمد فاسكو دي جاما في رحلته.

ثم إنه من الثابت تاريخيًا أن أحمد بن ماجد البحارة الولي المسلم كان قائد سفن فاسكو دي جاما [١].

اكتشف الدكتور ستانلي تيمور قبرًا في مقاطعة رودسيا على مقربة من نهر الزامبيزي يعود إلى ما قبل ثلاثة عشر قرنًا وقد نقش عليه:

[بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذا قبر سلام بن صالح الذي انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة في السنة الخامسة والتسعين من هجرة النبي العربي ﷺ].

وقد استدل ستانلي من ذلك أن المسلمين قد وصلوا تلك الأصقاع في جنوب أفريقيا، وأنهم قد استثمروا مناجم الذهب، واستدل من آثار عربية أخرى وجدها في تلك البقاع على أن المسلمين قد استثمروا تلك البلاد زمنًا طويلاً قبل أن يصل إليها البرتغاليون.

كما أثبت المقريزي وأصحاب الخطط، أن كل سواحل أفريقيا الشمالية والشرقية والجنوبية، قد كشفها العرب بعد الفتح الإسلامي بزمن وجيز، على عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين، في إبان مجد العرب وسعة سلطانهم، ثم توغلوا من مجاهل النيل والنيجر والكونغو.

وفي بدء الفتوح الإسلامية، اجتازت مراكبهم سواحل أفريقيا كلها، وملكوا الصومال وممباسا وزنجبار وموزامبيق وجزائر القمر، ووسعوا تجارتهم في تلك الجهات، فاتجروا في الذهب وريش النعام والعاج والتوابل والطيور [٢].

---

(١) انظر أنور الجندي - معالم التاريخ الإسلامي المعاصر - ص٤١ - دار الإصلاح.
(٢) د. جمال عبدالهادي - المرجع السابق نقلاً عن محمود شاكر، نقلاً عن مصطفى الشهابي - الجغرافيون العرب ص٣١.

عرف المسلمون أقصى جنوب أفريقيا قبل أن يعرفه البرتغاليون بمدة طويلة، وادعاء البرتغال بأنها أول من عرف رأس الرجاء الصالح هو ادعاء باطل.

العرب اكتشفوا أمريكا قبل وصول الأوربيين إليها

عندما رست بواخر أمريكو فيسبوتشي على شواطيء القارة الأمريكية التي حملت اسمه، عرف أنها أرض جديدة لم تطأها بعد أقدام الأوربيين، ولم يعلموا بها، وأنها ليست جزائر الهند الغربية كما ظنها كريستوفر كولومبس الذي سبقه إليها.

ظن الأسبان أن بواخرهم أول بواخر وصلت إلى تلك الأراضي، وأن رجالهم أول رجال عرفوا تلك المنطقة، ولكن الحقيقة تدحض رأيهم، وتُكَذِّب ما أرادوا نشره.

(١) عندما وصل الأسبان إلى تلك الأرض وجدوا أناسًا يقيمون عليها، كما وجدوا حضارات قائمة وتعتبر الآن من جملة الحضارات القديمة المعروفة ألا وهي حضارة الآزتك في المكسيك.

(٢) جاء في مجلة المقتطف ١٣٤٥هـ أغسطس ١٩٢٦م أنه قد عُثِرَ على كلمات عربية في لغات هنود أمريكا يعود تاريخها لعام ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، أي قبل قرنين من وصول كولومب إلى أمريكا، كما أنه قد عُثِرَ هناك على بعض العمران العربي.

(٣) تقرر بعض الأبحاث العلمية الحديثة أن المسلمين عرفوا أميركا قبل كولمب، وأن مدنية بعض الجماعات الهندية في أمريكا تشبه المدنية الإسلامية إلى حد كبير.

(٤) أكد الدكتور "هوي لزلي" أستاذ علم النبات بجامعة بنسلفانيا في محاضرة ألقاها في الجمعية الشرقية الأمريكية أن المسلمين قد وصلوا إلى السواحل الشمالية لأمريكا الجنوبية من الطرف الغربي للعالم الإسلامي، وبالتحديد من الدار البيضاء.

(٥) عثر مدير متحف البرازيل قبل نهاية القرن التاسع عشر على صخرة إلى جوار مدينة ريو دي جانيرو عليها نقوش قريبة الشكل من الحروف العربية القديمة.

(٦) عثر على رسم محراب اكتشف في أمريكا عليه آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفي القديم.

كل هذا يدل على أن المسلمين قد وصلوا إلى أمريكا قبل معرفة الأوربيين لها

بفترة طويلة، وأنهم قد أثروا فيها ونشروا دينهم وحضارتهم، وأن الصليبيين الأوائل قد أبادوا المسلمين وطمسوا كل آثارهم تقريبًا، وما اكتشف منها الآن فهو ضمن خرائب فعلتها أيديهم [١].



(١) د. جمال عبدالهادي - المرجع السابق - دار الوفاء.

الفصل الرابع

خطوات نحو أسلمة المناهج التعليمية

- العلمانية والتعليم العلماني.
- كيف نتغلب على علمانية التعليم.
- التصور الإيماني للكون.
- مفهوم الحضارة.
- الحضارات القديمة في الميزان.
- مفاهيم ينبغي أن تصحح.

خطوات نحو أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية

حرص الأعداء على فصل الدين عن الحياة، ففصلوا المفاهيم الإسلامية لله والوجود والكون والمجتمع عن العلوم الاجتماعية والإنسانية.

والحقيقة التي لا سبيل إلى تجاوزها أن دراسة تلك العلوم بالصورة الراهنة غير ذات جدوى بالنسبة للطالب المسلم، لذا لابد من أن تدرس العلوم الاجتماعية مرتبطة بالعلوم الإسلامية، وهذا يتطلب منا صياغة الجغرافيا والتاريخ، وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة وعلم الاقتصاد صياغة إسلامية، وحتى يمكن التغلب على علمانية التعليم، تلك المشكلة التي وقعت فيها مؤسساتنا التعليمية والعلمية ولم تتخلص منها بعد.

لابد من إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد أو الجماعة.. بالإنسان أو الطبيعة.. بالدين أو العلم، وأن تعيد نفسها تحت لواء التوحيد الخالص: الله الخالق مسبب الأسباب، وهدف وغاية كل شئ في الوجود.

هذا ما قرره العلماء المسلمون والحاجة الملحة تحتمه.

العلمانية والتعليم العلماني

مفهوم العلمانية

العلمانية (بفتح العين لا بكسرها) مفهوم سياسي لا حضاري، وهو من المصطلحات التي أفرزتها الحياة الأوربية، ويعني عدم المبالاة بالدين أو الاعتبارات الدينية، أي يستهدف فصل الدين عن الحياة وإبعاده من مجال التأثير.

وقد شاع استعمال هذا المصطلح وصادف قبولا لدى المثقفين في مصر بعد أن تغلغل الاستعمار الإنجليزي فيها منذ عام ١٨٨٢م، وحاول بكل قوته ضرب المفاهيم الإسلامية التي تدعو إلى جهاد المستعمر، والتي توحد الأمة تحت راية الإسلام، فكانت الدعوة إلى إبعاد الدين عن السلطة، والدين هنا هو الإسلام، وذلك بدعوى أن الدين هو التخلف، وأن الإيمان ضد الارتقاء والمدنية، وأن سبيل الوحدة إلى الحضارة هي (العلمانية)، أي الانتماء إلى العالم ونظامه الوضعي، وقد انضم إلى هذه الدعوة الإستعمارية جماعات مخدوعة من المسلمين ومن غير المسلمين راقهم الاتجاه إلى محاربة الإسلام.

ويحاول العلمانيون العرب إبراز العلمانية في صورة المذهب العقلي الذي يقوم على الانتفاع بالعقل الإنساني في بعث التطور والتجديد، واستغلا معطيات الحياة المادية، من أجل تطوير المجتمع، وتحويله إلى مجتمع صناعي متقدم كما هو حادث في المجتمعات الغربية المتقدمة في مجالات العلم والثقافة، والحكم والإدارة، وما إلى ذلك دون إن يبرزوا تعارض العلمانية مع الدين.(1)

والعلمانية كمصطلح لاعلاقة لها بالعلم Science أو المذهب العلمي Scientism وإنما هي الفصل بين الدين والحياة أو اللادينية.(2) .

وفي دائرة المعارف البريطانية جاء مفهوم العلمانية msiraluceS بأنها حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الإهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها، وظلت هذه الحركة تتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.(3)

ويقول فضيلة شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق: العلمانية لا تنتسب إلى العلم، لأن الإسلام أولا مع العلم ويدعو إليه، والمسلمون ـ ليس ذلك تشبثا بالماضي ـ هم الذين نشروا العلم والعلوم، والعلم بمعناه العام لا المقصور على علوم اللغة والشريعة، وعلمهم هو الذي أقيمت عليه هذه الحضارة المادية والمعاصرة.

العلمانية هي مفهوم يدعو إلى التخلص من الدين وعزله عن حركة المجتمع، وهذا لا شك مذهب وفكر خاطئ، وهو فكر مادي لا يفترق عن الحضارة الغربية في شئ، وما في الحضارة الغربية من فصل بين الدين وبين نظام الحياة، هذا أمر كانت له ظروفه الماضية حين تسلط رجال الدين في أوربا على الحكم، وكانت نتيجة تسلطهم هذه المآسي الاجتماعية والسياسية التي نعرفها جميعا، أما حركة المسلمين منذ تاريخ الإسلام فلم يحدث فيها شئ من هذه المآسي.(4)

---

(1) أنظر د. السيدأحمد فرج جذور العلمانية ص ١٠٦، ١٦٧.
(2) د. سفر الحوالي العلمانية.
(3) د. صلاح الصاوي المواجهة بن الإسلام والعلمانية ـ الأفاق الدولية للإعلام.
(4) المرجع السابق نقلا عن مجلة آخر ساعة ٤ يوليو عام ١٩٩٠م.

أهداف العلمانية

تجمع المصادر المختلفة على أن العلمانية تستهدف عزل الدين عزلا تاما عن المجتمع وإتاحة الفرصة لقيام تربية لا دينية، وقيام نظام سياسي لا يستهدي بالشريعة، وتأسيس الإقتصاد على أساس الربا.

كما تستهدف إبعاد قطاع أصيل من الفكر الإنساني، هو جانب الروح والوحي وعالم الغيب، وكل ما يتصل بالدين من أخلاق وعقائد وإيمان بالله، وعزله عزلا تاما عن الفكر والحياة.(١)

التعليم العلماني

سعت الصليبية واليهودية العالمية منذ أن فرض الإستعمار سلطاته على المجتمعات الإسلامية، إلى إقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة والإقتصاد والتعليم، وإحلال منهج علماني بديلا منه، ولبلوغ هذا الهدف طُرِحَت عشرات المناهج الغربية في مفاهيم الحرية والديمقراطية وإعلاء شأن التاريخ القديم الفرعوني والفينيقي والبابلي والاشوري، وحاولت أن تشكل من هذا كله منهجا فكريا يعزل العرب والمسلمين عن جوهر فكرهم الإسلامي الأصيل.

وفي ضوء هذا المنهج تشكلت مناهج التعليم الجديدة خالية تماما من كل ما يفيد بأن الإسلام دين قائم على منهج حياة كامل، أو أنه رابطة أخوة مع المسلمين.

ركز النفوذ الإستعماري قواه الضخمة مستهدفا تحقيق مفهوم العلمانية بتشكيل نماذج من المتعلمين تتجاوز الدين أساسا، لا تقف عند اللغة العربية أو تاريخ الإسلام أو قيم القرآن ومنهجه الشامل. كما ركز على إنشاء مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية وإنشاء منهج تعليمي تغريبي للسيطرة على العقول وتربية النشئ، واستنقاص التراث والقيم العربية الإسلامية، وإعلاء مفهوم الغرب.

أخطار الفكر العلماني

علمانية الدولة في البلاد الإسلامية، معناه تنصل الدولة من الشريعة الإسلامية التي هي أهم عامل من عوامل توجيه حياة الشعب اليومية، والفكر العلماني لا يستهدف من

---

(١) أنور الجندي سقوط العلمانية ـ دار الكتاب اللبناني بيروت.

العقائد إلا العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية. أصحابه وأفراده يحملون أسماء إسلامية، إلا أنهم تربوا في مدارس فكرية ومذهبية بعينها، تناصب الإسلام العداء مستترين وراء أسمائهم.. إنهم أحفاد أبي بن سلول، يهاجمون الإسلام والشريعة مشككين في أصولها، داعين إلى تجاوزها.

يدعون إلى الفجور الخفي، والمجون المستتر بالرغم من ظهور دعواهم أحيانا، ترتدي مسوح الفضيلة والمبادئ.. نجدهم يلتحفون بعباءة الإسلام ويتكلمون باسمه وهم يضمرون له الخراب ويبثون أفكارهم المسمومة بين العامة.

يقرر العلمانيون أنهم يرفضون اعتبار الدين أساسا لحياة الجماعات البشرية ويدعون إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس، ونبذ كل ما تؤيده التجربة والتحرر من العقائد الدينية.

والإسلام لا يقر الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس وحده، لأنه بذلك يكون قد تجاهل عالما واسعا كبيرا من الحقائق لا تصل إليه الحواس، ولا يدركه العقل، ولا تصل إليه التجربة، ذلك هو عالم الغيب.[1]

العلمانية لا تلائم الشعوب الإسلامية لأن الأمة الإسلامية مدينة للإسلام في وجودها وتكوينها.

كيف نتغلب على علمانية التعليم

مقترحات لتعميق المفاهيم الإيمانية: (في الدراسات الجغرافيه والإقتصادية).

في النشاط الاقتصادي

يقدم المعلم لطلابه الأمثلة من تراثنا الحضاري العظيم، في مزاولة مختلف ألوان الأنشطة الإقتصادية والبشرية، ويضرب المثل بالأنبياء والمرسلين:

(١) كان نوح عليه السلام رائدا في صناعة بناء السفن، وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الرواد في صناعة التشييد والبناء، وكان داود وسليمان عليهما السلام قدوة في صناعة الحديد والدروع.

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

(٢) تفوق يوسف عليه السلام في أمور التدبير الإقتصادي، والسياسة المالية وحماية البلاد من الوقوع في الكوارث الإقتصادية.

(٣) كان ذو القرنين وأهل سبأ من المتميزين في بناء السدود والخزانات.

أما خاتم الأنبياء محمد صلوات الله عليه، فقد اشتغل بحرفة الرعي والتجارة.

يذكر المعلم لطلابه أن الله تعالى سخر للإنسان العديد من الثروات والموارد المختلفة، ثم حثه على ممارسة شتى ألوان النشاط الإقتصادي من زراعة، ورعي وصيد، وتجارة، واستثمار للأموال فيما يعود بالنفع على سائر الناس.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾[١]

النشاط الإقتصادي قوام حياة الإنسان، ومصدر لكسب الرزق، لذا فهو ضرورة.

اهتمام الإسلام بالزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، لتحقق الجماعة الإسلامية كفايتها فيما تحتاج إليه من مواد غذائية وخامات صناعية، وفي هذا مصدر من مصادر قوتها، وتجنبا لتحكم أعدائها في رقابها.

في عوامل الإنتاج الإقتصادي ومقوماته:

(١) **الأرض:** يحرص المعلم على:

التأكيد على أن الأرض هبة من عند الله تعالى، تضم سائر الموارد والثروات الإقتصادية التي خلقها الله عز وجل، ووضعها تحت تصرف الإنسان من مياه سطحية، ومياه جوفيه، وتربة تصلح للزراعة والإنبات، وكذلك المواد الأولية حيوانية ونباتية ومعدنية.

قال تعالى ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾[٢]، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٤].

---

(١) البقرة ٢٦٧.
(٢) الرحمن ١٠.
(٣) الحجر ١٩.
(٤) لقمان ٢٠.

في الموارد المائية ومصادر المياه

يؤكد المعلم من خلال دروسه على:

أرسل الله تعالى المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها، فيخرج به ما تعيش عليه الأنعام ويحتاج إليه الناس ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾[1]، ﴿واللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2]، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[3].

أي أن السحاب يحمل الماء الذي مصدره البحر، ثم يعيده مطرا إلى الأرض، وماء المطر هو مصدر المياه الجوفيه التي تعتمد عليه الزراعة في الصحراء والمناطق التي لا توجد فيها أمطار ولا أنهار.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾[4].

في الإنتاج الحيواني والرعي والثروة الغابية

يستشهد المعلم بالآيات القرآنية التالية :

قال تعالى ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[5]، ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[6].

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُون ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً، وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[7].

(١) السجدة ٢٧.
(٢) فاطر ٩.
(٣) الطارق ١١-١٢.
(٤) الزمر ٢١.
(٥) الأعلى ٤-٥.
(٦) النازعات ٣٠-٣١.
(٧) النحل ٥-٨.

في التربة:

تتفاوت خصوبة التربة بحسب ما أودع الله تعالى فيها من عناصر كيماوية. قال تعالى ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١].

فبرغم أنها تروى بماء واحد إلا أن بعضها طيبة صالحة وبعضها سبخة، وبعضها رخوة، وبعضها صلبة، وبعضها يصلح للزراعة دون الشجر والبعض غير ذلك، وهذه كثيرة الإنتاج، وهذه قليلة، فحيث تكون التربة خصبة تكثر النباتات، وحيث تكون فقيرة، فلا يحتاج النبات منها إلا قليلا، أي أن الزروع متفاوتة في أنواعها وطعومها وألوانها ﴿وقدر فيها أقواتها﴾.

العمـــــل:

العمل ضروري في العملية الإنتاجية، فالأرض وما فيها من ثروات وموارد طبيعية خلقها الله تعالى للإنسان وجعلها تحت تصرفه، تصبح عديمة القيمة لا أهمية لها، إلا من خلال ما يبذله الإنسان فيها من عمل من أجل استغلالها.

الإسلام شدد على وجوب العمل لقوله تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[٢] ولقوله ﷺ (ما أكل أحد طعاما خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) و(لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه).

العمل شرف قام به الأنبياء، وأحفظ لكرامة الإنسان، وهو فرض واجب على القادرين عليه.

الزراعة واستغلال الأرض:

أرشدنا الإسلام إلى أهمية استغلال المياه في أغراض الزراعة ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[٣].

(١) الرعد ٤.
(٢) التوبة ١٠٥.
(٣) عبس ٢٥-٣٢.

كما أرشدنا إلى أهمية انتهاج الأسلوب العلمي السليم للاستفادة من المياه عن طريق إقامة ما تحتاج إليه الزراعة من مشروعات الري كالسدود والقنوات وغيرها لاستصلاح الأرض البور والمناطق الصحراوية، كما وجهنا إلى تجنب الأخطار المحتملة من الإسراف في سحب المياه مما قد يترتب عليه سرعة نضوبه.

حرص الإسلام على تشجيع عملية استغلال الأرض البور، وما يتم استصلاحه فيها يكون ملكا لمن قام بهذا العمل، قال ﷺ (من أحيا أرضا ميتة فهي له).

جغرافية السطح والتضاريس

التضاريس الموجبة (الجبال)

اختلاف مظاهر السطح وتنوع التضاريس نعمة من نعم الله تعالى، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[1]، ومنافع الجبال لا يحصيها إلا خالقها وناصبها[2].

يتراكم الثلج على قممها وتنبع منها الأنهار وتسيل، ولولا الجبال لسقط الثلج على السهول وتحول إلى سيول جارفة لا تبقي ولا تذر.

من منافعها كهوفها ومغاراتها وحصونها وقلاعها[3]، وأحجارها ومعادنها على اختلاف أصنافها، ومن منافعها أيضا أنها تحجز الرياح وترد السيول.

قال تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4] جعلها الله تعالى بمثابة أوتاد تثبت الأرض، ورواسي بمنزلة مراسي السفن ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[5]، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[6].

الجبال تسبح بحمد الله باريها وفاطرها وخالقها، وتخشع له وتسجد وتتشقق وتهبط من خشيته عز وجل﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ

---

(١) الغاشية ١٩.
(٢) في حديث إسلام ضمام بن ثعلبة قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: بالذي نصب الجبال وأودع فيها المنافع آلله أمرك؟ قال: نعم.
(٣) يتحصن فيها المجاهدين من أعدائهم.
(٤) النبأ ٦-٧.
(٥) النحل ١٥.
(٦) النازعات ٣٢.

مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١].

منها جبل أحد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحد جبل يحبنا ونحبه)، ومنها جبل الرحمة في عرفات، ومنها جبل حراء الذي فاض منه النور على العالمين.

لو أنزل عليها كلام الله لخشعت وتصدعت من خشية ربها، قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[٢].

تختلف ألوان الجبال باختلاف صخورها وما تحويها من معادن،منها الأحمر، ومنها الأصفر ومنها غير ذلك.

قال تعالى ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[٣].

التضاريس السالبة: (السهول)

(يفسر المعلم الآيات القرآنية بالإستعانة بكتب التفسير)

قال تعالى ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[٤].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٥].

في التجارة والتبادل التجاري

شدد الإسلام على أن تكون عمليتا الشراء والبيع نظيفة لاغبن فيها لأحد الأطراف، وحذر من الغش في الكيل والميزان في مواضع كثيرة من القرآن﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٦]، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[٧]، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[٨].

---

(١) البقرة ٧٤.
(٢) الحشر ٢١.
(٣) فاطر ٢٧.
(٤) نوح ١٩-٢٠.
(٥) الملك ١٥.
(٦) المطففين ١-٣.
(٧) الرحمن ٧-٩.
(٨) الأنعام ١٥٢.

وجاء في الحديث الشريف (خمس بخمس، ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر. وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين).

أكد الإسلام على: ضرورة توافر الأمانة في التاجر، والوفاء بالإلتزامات المترتبة على عملية التبادل التجاري، وعلى سداد الديون المستحقة لأربابها عندما يحل أجلها، واحترام التعهدات بشأن التصدير والاستيراد والمحافظة على المواعيد المتفق عليها كما أكد على السماحة في البيع استنادا إلى حديث الرسول ﷺ (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى). وعلى توفير الأمن والضرب على أيدي المفسدين.

في الجغرافية المناخية: (الضغط الجوي - الرياح - السحب - الأمطار)

في الضغط الجوي: أوضح القرآن هذه الظاهرة جيدا في الآية التالية ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ، وَمَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾(1).

وفي الرياح والمطر ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾(2).

وقد فسرت هذه الآية في ضوء العلم الحديث على أن الرياح لواقح للنبات بعد ما ثبت أن الهواء من أهم وسائل تلقيح النباتات، بل إن هناك قسما كبيرا من النباتات لا يتم تلقيحه إلا بالهواء.

كما فسرت هذه الآية بأن الرياح إنما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء، حيث تولد الرياح الكهرباء بنوعيها في السحب، ويتم تلقيحها بعضها ببعض، فينزل بذلك المطر الذي يسقينا وما نحن له بخازنين (3).

وقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾(4).

وفي سورة الأعراف ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، حَتَّى إِذَا

(1) الأنعام ١٢٥.
(2) الحجر ٢٢.
(3) أنظر عبدالرزاق نوفل - الله والعلم الحديث - دار الشروق
(4) الروم ٤٦.

أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ، كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[2].

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[3] كيف ينشئه سبحانه وتعالى بالرياح فتثيره كسيفا ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض ثم تلقحه الريح، ثم يسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجه إليه، فإذا علاها واستوى عليها هطلت الأمطار بعد أن يرسل سبحانه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يؤذي ويهدم ما ينزل عليه بجملته.

وعنه صلى الله عليه وسلم لما رأى السحاب قال (هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يذكرونه)[4]

في الجغرافيا الفلكية: (نشأة الكون)

تعرض الآيات القرآنية التتابع الزمني في تكوين العالم على النحو التالي:

قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[5]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[6].

يقول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي "الدخان مؤلف من أصل غازي به ذرات دقيقة لها إمكانية الانتماء إلى حالات المادة الجامدة والسائلة " أي أن القرآن الكريم يصرح أن

---

(١) الأعراف ٥٧.
(٢) النور ٤٣.
(٣) البقرة ١٦٤.
(٤) رواه الترمذي - انظر أنس عبدالحميد القوز - تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق ص ١٩٣ - مكتبة دار السلام
(٥) الأنبياء ٣٠.
(٦) فصلت ١١-١٢.

السماء كانت في بدء الخلق دخانا وأن السحب الكونية والسدم أو المجرات خلقت من هذا الغاز وهذا دليل على إعجاز القرآن والسنة المطهرة[1]

الشمس والقمر ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2].

أي أن القرآن يصرح بأن للشمس حركة حقيقية في الوقت الذي كان يسود من قبل حتى أوائل القرن العشرين أن الشمس ثابته، حركتها ظاهرية فقط.

النجوم ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[3].

سبق القرآن العلم في الإشارة إلى أهمية النجوم.

السماء: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ، فَلا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

السماء هي كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها ابتداء من الغلاف الجوي الذي يبلغ ارتفاعه بنحو ثلاثمائة كيلو متر فوق سطح الأرض، ثم يأتي الفراغ الكوني الذي تسبح فيه ملايين الأجرام السماوية.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا، وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5] أي أن السماء كالسقف المرفوع الذي يحفظ الأرض وما عليها من الشهب والنيازك والأشعة الكونية التي لا تستقيم معها الحياة.

تكوين الأرض:

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ

(١) أنظر موريس بوكاي - التوراة والانجيل والقرآن والعلم ص ١٢٩ ١٣١، محمد كامل عبدالصمد ـ الإعجاز العلمي في الإسلام ص ٤٧.
(٢) يس ٣٨-٤٠.
(٣) الواقعة ٧٥-٧٦.
(٤) البقرة ٢٢.
(٥) الأنبياء ٣٢.

أَرْسَاهَا﴾[1]. يقرر القرآن الكريم أن الأرض انفصلت عن الشمس وهي على صورة غازية ملتهبة ثم أخذت تبرد شيئا فشيئا، نتج عن ذلك تجمد السطح الخارجي الذي أخذ يزداد تماسكا.. وفي هذه الفترة كانت الغازات والأبخرة تتصاعد من الأرض لتتساقط عليها على هيئة المطر فكان تكوين الماء.. بعد خلق الأرض ونزول الماء مع المطر وتفجره من الينابيع وجدت التربة الصالحة التي ينمو فيها النبات.

شكل الأرض: (دلائل كرويتها)

(١) ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2] سجلت آلات التصوير في رحلات الأقمار الصناعية أن شكل الأرض الحقيقي مستدير، وهذا ما أثبته العلم بعد نزول القرآن الكريم بمئات السنين.

(٢) ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[3] لو كانت الأرض منبسطة لكان على سطحها مشرق واحد ومغرب واحد.

(٣) ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[4].

(٤) ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5].

توازن الأرض:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿۞﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[6].

وجود الجبال يساعد على التوازن بين المرتفعات والمنخفضات، بحيث لا تميد ولا تضطرب، فهي بمثابة أوتاد تحفظ توازن الخيمة واستقرارها.

تلك حقائق علمية أثبتها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام أو يزيد لم تتضح علميا إلا مؤخرا.

---

(١) النازعات ٣٠-٣٢.
(٢) النازعات ٣٠.
(٣) الرحمن ١٧.
(٤) الزمر ٥.
(٥) يس ٤٠.
(٦) النبأ ٦-٧.

في الجغرافيا الإقتصادية

أهمية التكامل الإقتصادي الإسلامي

يؤكد المعلم على أهمية التكامل الإقتصادي الإسلامي، ويبين أن الأصل في الإسلام التكامل بين جميع الأقاليم في الوطن الإسلامي، فلا تشتكي دولة من فقر، وأخرى لديها فائض بل يحدث الانتقال الفوري من صاحب الفائض إلى من لديه عجز.

قال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه البخاري.

كما أن الأصل في الإسلام هو وحدة الأمة الإسلامية، حيث أنها وطن واحد، وإن قسمت إلى عدة أقاليم، فقد كان يرأس الدولة الإسلامية أمير المؤمنين ويولي على كل إقليم حاكم من قبله مسئول عن الشعب والأرض والمال في إقليمه، يوفر الأمن والأمان، ويطبق شريعة الله كاملة فيقوم بالصرف وسد احتياجات الناس من سائر الاحتياجات، وإذا ما فاض شئ من الأموال يقوم بإرسالها إلى أمير المؤمنين، فتوضع في بيت المال حيث يتم الصرف منها على الأقاليم الأخرى، والتي في حاجة إليها.

وكذلك إذا ما نقص مال إقليم أو حدثت مجاعة لنقص محاصيل الاقليم، كان على الخليفة أن يمد هذا الإقليم بما يحتاجه من أموال أو محاصيل من الأقاليم الأخرى، تطبيقا لما نص عليه الكتاب والسنة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2].

وكان بيت المال في الدولة الإسلامية بمثابة البنك المركزي للدولة الإسلامية، ترد إليه الأموال من سائر الولايات الإسلامية، حيث تحفظ فيه وتصرف منه في شئون الدولة الإسلامية، حيث نظام المشروعات والتحصينات.

وكان التكامل الإقتصادي يشمل جميع عناصر الإنتاج، فلم يكن هناك أية قيود على تنقل المسلمين من بلد إلى آخر من أجل العمل أو التجارة أو الاستثمار، ولم تكن هناك قيود جمركية، بل كانت الأمة الإسلامية رغم اتساعها أمة واحدة.

(١) الأنبياء ٩٢.
(٢) المؤمنون ٥٢.

ولم تكن أحوال المسلمين على ما هي عليه الآن من تشتت وتفرق وتمزق وخلافات وتناقضات في الأموال والعقائد المختلفة والمذاهب.

في النقل و المواصلات:

هيأ الله تعالى للإنسان الأرض للسير عليها، فهناك الطرق والممرات الطبيعية للمواصلات لتسهيل الانتقال والتبادل التجاري بين بلد وبلد آخر وبين منطقة وأخرى.

قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً﴾[2] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[3].

التصور الإيماني للكون

الكون الذي نعيش فيه يشمل الوجود كله الذي خلقه الله تعالى.. السموات والارض وما فيهن خلقه الله سبحانه وأودعه قوانينه التي يعمل ويتحرك بها، وتتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

والإنسان جزء من هذا الكون الواسع الذي خلقه الله وسخره له، وأوجده هو لعمارته وجعله خليفة الله في الارض، لم يخلق عبثا، ولم يترك سدى، وإنما خلق لغاية وحكمة، ولم يخلق ليتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام، وإنما ليعبد الله ويحمل أمانة التكاليف، ويحقق منهج الله تعالى في الأرض، ويدعو إلى صراطه المستقيم.

خلق الله الإنسان لعمارة الأرض بالجد والعمل والسعي وطلب الرزق ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[5].

سخر له الأرض للسير فيها وللزرع والجني والحصاد، وللحياة بما تحويه من هواء

(١) الزخرف ١٠.
(٢) الأنبياء ٣١.
(٣) الأنعام ٩٧.
(٤) يس ٤٠.
(٥) هود ٦١.

وماء وتربة تصلح للزراعة والإنبات ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[1].

جعل الله الأرض ذلولا للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في أثناء حركتها الكبرى، كما جعل لها ضغطا جويا يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر أو تعسر على الإنسان أن يسير ويتنقل، ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان أو لانفجرت تجاويفه لزيادة الضغط.

جعل الله الأرض ذلولا ببسط سطحها، وتكوين هذه التربة اللينه فوق السطح، ولوكانت صخورا صلدة كما يفترض العلم بعد برودتها وتجمدها لتعذر السير فيها، ولتعذر الإنبات، ولكن العوامل الجوية من هواء وأمطار وغيرها هي التي فتتت هذه الصخور، وأنشأ الله بها هذه التربة الصالحة للحياة.

جعل الله الأرض صالحة للحياة بآلاف من الموافقات الضرورية لقيام الحياة، منها حجم الأرض وحجم الشمس والقمر، وبعد الأرض عن الشمس والقمر، ودرجة حرارة الشمس، وسمك قشرة الأرض ودرجة سرعتها، وميل محورها. ونسبة توزيع الماء واليابسة فيها، وكثافة الهواء المحيط بها.. إلخ.

جعل الله الأرض صالحة للحياة بالرزق الذي أودعه تعالى فيها من ثروات زراعية وغابية ونفطية ومعدنية وبحرية ونهرية.. إلخ. وحين يأذن الله للناس في الاستفاده منها يتفضل بتسخيرها لهم وتيسير تناولها، ويمنح البشر القدرة على تناولها والانتفاع بها.[2]

نشأة الكون (في ظل المعطيات القرآنية)

المادة الكونية الأولى:

يلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى الكون، وكيف بدأ الله خلقه فيقول سبحانه وتعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾[3]، ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ، ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

---

(١) الملك: ١٥

(٢) أنظر سيد قطب في ظلال القرآن ص ٣٦٣٧ - ٣٦٤٠ المجلد السادس - دار الشروق.

(٣) العنكبوت ١٩.

(٤) العنكبوت ٢٠.

أوجد الله عز وجل هذا الوجود، وأنشأ كل المخلوقات.

يقول الله عز وجل ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[(١)].

يذكر القرآن الكريم لنا أن الله سبحانه خلق الكون، السماوات والأرض، في دورات ست (أحقاب ومراحل زمنية) من سحابه سديميه صارت مجرات، وكل مجره تشتمل على آلاف الملايين من النجوم والشموس، وحول الشموس كواكب سيارة، وحول الكواكب السيارة توابع وأقمار ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[(٢)].

أي أن الكون مر بطور سديمي قبل أن تشكل عوالمه ومجراته ومجموعاته الشمسية ونجومه وكواكبه.

ويستنتج من الآيات والمعطيات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون في ستة أيام ووضع تصميمه، وأن الكون ليس أزليا. بدأ بإرادة الله وقدرته.. يقول العالم الأمريكي إدوارد لوثركيل " لقد أثبتت البحوث العلمية دون قصد أن لهذا الكون بداية، فأثبتت تلقائيا وجود الإله لأن كل شئ ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته) ولابد أن يحتاج إلى المحرك الأول والخالق.. الله.

للكون الذي نعيش فيه بداية هي الدخان، وللكون خالقا مبدئا هو الله تعالى، ومثل الذي يؤمن بحدوث الكون مع إنكاره لخالق الكون.. كمثل الذي يزعم أن أهرامات مصر الفرعونية قد بنت نفسها بنفسها بدون عمال ولا علماء ولا مهندسين[(٣)]

وللكون الذي نعيش فيه نهاية ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[(٤)] ينفرط فيه.وتختل روابطه

---

(١) فصلت ٩-١٢.
(٢) الأنبياء ٣٣.
(٣) أنظر الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر ـ الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ـ الدار السعودية للنشر.
(٤) الرحمن ٢٦.

وضواغطه وتتناثر أجزاؤه، وكما بدأ دخان تكون نهايته دخان ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[١] وكما بدأه سحابه سديمية من دخان.. يعيده الخالق الأعظم سحابة من دخان مرة أخرى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا﴾[٢].

نهاية الكون

تشير المعطيات القرآنية إلى وقوع دمار كامل تتغير فيه أوضاع الأجرام الكونية، وتتغير صفاتها ونسب المواد التي تتكون منها، تستهلك الشمس جميع ما بها من هيدروجين، وتتصهر بأشعتها صخور الأرض، وتخرج الشمس من مدارها بعد أن تفقد معظم طاقتها ويتقلص حجمها، وتتغلب جاذبية الشمس على جاذبية القمر وتشده إليها وتتحول الأرض إلى دخان من شدة حرارتها البالغة, وتشتعل السماء بنار رهيبة تصحب إنشقاق السماء حتى تستحيل في لونها الأحمر إلى ما يشبه الوردة القانية حيث تذوب المواد الكونية وتتصهر حتى تصبح كالدهن في ذوبانها. يقول تعالى ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[٣].

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[٤]ستصير السماء كالمعادن المذابة، وستتحول النجوم من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة بعد أن تفقد بعض حرارتها.

الجبال التي خلقها الله وجعلها ثابتة كالرواسي شامخة في الجو منغرسة جذورها في صخور السيما التحت قشرية، ستتحول إلى ما يشبه الصوف المنفوش ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[٥].

هذه الجبال ينسفها الله عز وجل ويذريها في الفضاء، بعد أن تتحرك من أماكنها، ويعطل عملها، وتميد الأرض وتضطرب الأرض ويهلك كل شئ على سطحها بعد أن يزول التوازن الأرضي ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[٦] ويقول سبحانه

---

(١) الدخان ١٠.
(٢) الأنبياء: ١٠٤
(٣) المعارج ٨-٩.
(٤) الرحمن ٣٧.
(٥) القارعة ٤-٥.
(٦) طه ١٠٥.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾(١).

عوالم وعوالم.. مجرات ومجرات تطوى طيا كما تطوى رقعة الورق، وتنشق السماء عن جموع من الغمام، والسحب تهبط منها الملائكة، وتتناثر الكواكب وتطمس النجوم ويزال هذا الغطاء المرفوع فوق رؤوسنا ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾(٢) أي تكشط الكواكب التي هي أشبه بالنتوءات الصغيرة البارزة المنغرسة في السماء.

تتفجر البحار وتتحول مياهها إلى الاكسجين والهيدروجين، تتفجر ذراتها فتندفع الحرارة الهائلة وتتحول مياه البحار والمحيطات والانهار إلى نار وجحيم تجف كلها في وقت قصير ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾(٣) أي غاض ماؤها وملئ بالنار.. بدل الماء.

تعريف الحضارة

اختلط مفهوم الحضارة والتبس بكثير من الدعاوى والأباطيل، حتى أطلق على كل ما ناقض الحضارة حضارة، فقيل مثلا للعري وفقدان القيم حضارة؛ وقيل لإختراع المهلكات والمفسدات حضارة.(٤) ولكن البون شاسع والفرق كبير في مفاهيم الحضارة من وجهة النظر المادية، ومن وجهة النظر الإسلامية. لأن الاشراك بالله تعالى، والصاق صفات البشرية، أو تقديس الحيوانات أو الاعتقاد بآلهة البحر والمطر ليست حضارة.

هناك سوء فهم واختلاط في مفاهيم الحضارة. إن ما يطلق عليه بالحضارات البائدة الفرعونية.. الأشورية البابلية.. الإغريقية.. الرومانية.. إلخ لم تكن حضارات حسب المفهوم الإسلامي وكما يريدها الله تعالى.. إنه من الأجدر أن نسميها مدنيات .. وهناك فرق بين المدنية والحضارة فالمدنية Civilization تعني العيش في المدينة (Civis في اللاتينية) ولوازمها من تقنيات وماديات من أجهزة مواصلات وخدمات معقدة، والتي لا ترفع الإنسان ولا تسمو به إلى مستويات الخلق القويم، ولا تعمل على نزع دوافع الشر والحقد.

---

(١) المرسلات ٨-١٠.
(٢) التكوير ١١.
(٣) التكوير ٦.
(٤) د. توفيق يوسف الواعي الحضارة الإسلامية دار الوفاء (وأدين في هذا الفصل إليه في مواضع كثيرة)

الغزو الفكري ومفهوم الحضارة الخاطئ

من المفاهيم الضالة التي أدخلها الغزو الفكري في قلوب أبناء المسلمين ورؤوسهم مفهوم الحضارة، مما جعلهم يتوهمون أنهم تأخروا بسبب إسلامهم، وأن تخلفهم المعيب يرجع إلى تمسكهم بمبادئ دينهم الحنيف.

هذا الوهم جعلهم يبحثون عن الحلول لا في إسلامهم الذي انسلخوا منه وإنما في الحضارة الغربية الزائفة، التي صورت لهم أن الحضارة هي التقدم المادي والعلمي والتكنولوجي والتيسيرات المادية التي تأخذ عن الإنسان ما كان يحمله من جهد، والتي صورت لهم أن الحضارة هي الخبز والوقود والمصانع والآلات والسيارات والقطارات والصواريخ والدبابات والطائرات إلى غير ذلك من مخترعات وتيسيرات مادية تجمعت لهذا الجيل ما لم تتجمع قط لجيل آخر من أجيال البشرية.

أنكرت تلك الحضارة القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية الرفيعة واعتبرته لغو ساقط من الحساب!

هذا المفهوم الخاطئ للتحضر والحضارة دفع أبناء المسلمين إلى الأخذ ببعض أسباب القوة المادية، فغرقوا في الترف الغربي إلى أذقانهم، في صورة بيوت حديثه، وفرش وثيرة، وسيارات وطائرات، وملابس وغيرها، وانسلخوا من إسلامهم ونبذوه، واعتقدوا أنهم بذلك سيخرجون من ذلتهم وهوانهم.

إن الحضارة الغربية تمثل أرقى ما وصل إليه الإنسان من حياة مادية، ولكن ليس بهذا وحده يسعد الإنسان، لقد فجرت الحضارة المادية في النفوس كل ينابيع الألم والحيرة والاضطراب، وقضت بانسلاخها عن قيم الإسلام على كل سلاح يعتصم به الإنسان ضد الخوف والقلق والمصائب، والعدوان.

لقد بدأ الغربيون يدركون إفلاس حضارتهم من الناحيتين الروحية والأخلاقية وبدأ الكثير منهم يتجه نحو الشرق علّه يجد ما يسد فراغه الروحي، ويرده إلى إنسانيته الكريمة.

مفهوم الحضارة في كتب التاريخ المدرسية

طرح بعض المؤلفين مفهوما ماديا للحضارة الإنسانية، وأغفلوا الجانب الروحي،

واثر العوامل الروحية في قيامها، بعد أن انساقوا وراء كتابات المستشرقين الذين فسروا أحداث التاريخ تفسيرا ماديا من خلال النمط الاقتصادي السائد في المجتمع، وهو تفسير له خطورته بسبب غياب الفكرة الإسلامية، ولأنه يتنافى مع عقيدة المسلم، ويهبط بالإنسان إلى درك الحيوان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1].

مفهوم الحضارة من منظور إسلامي

الحضارة هي مجموع الأعمال التي ابتكرها الإنسان، وما حققه من انجازات، مستعينا بالله تعالى في مجالات الفكر والفن والاقتصاد والعمران، وغيرها من أجل خدمة البشرية وسعادتها خلال مراحل التاريخ الإنساني.

لذلك لا تعد الحضارة إلا إذا كانت تكرم الإنسان الذي كرمه الله، وتنزله المنزلة التي أرادها الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[2].

إن الحضارة تقاس بحسب ما تقدمه للإنسان من أمن وأمان وكفاية واطمئنان، وتعاون ومحبة، وبحسب أيضا ما تمنحه للناس من لذة حسية، وقيم تشعرهم بالسعادة والهناء، وإن الحضارة هي لا إله إلا الله، وما يترتب عليها من آثار، وما تولده من قيم.

لذلك فإن التقدم المادي فقط ليس هو الحضارة، وإنما معيار الحضارة هو القرآن الكريم والسنة المطهرة والمجتمع المسلم الملتزم بهما، أي أن المجتمع المسلم الملتزم هو المجتمع المتحضر وليست المجتمعات الوثنية الكافرة، أو الشيوعية الملحدة، أو العلمانية المتقدمة ماديا، والتي تستقي قيمها وعاداتها وتقاليدها بعيدا عن الإسلام.

الحضارة الحقة ليست الآلة أو المصنع، وليست هي التعري والسفور وتقليد الغرب، وعلى ذلك فالحضارة في المنظور الإسلامي لا تهمل الجانب المادي الذي تعمر فيه الأرض، ويقدم فيه الخير للإنسان وللناس ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ

---

(١) محمد ١٢.
(٢) الإسراء ٧٠.

وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

الحضارة الحقة عبارة عن منهج أخلاقي.. منهج هداية.. توجه الإنسان إلى ربه، ولا تنسى الإنسان بخالقه، كما يضبط علائق الناس ببعضهم.. الحضارة هي الحق والعدل والقيم الإنسانية والمثل العليا، لاظلم في المجتمع، ولا استبداد فيه ولا قهر ولا استعباد.[2]

تعريف الحضارة ومدلولاتها

لقد اتسع مفهوم الحضارة، واختلفت التعريفات، وأصبح مدلولها يتسع لما لا يتسع له المعنى اللغوي. المسلم يراها عقيدة وخلقا وسلوكا يوفر السعادة والرفاهية للإنسان، فضلا عن الازدهار الاقتصادي والسبق العمراني والتقدم الصناعي والنظام الإجتماعي والتشريعي.

وغير المسلم يراها في الإباحية المطلقة, السلطة القاهرة، والقوة الباطشة، وغير ذلك.

الحضارة عند فلاسفة الغرب وغير المسلمين

يعتبر كليسكليس واتباعه ونيتشه وأتباعه "أن الحضارة هي القضاء على العدل والأخلاق وترك العنان لطبيعتنا الحرة السافرة لتفعل ما تشاء، ولو أدى ذلك إلى أن نسير على الجماجم في سبيل تحقيق ذلك"، إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء لكي يقيدوا بها سلطان الأقوياء فلنكن حربا على الأخلاق.. يجب أن نترك العنان لطبيعتنا المطلقة.. يجب أن يكون لنا الجسارة فيما به نحيا حياه حرة سافرة في وضوح النهار، إذا ما اقتضى ذلك أن نسير في طريق من الجماجم دون أن يتحرك ضمير بملام، يجب أن نرسل صرخة الحرب دون وجل أو ندم في وجه مصطلحات أخلاق القطيع"[3].

ومن العجب أن لهذا الفكر الشيوعي حضارة ودعاة وجيوش وأساطيل وصحف

---

(١) الجمعة ١٠.
(٢) أنظر محمود شاكر موسوعة التاريخ الإسلامي، توفيق الواعي الحضارة وكتابات د. حسين مؤنس رحمه الله.
(٣) توفيق يوسف الواعي الحضارة الإسلامية نقلا عن أدريه كرش ص ٣٢ المشكلة الأخلاقية والفلاسفة

وإعلام.. يعتبر الدين أفيون الشعوب والجنس كلأ مباح، والشهوة متاع محبب، والشرف كلمة يرددها الرجعيون المتزمتون!!.

الحضارة عند علماء المسلمين

يُعَرِّفُ **أبوالأعلى المودودي** الحضارة فيقول " هي تصور سليم للحياة الدنيا، ونماذج من نظام اجتماعي يقود الإنسان إلى الرقي والإخاء والأمان".

ويقول الشهيد سيد قطب ان الحضارة" هي ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم، ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين.. النمو والترقي للعنصر الإنساني وللقيم الإنسانية وللحياة الإنسانية".

أما محمود شاكر فيرى أن الحضارة لا تعد حضارة إلا إذا كانت تكرم الإنسان وتنزله المنزلة التي أرادها له الله عز وجل. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ..﴾[1].

أما إذا استبدت به الحضارة واستعبدته وأذلته، فهي حينئذ لا تسمى حضارة، لأن من أبرز سمات الحضارة، الصفة الإنسانية، فإذا لم تتسم بالصفة الإنسانية أو إذا زالت عنها، فإنها تصبح تسلطا وإرهابا.

ولهذا فإن الآثار العمرانية الهائلة من أبنية وقصور، وهياكل وأهرامات ومعابد ومسارح، أقامها الإنسان وشيدها بتسخيره لأخيه الإنسان في بنائها وإكراههم على العمل فيها ليل نهار، والسيف مصلت على رؤوسهم والسوط على أظهرهم، ليست حضارة، لأنها قامت على الظلم والاستبداد، ولم تقم لخدمة الناس وسعادتهم.

هذا الفريق ينظر إلى الحضارة على أنها مجموع الأعمال التي ابتكرها الإنسان، وما حققه من انجازات في مجالات الفكر والفن والعمران، لخدمة البشرية وسعادتها خلال مراحل التاريخ.

ينظرون إلى الحضارة على أنها تصورات ومفاهيم وقيم تصلح لقيادة الإنسانية وسعادة البشرية، وتسمح بالنمو والترقي.

(١) الإسراء ٧٠.

الحضارة ليست حدائق غناء،وأرائك مبثوثة، وفرش مبسوطة، وعمارات شاهقه ومخترعات عجيبة، وأجهزة معقدة إلا إذا كانت مصحوبة بسياج واقي من القيم، ونور كاشف من التصورات والمبادئ الفاضلة، وقد يكون هذا التقدم الصناعي والعمراني أثار من آثار حضارة الإنسان صاحب القيم وحينئذ تؤتي أكلها، وتعطي ثمارها شهد يكون فيه سعادة للناس وشفاء لما في الصدور.(١)

ويرى هذا الفريق من علماء المسلمين أن الحضارة إذا أفقدت الإنسان اطمئنانه واستقراره ومثله الإنسانية الرفيعة، وجعلت الرفاه المادي هو المثل الأعلى الذي تستحث الخطى نحوه، فلا تكون حضارة لأن الحضارة تقاس بحساب ما تقدمه للإنسان من أمان واطمئنان وكفاية، وتفاهم وتعاون ومحبه، وما تمنحهم من قيم تشعرهم بالأمان.

المدلول الإصطلاحي للحضارة

تطلق الحضارة اصطلاحا على كل ما ينشئه الإنسان عقلا وخلقا، مادة وروحا، ودينا ودنيا، وهي في إطلاقها وعمومها قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وعلومه، وهي نظير المدنية التي هي في الأصل سكنى المدن والتي تقابل الكلمة الأوربية Civilization، والحضارة بهذا المعنى أهم من الثقافة التي تطلق على الجانب الروحي أوالفكري من الحضارة، بينما تشمل الحضارة الجانبين الروحي والمادي أو الفكري والصناعي.(٢)

ويعرف أبو الحسن الندوي الحضارة بأنها في معناها الواسع هي مجموع عقائد ومناهج فكرية وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية وعمرانية واجتماعية وتجارب خاصة مرت بها الشعوب.(٣)

الإسلام والحضارة

للإسلام نظرة حضارية متميزة تقوم على القيم والخصائص الإنسانية العليا التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، إنسانية الإنسان هي قيمته العليا في الحياة، ويجب أن

(١) المصدر السابق.
(٢) عمر عودة الخطيب - لمحات في الثقافة الإسلامية - مؤسسة الرسالة نقلا عن د. محمد محمد حسين - الإسلام والحضارة الغربية.
(٣) أبو الحسن الندوي - مواقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية.

تكون موضع تكريم واحترام، وعقيدته هي ميزانه وقوته الدافعة، وقانونه في نفسه ومجتمعه يجب أن تكون موضع النظر والاعتبار، وتصرفه في المادة التي هي من نعم الله يجب أن تكون فيما أمر الله أي على شكل يحقق الفائدة والنفع والهداية.

والإنتاج المادي من مقومات الخلافة في الأرض سخره الله لنا وأمرنا أن نسير في الأرض لتحصيله والاستفادة منه.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1]، ولكن المسلم لا يعتبر هذا غايته، ولا يتصوره القيمه العليا التي تستعبد الإنسان وتهدر كرامته وتجعله خاضعا ذليلا، ولا تبدد خلقه، وتحرمه من القيم العليا والفضائل الحسنة، وإلا انقلب الإنسان إلى شئ آخر غير الإنسان، قد ينقلب إلى حيوان، وقد يكون أشر منه وأضل ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[2]، ﴿إِن هُم إِلا كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ﴾[3]

في الحضارة المادية الحديثة يكون الإنتاج المادي هو القيمة العليا التي تهدر في سبيلها كل القيم والخصائص الإنسانية العليا.. هذا المجتمع لا يصح أن يطلق عليه أنه مجتمع متحضر، بل هو متخلف وفي أدنى صور التخلف.

وقد أشار القرآن الكريم على أمثال هذه المجتمعات الخاوية التي حصرت نفسها في القيم المادية، وعبثت بالعقائد والقيم والأخلاق، فكان ذلك وبالا عليها وعلى الإنسانية.

﴿أَتَبنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُم تَخلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشتُم بَطَشتُم جَبَّارِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ فَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّي أَخَافُ عَلَيكُم عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾[4]

﴿أَفَلَم يَسِيرُوا فِي الأَرضِ فَيَنظُرُوا كَيفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، كَانُوا أَكثَرَ مِنهُم وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرضِ فَمَا أَغنَى عَنهُم مَا كَانُوا يَكسِبُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِنَ العِلمِ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَستَهزِءُونَ ۞ فَلَمَّا رَأَوا بَأسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحدَهُ وَكَفَرنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشرِكِينَ ۞ فَلَم يَكُ يَنفَعُهُم إِيمَانُهُم

(١) الأعراف ٣٢.
(٢) محمد ١٢.
(٣) الفرقان ٤٤.
(٤) الشعراء ١٢٨-١٣٦.

لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا، سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

لذلك لا بد من قيم تحرس المادة وتهيمن عليها، حتى تسمى حضارة وتسلم من عبث العابثين.[2]

يقول المفكر الإسلامي محمد قطب "لقد كان فهم الأجيال الأولى من المسلمين للحضارة مستمدًا من روح الإسلام، ومتفردا ككل شئ في هذا الدين.. فإذا كانت جاهليات معاصرة لمولد الإسلام وسابقة له ولاحقه قد ركزت على المعنى الروحي للحضارة، وأهملت الحياة الدنيا، وأهملت العمارة المادية للأرض، بوصفها أمورا ألصق بالحس، وأقرب إلى متاع الجسد، والجسد ملعون ومحتقر ومستقذر... وإذا كانت جاهليات أخرى قد ركزت على الجانب المادي للحضارة وأهملت الأخرة. وأهملت عالم الحضارة، وأكبت على عالم الحس وعالم المادة، تبدع فيهما كل عبقريتها، وتصب فيها كل طاقتها، بصرف النظر عن القيم والمثل والمبادئ.

فإن الإسلام المنزل من عند الله اللطيف الخبير خالق الإنسان والعليم بأحواله وحاجاته، وما يصلحه وما يصلح له هو المنهج الشامل الكامل، الذي لا يهمل جانبا من جوانب الإنسان، ولا يلبي جانبا منه على حساب جانب آخر والذي يستجيب للفطرة السوية كما خلقها الله:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3].

هذا التكوين الإنساني المترابط، الذي لا تنفصل فيه قبضة الطين عن نفخة الروح، ولا نفخة الروح عن قبضة الطين له مفهوم شامل لعالم الجسد وعالم الروح ينبغي أن يكون له واقع حيوي يتسم بذات الشمول والترابط المتمثل في تكوين الإنسان.

المفهوم الإسلامي للحضارة هو مفهوم العبادة

حدد الله تعالى غاية الوجود الإنساني في قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ

(1) غافر ٨٢-٨٥.
(2) المصدر السابق.
(3) ص ٧١-٧٢.

﴿لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وتحقيق غاية الوجود الإنساني هو الذي تنشأ عنه الحضارة في الواقع البشري، وهو المعيار الذي تقوم به صعودا أو هبوطا واستقامة أو انحرافا.

وحين تختلف النظرة إلى غاية الوجود الإنساني تختلف النظرة إلى الحضارة، فحين تكون غاية الوجود الإنساني هي الإستمتاع بما في الأرض من متاع، بصرف النظر عن القيم المصاحبة لهذا المتاع من حلال وحرام، وخير وشر، وفضيلة ورذيلة، ورفعة وانتكاس تكون الحضارة هي العمارة المادية للأرض، وهي تيسير الحياة الأرضية وتزيينها والانكباب على لذائذها، وتكون في الوقت ذاته هي محاولة التغلب على الأخرين للإستئثار بأكبر قدر من المتاع ومحاولة إخضاعهم بالقوة والقهر، سواء بالقوة المادية أو القوة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية او العلمية أو كلها جميعا.

أما حين تكون الغاية هي عبادة الله بالمفهوم الواسع الشامل للعبادة يكون مفهوم الحضارة هو مدى تحقيق الإنسان للغاية من وجوده، ومدى تفوقه أو تخلفه في تحقيق هذا الوجود.

إن ما تنتجه الجاهليات من منجزات مادية أو عقلية (أوروحية أحيانا) ليس حضارة حقيقية، وإن بدا رائعًا وضخمًا أحيانًا، وإن بهر أعيننا لأول وهلة لأنه لا يحقق غاية الوجود الإنساني.

إن تحقيق الجانب الروحي للإنسان وحده على حساب الجانب الروحي والمادي، وفي عزلة عنه لا يحقق غاية الوجود الإنساني كاملة، كما بينها المنهج الرباني، وإن تحقيق الجانب الحسي والمادي من الإنسان والحياة البشرية على حساب الجانب الروحي وفي عزلة عنه لا يحقق كذلك غاية الوجود الإنساني بل يتجه إلى الدمار والبوار.

ومن ثم فكلاهما لا يشكل حضارة بالمفهوم الصحيح للحضارة.

كما أن اجتماع الجانبين معا على غير قاعدة صحيحه كما حدث في الجاهلية الفرعونية التي شملت عالم المادة وعالم الروح، ولكن على قاعدة تأليه الفرعون والعبودية له من دون الله، لا يشكل كذلك حضارة بالمفهوم الصحيح.

---

(١) الذاريات ٥٦.

كيف نقيم الحضارة الصحيحة؟

إن الحضارة الصحيحة هي التحقيق السوي لغاية الوجود الإنساني في الأرض، التي حددها قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وفسرها قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ﴾[2] وهذا يعني:

(١) إقامة الصلاة والنسك بالمدلول والمقتضى الحقيقي لهما.

(٢) إقامة شريعة الله في الارض والحكم بما أنزل الله.

(٣) إقامة العدل الرباني في الأرض كما أراده الله أن يكون وأخرج هذه الأمة لتقيمه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للـهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[3].

(٤) إقامة الحياة كلها على قاعدة أخلاقية مدارها تقوى الله وخشيته، فتكون السياسة ذات أخلاق يحكم فيها ولي الأمر بشريعة الله، وتلتزم فيها الأمة بالسمع والطاعة فيما يأمر به موافقا لشريعة الله، ويكون الاقتصاد قائما على الالتزام بما أحل الله وتحريم ما حرم الله من ربا واحتكار وغش وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك.

(٥) إقامة فنون نظيفة، تلتفت إلى الجمال في الكون وفي الحياة البشرية، ولا تزين الفاحشة والإنحراف والشذوذ ولاتزين عبادة الشيطان وعبادة الهوى والشهوات.

(٦) عمارة الأرض باستخلاص طاقات السموات والأرض وتسخيرها لخير الإنسان ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[4].

وهذا الجانب من العمارة المادية يحتاج إلى كدح ذهني وعضلي لتحقيقه، ويحتاج إلى علم ومعرفة بخواص المادة وسنن الله تعالى التي يجري بها هذا الكون، ثم استخدام هذه المعرفة في المجال التطبيقي لها في الفيزياء والكيمياء والطب والهندسة وسائر العلوم وفق المنهج الرباني.

---

(١) الذاريات ٥٦.
(٢) الأنعام ١٦٢-١٦٣.
(٣) النساء ١٣٥.
(٤) هود ٦١.

المنهج الإسلامي والحضارة المادية

الحضارة الصحيحة ليست هي هذا التوسع في الاختراعات والفنون والصنائع والآلات الفتاكة المدمرة، وإنما هي قبل كل شئ أخلاق فاضلة تثمر ائتلاف الأفراد واتحاد الجماعات، وهي سيرة تكسب المتمدن صحة في الجسم والعقل، وسعادة في الدنيا وفي الآخرة، وسعي وعمل يلدان عمران البلاد وارتقاء الحالة الإجتماعية، وإقدام على تطهير النفس من الرذائل لاكتساب الفضائل واحجام من الضرر بالناس وابتعاد عن مناكر الأخلاق، وبذل لتخفيف ويلات البائس وتشييد صروح المدارس[1].

يقول **الإمام محمد عبده في** كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ١٥٦-١٥٧:

[لم يكن الغرب الصليبي هو أول من عمر الأرض.. والمسلمون هم مهبط المدنية وينبوعها وذلك منذ ان انتشر الإنسان في أجزاء الارض، ومنذ أنزلت الكتب السماوية التي بينت حقوق الأفراد والمجتمعات، وهذبت الأخلاق وأرشدتها إلى تشييد الممالك وتعمير المسالك وتحسين الأحوال، وبعد أن تبني العرب المسلمون ثقافة اليونان وأدخلوها في مدنيتهم وفي إسهاماتهم التي ما لبثت أن نقلت إلى الغرب لتنقله إلى نور العلم والعرفان والعمل التقني.][2]

إن مبادئ الإسلام الحقيقية مكنت العرب من بناء أعظم المدنيات في التاريخ، وجعلتهم هداة البشرية، وهداة الغرب بصفة خاصة.

ويؤكد أحد مفكري الإسلام أن الإسلام دين الحضارة، وأنه ناموسا عاما للسعادتين، وضامنا لراحة الحياتين، فهو دين يرافق العقل جنبا إلى جنب ويمشي مع المدنية في طريق واحده، ويصافح الإنسانية بيديه، نهض بالإنسانية، وأقام بناءها على أساس من العدل والمساواة والأخلاق والتربية والسياسة المثلى، مما يصلح لكل زمان ومكان وكل أمه، ولقد خلص هذا الدين الإنسانية من عقيدة الشرك وفساد الأخلاق.

كما يؤكد أن أوربا تدين برقيها وتمدنها لما اكتسبته من تآليف علماء الإسلام وآرائهم التي اقتبسها الأوربيون بعد الحرب الصليبية فأفادوا مما فيها من علوم وفنون واكتشافات وتجارب أصلحوا بعض ما فيها من الخطأ وطوروها.

---

(١) فهمي جدعان ص ٤٠٤ نقلا عن مصطفى الغلاييني - عظة الناشئين - المكتبة الأهلية بيروت ص ٧٧-٧٨.
(٢) نفس المصدر.

ويؤكد **الشهيد سيد قطب**[1] على أن المنهج الإسلامي لا يرفض الحضارة الصناعية ولا يتنكر لها، فهي وليدة العلم التجريبي، هذا الاتجاه الذي انتقل إلى أوربا عن طريق جامعات المشرق وعلمهن والذي هو أصلا وليد نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والحياة، وأن المنهج الإسلامي لا يرفض الأساس العلمي التجريبي لهذه الحضارة، وإنما يرفض المذهب المادي الذي يجعل المادة هي الوجود ولا شئ غير المادة، ويرفض النظرة الحيوانية للإنسان التي أطلقها "دارون" والنظرة القذرة إلى دوافع الإنسان، وحصرها في وحل الجنس كما فعل "فرويد"، وكذلك الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تهدر قيمة الإنسان، وتقضي على إنسانية الإنسان وعلى خصائصه العامة والفردية.

والإسلام هو النظام الوحيد الذي يستجيب لنداء الفطرة الإنسانية، وتحقيق ذلك مرهون بحتمية ميلاد المجتمع الإسلامي الذي هو ضرورة إنسانية وحتمية فطرية وطريقة طويلة وشاقة ومليئة بالأشواك.

ويقول المفكر العراقي **عبدالرحمن البزاز** في نظراته التربوية (نظرات في التربية والإجتماع والقومية): "إن داء العالم الإسلامي وبليته الكبرى هي فقدان الوازع الوجداني، وتحطم المثل الروحية وغلبة المصالح أو الشهوات المادية، وليس في هذا الكون علاج يربي وجدان الفرد وينمي ضمير الجماعة ويرفع من شأن المثل المعنوية ويحد من شهوات الأفراد كالإسلام".

يقول "**مالك بن نبي**" وهو من أبرز مفكري العرب المسلمين الذين عنوا بالفكر والحضارة: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أوتهدمها".

ويتساءل **فهمي جدعان** فيقول: ما هي بالضبط المشكله التي تبحث عن حل؟ إنها مشكلة المجتمع الإسلامي الذي ظل دهرا طويلا خارج التاريخ يشكو المرض ولا يجد الدواء المناسب.. ينشد النهضة وهو مصاب بكساح عقلي واجتماعي لا يبرأ منه.. لقد رأى جمال الدين الأفغاني أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية، بينما رأى الشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والتربية والوعظ.. واقترح آخرون تشخيصات وعلاجات لا يتناول معظمها المرض وإنما يتناول أعراض المرض فنتج عن

(١) نقلا عن الإسلام ومشكلات الحضارة ص ١٨٧، أنظر أيضا - سيد قطب - هذا الدين ومعالم في الطريق.

هذا كله أن أكثر من نصف قرن قد مضى والاطباء يعالجون الأعراض لا المرض.

ومن ثم دخل العالم الإسلامي إلى صيدلية الحضارة الغربية طالبا الشفاء، فهو يتعاطى هنا حبة ضد الجهل ويأخذ هناك قرصا ضد الاستعمار. او يبنى هنا مدرسة.. وينشئ هناك مصنعا.. وهكذا.

أما المرض الحقيقي فلا أحد يعرفه وكل دواء بالتالي عقيم. ولهذا لا نلمح في أي مكان شبح البرء كما أننا لا نجد أمامنا حضارة أيه حضارة، والسبب واضح وهو:

أن مقياس الحضارة قد قلب رأسا على عقب، فإن الذي يكرس منتجات الحضارة لا يصنع حضارة، إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها.. وإنه لمن السخف أن ننشئ حضارة بشراء منتجات حضارات أخرى وتكديسها.

إن أية حضارة لا يمكن أن تبيع جملة واحدة، الأشياء التي تنتجها ومشتملات هذه الأشياء.. لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها وكافة المعاني التي لا تلمسها الأنامل والتي بدونها تكون كل الاشياء التي تؤخذ فارغةمن كل معنىوهدف.

ولما كانت الحضارة هي مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فإنها حين شراء منتجاتها تمنح المشتري الهيكل والجسد لا الروح، وهي ممتنعة كما، لأنه يبدو أنه من غير الممكن شراء كل اشياء الحضارة، وحتى لو تم ذلك فإن الحاصل هو حضارة شيئية، ويؤدي ذلك إلى حالة حضارة ولكن يظل الفرق كبيرا بينها وبين الحضارة الحقيقية التي تقوم على تجربة مخططة منبثقة من الواقع الإجتماعي[1].

إن مالك بن نبي يرى أن أية محاولة لإعادة بناء الحضارة الإسلامية ينبغي أن تستند إلى وعي كامل بتاريخ هذه الحضارة وبالمراحل التي مرت بها أو انتهت إليها.

شاهد على الحضارة الغربية [2]

يقول على عزت بيجوفيتش[3]

---

(١) أسس التقدم فهمي جدعان ص ٤١٦-٤١٨

(٢) عزت بيجوفيتش الإسلام بين الشرق والغرب مؤسسة بافاريا. الفصل الثاني (الثقافة والحضارة)

(٣) كاتب ومفكر إسلامي معاصر رئيس جمهورية البوسنة والهرسك وهو عالم وفيلسوف وأديب يقف أمام العالم بأسره في محنة بلاده الحالية المريرة التي ذاق فيها محنة الغرب وخذلان الشرق.. نشأ في قلب نظام شيوعي مستبد ولكنه لم يستسلم له، بل ظل معتزا بإسلامه مناضلا صلبا.. ولد عام ١٩٢٥ من أسرمسلمة

الحضارة الغربية هي استمرار للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، التبادل المادي بين الإنسان والطبيعة، هذا الجانب من الحياة يختلف عن الحيوان فقط في الدرجة والمستوى والتنظيم. ووظيفة الإنسان هنا أن يتعامل مع سلع الطبيعة ويغير العالم بعمله وفقا لاحتياجاته.

الحضارة الغربية هي استمرار للتقدم التقني لا الروحي، والتطور الدارويني هو استمرار للتقدم البيولوجي لا للتقدم الإنساني.

الحضارة الغربية تعزز التبادل المادي بين الإنسان وبين الطبيعة، وتغري الإنسان بالحياة البرانية على حساب الحياة الجوانية "إنتج لتربح واربح لتبدد".

وفقا لكلام العالم الأمريكي "جوليس روبرت أوبنهيمر" مخترع القنبلة الهيدروجينية، فإن الجنس البشري قد حقق تقدما تكنولوجيا وماديا في الأربعين سنة الماضية أكثر مما حققه خلال الأربعين قرنا الماضية.. وإن اليوم الذي ستقوم به الكابلات الكهربائية تحت الأرض بتسيير السيارات الكهربائية على الطريق قريب، وأن المسافات المتاحة للإنسان قد زادت من ($١٠^{١٠}$ إلى $١٠^{٤٠}$)، وفي مدى ٣٠ سنة قادمة سوف تستبدل تماما المحركات ذات المكبس القديم بسفن تديرها الطاقة النووية.

أما جان روستاند Jean Rastand Humanly Pssible A Biologists Notes of Future فقد بحث تطور الإمكانات السحرية للبيولوجيا، حيث ذهب إلى أنه باستخدام مواد وراثية من أناس بالغي الذكاء سيتمكن الجنس البشري من تشكيل نفسه.

ويقول عزت:

وتكشف الإحصاءات أنه في سنة ١٩٦٥ كان هناك ٦٩ مليون سيارة و٦٠ مليون

بوسنية عريقة بمدينة كروبا في البوسنة والهرسك، تعلم في مدارس سرايفوا والتحق بجامعاتها وحصل على درجة في القانون والآداب والعلوم.. حكم عليه بالسجن عام ١٩٤٩ في عهد تيتو خمس سنوات مع الأشغال الشاقة لعلاقته بمنظمة الشبان المسلمين التي تأسست من علماء بوسنيين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف بالقاهرة، وتأثروا بالحركة الإسلامية في مصر فنقلوها.
ألف كتابان هما "الإعلان الإسلامي" و"الإسلام بين الشرق والغرب" في السبعينات وأوائل الثمانينات.
واجه مع شعبه أعتى مذبحة في التاريخ الحديث بعد أن تخلى عنهم العالم بمسيحييه القادرين ومسلمية الخائنين أو العاجزين.
حكم عليه عام ١٩٨٣ في محكمة سرايفو مع أحد عشر آخرين من مثقفي البوسنة - من بينهم شاعره - بالسجن أربعة عشر عام بتهمة الإنحراف إلى الأصولية.

جهاز تليفزيون و ٧,٧ مليون قارب ويخت في الولايات المتحدة، وأن خمس السلع الشخصية في الولايات المتحدة هي مواد للرفاهية، وقد حسب أحدهم فوجد أن الدول الغنية تنفق ١٥ بليون دولار في السنة على مواد الزينة وحدها، ويعتبر مستوى المعيشة أعلى خمس مرات مما كان عليه سنة ١٨٠٠م. وفي الستين سنة القادمة سيكون أعلى خمس مرات مما هو عليه الآن... ثم يضيف قائلا:

بعد هذه الرؤية المتفائلة، من حقنا أن نتساءل: هل يعني هذا أن الحياة ستكون أغنى خمس مرات وأنها ستكون أسعد وأكثر إنسانية؟.. إن الإجابة على هذا السؤال تبدو واضحة.

(١) في الولايات المتحدة وهي أغنى دولة في العالم وقعت خمسة ملايين جريمة سنة ١٩٦٥، وتحدث جريمة كل ١٢ ثانية، وجريمة قتل بالذات كل ساعة، وجريمة اغتصاب للعرض كل ٢٥ دقيقة، وجريمة سرقة كل خمس دقائق، وسرقة سيارة كل دقيقة.

(٢) في ألمانيا زادت جرائم القتل خلال ١٣ سنة ثلاث مرات، ففي سنة ١٩٦٦ سجل مليونا جريمة زادت في سنة ١٩٧٠ ٤١٣,٠٠٠ جريمة، وزادت نسبة جرائم القتل العمد ٣٥٪ خلال السنوات العشر الأخيرة، وزادت نسبة جرائم العنف في اسكتلندا في المدة نفسها ١٠٠٪.[١]

لقد اعترف علماء الجريمة في أمريكا بأن كوكبنا هذا هو محيط من الجانحين، فالناس جميعا، بشكل أو بآخر، لديهم نزعة للجنوح، وأنه لا يوجد أمامنا مخرج من هذه الكارثة.

وفي تقرير للأمم المتحدة تحت عنوان "الوضع في العالم سنة ١٩٧٧" كشف عن بعض الحقائق في دولة صناعية لم يصرح باسمها: أن عدد المراهقين الذين تعامل معهم البوليس قد ازداد من مليون واحد سنة ١٩٥٥ إلى ٢,٤ مليون سنة ١٩٦٥[٢]

وذكر سكرتير عام الأمم المتحدة في تقرير له: " أن بعض الدول الأكثر تقدما لديها مشكلات خطيرة في مجال الجنوح.. فبرغم التقدم المادي لم تكن الحياة الإنسانية أقل أمنا

---

(١) مستقاه من Yearly Report Of FBI

(٢) الأمم المتحدة U.N.Report: The situation of the world in 1970 Paris Unesco.

مما هي عليه اليوم، وأن مختلف الأشكال من الجرائم من سرقة وغش وفساد وجرائم منظمة، تمثل ثمنا عاليا يدفعه الإنسان من أجل وسائل الحياة العصرية والتقدم"[١]

وأظهر البحث الذي قام به عالم الطب النفسي السوفيتي هداكوف Sydia Hodakov توسعا مخيفا في تعاطي الخمور، خصوصا في الدول المتحضرة بعد الحرب العالمية الثانية، وهناك توسعا أشد في تعاطي الخمور بين النساء والشباب، وأن الأمر ينتهي بهم عادة في مستشفى الأمراض العقلية.

لقد أصبحت مشكلة إدمان الكحول في هذا القرن مشكلة الأغنياء ومن أي شئ يهربون؟ لقد اعتدنا من الماضي أن نربط بين الإدمان والفقر والتخلف، وكان عندنا أمل في مستقبل أفضل. ولكن المأزق الآن مأزق شامل.

أما الغزو البشع للأدب الإباحي، فأكثر الدول تقدما مثل فرنسا والدانمرك وألمانيا الغربية تحتل المركز الأول في هذا المجال حيث تمثل الأفلام الإباحية أكثر من نصف مجموع الأفلام السينمائية.. في باريس وحدها يوجد ٢٥٠دار للسينما مخصصه لعرض هذا اللون من الأفلام، وقد حاول الطبيب النفسي الشهير البروفسر "بلانشارد" أن يفسر هذه الظاهرة فقال:

"إن الأيدلوجية المسيطرة تكبت الشخصية أكثر وأكثر، فهي توجه الإنسان لحياة آلية وفقا لخطة (نوم - قطار - عمل) وهي خطة تمنح مستوى معينا من المعيشة، ولكنها تحرم الإنسان من الخبرة والإثارة الحقيقتين، كل شئ مجهز سابقا، حتى الاجازات منظمة ومخططة، ولهذا السبب يحتاج معظم الناس غريزيا إلى الهرب من أنفسهم ليجربوا أنواعا من الإثارة الرخيصة. وتجد هذه الحاجة إشباعها في الأفلام الإباحية"

حتى ألعاب الحظ تتلائم مع تقدمهم في الحضارة، وهذه أيضا تتبع الاتجاه العام للرذائل مع إدمان الكحول والإباحية، والأدب الرخيص الهابط.

في كلية هنتر بنيويورك أكثر من نصف الطلاب يتعاطى الحشيش،وهو الخطوة الأولى نحو المخدرات الثقيلة.

وبعد الحرب العالمية الثانية، وفي هذه الدولة نفسها ذات الثراء والرخاء ظهر جيل

(١) سكرتير عام الأمم المتحدة. U.N. Prevention and fighting against criminality.

يائس من الشباب يملك كل شئ ولكنه يعوزه كل شئ أولئك هم " الوجوديون" أو ما يسمون " بالجيل المهزوم" الذين يبشرون بفلسفة "العبث" وهو جيل من القصر المعرضين للإنحراف "والهيبز" الذين يتجاهلون الواقع ويسخرون من النظام والقواعد، وتنتشر أساليب سلوكهم وأفكارهم كما ينتشر الطاعون في المدن الكبرى في أنحاء العالم.

إنه لمن الخطأ الشديد أن نظن أن ثورة الشباب سنة ١٩٦٨ في أمريكا وفرنسا كانت ثورة سياسية أو أيدلوجية عقدية، فالذي حدث على الحقيقة ثورة أخلاقية ضد بعض مظاهر الحضارة، وصفها البعض بأنها ثورة بلاسبب كما قال مالرو malraux ثورة الشباب اللاعقلانية، وقال عنها أرثر ميلر إنها نتاج التكنولوجيا التي دمرت الإنسان كقيمة في ذاته.. وباختصار لقد اندثرت الروح وتلاشت، امتصتها العملية التقنية من الآخرين، فلم تبق لأحد منهم، إلا أن يكون زبونا لبائع أو عاملا تحت إمرة مدير، أو فقيرا أمام غني وبالعكس باختصار كعناصر يتلاعب بها بشكل أو بآخر،وليست كشخصيات ذات قيمة".

كيف يمكن تفسير حقيقة أن عدد حالات الانتحار والأمراض النفسية تتناسب طرديا مع مستوى الحضارة؟

في الولايات المتحدة، هناك أربعة أشخاص من كل ألف شخص نزلاء في مستشفيات الأمراض العقلية، وهناك واحدا من كل خمسة أمريكيين طبقاً لتقرير رسمي لسلطات الصحة العامة الأمريكية سنة ١٩٧٨ عانى من انهيار عصبي أو كان على حافته.

في السويد تزداد حالات الانتحار وإدمان المخدرات والأمراض العقلية،مما يجعلها تنفرد بالرقم القياسي في الوقت الذي تقف فيه على رأس العالم من حيث الدخل القومي والضمان الاجتماعي.

الجامعات البريطانية أكثر ست مرات عن المتوسط القومي، بينما عدد حالات الانتحار في جامعة " كمبريدج" بالذات أكبر عشر مرات من عدد حالات الانتحار بين الشباب البريطاني في السن نفسه، وهي حالة تستدعي القلق حيث أن جميع الطلبة البريطانيين إما أنهم جاءوا من أسر ثرية أو على منح دراسية من الحكومة.

وما قيل عن الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا والسويد ينطبق على اليابان التي

تقع على الجانب الآخر من الكرة الأرضية، مع بعض التعديلات الناجمة عن تماسك الثقافة اليابانية التقليدية، وقوة الأسرة اليابانية.

في عام ١٩٧١م انتحر ياسوناري كوباتا Yasanari Kawabata الحائز على جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٦٨، وقبل ذلك بسنتين في سنة ١٩٦٩ انتحر روائي ياباني كبير آخر هو "يوكيوميشيا" أنهى حياته بالطريقة نفسها.

لقد تزامنت المأساة المتواصلة للثقافة اليابانية التقليديةي خلال سبعين عاما مع اختراق الحضارة الغربية والأفكار المادية.

كتب كواباتا قبل انتحاره بعام يقول " لقد انفصل الناس بعضهم عن بعض بجدران من المسلح سدت الطريق أمام التواصل والحب،وهزمت الطبيعة باسم التقدم".

إن جميع ممثلي الثقافة يعتقدون بفشل الإنسان وهزيمته في الحضارة.

ويتساءل " أندريه مالرو"عن مصير آمال وتطلعات القرن التاسع عشر ويجيب "إنها أوزبا التي دمرت ولطختها الدماء، هي التي دمرت الإنسان ولطخته بالدماء وهي تظن أنها تخلقه.[١]

وصوره مماثلة يراها "بول فاليري"[٢] Paul Valiry بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة حيث يقول: هناك أمل يحتضر في ثقافة أوربية وفي معرفة لم تستطع أن تنقذ أي شيئ، وهناك علم مطعون حتى الموت في طموحاته الأخلاقية، وقد دنسته تطبيقاته الوحشية، والمثالية التي شقت طريقها يوما بين الصعاب نراها اليوم تتعذب أشد العذاب، وهي تسأل عن أحلامها المحلقة وواقعية هجرتها لأوهام مضروبة مطحونة محملة بالجرائم والخطايا المشهورة وإنكار الذات، كلاهما اصبح موضع سخرية، وارتبكت الأديان الصليب ضد الصليب والهلال ضد الهلال، هناك بعض الشكاكين اختلط عليهم الأمر بسبب هذه الأهوال، والأحداث بالغة السرعة، بالغة العنف، التي تسبب عاهات مستديمة لا يمحى أثرها، أحداث تلعب بأفكار كما تلعب الهرة بالفأر..

---

(١) من خطاب لأندريه مالرو سنة ١٩٦٤ في اليونسكو.

(٢) بول فاليري Paul Valiery: Collected work, ed Jakson Mathew vol. 10 camus L, home revalte

العدمية وفلسفة العبث

هما ثمرة أكثر بلاد العالم ثراء وتقدما.. هذه الفلسفة تتحدث عن عالم لا منطق، عن فرد منقسم على نفسه سيكلوجيا ومحطم، عن عالم أصم أبكم صامت.. إنها ليست فلسفة سامة على الإطلاق.. هي في الحقيقة فلسفة عميقة قادرة على التنوير.. إنها تعبير عن مقاومة الإنسان عن عدم رضاه عن العالم الذي ينمو بعكس الصورة التي أرادها لنفسه.. إنها تمرد على الحضارة ذات البعد الواحد.[1]

إن إخفاق الحضارة البين في سعيها لحل مشكلة السعادة الإنسانية بواسطة العلم والقوة والثروة إذا فهم وتم الاعتراف به، سيكون له أقوى أثر نفسي على الجنس البشري.

ومادامت الحضارة عاجزة عن حل مشكلة السعادة الإنسانية فلا بد أن تكون فكرة الدين هي الفكرة الصحيحة.

إن المادية ترفض الغائية أي أن للعالم غاية عليا، إن العدمية خيبة أمل بسبب غياب الخير من العالم، فكل شئ تافه وعدم، إذا كان الإنسان يموت إلى الأبد، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[2].

ينهي (بيجوفيتش) نقده للحضارة قائلا:

هذا النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها، فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا في ذلك، إنما الشئ الوحيد الضروري، والممكن هو تحطيم الأسطورة التي تحيط بها فإن تحطيم هذه الأسطورة سيؤدي إلى مزيد من أنسنة هذا العالم.

نكبة الحضارة الغربية

كانت فرنسا قبل دخول الجزائر تستورد القمح من الجزائر، وكانت جيوش الثورة تتغذى بالقمح الجزائري.

وما إن وصلت فرنسا إلى الجزائر مستعمرة، حتى أبادت القمح وفرضت على البلد الإسلامي الذي تحرم ديانته الخمر، زراعة الكروم بدلا من القمح لانتاج الخمور، وبذلك

---

(١) كامو

(٢) المؤمنون ١١٥.

قُضيَ على الإقتصاد الغذائي الذي كانت تنتجه الجزائر من قبل، وأصبحت تستورد القمح بعد أن كانت تصدره، وربطت فرنسا مصير الجزائريين بالخمور وانتاجها والارتزاق منها، والشرب والسكر والعربدة، والتخلي عن الهمة والكرامة، إلى أن قاوم الشعب الجزائري ذلك بعد جهاد مرير، فقد فيه أكثر من مليون شهيد وذاق الحرمان والتشريد على يد هؤلاء المعلمين المتحضرين، الذين تولوا الوصاية على البشرية والهيمنة على الإنسانية، فأذاقوها عذاب الهون، وآلام الاستعباد، وشقاء النفس والجسد.(١)

إن الحضارة الغربية حضارة نهمة ومسيطرة، تلتهم الشعوب التي تغزوها. لقد أبادت الحضارة الأفراد والشعوب، واستساغت لحوم الأدميين.

يقول المفكر الفرنسي "جارودي" في كتابه" حوار الحضارات": إن الغرب خاف العالم الثالث حين سار على طريق النمو منذ دخول الإنسان الأبيض القارة الأفريقية خلال القرن الخامس عشر، لم يكن هناك فارق شاسع بين مستوى تطور المجتمعات الأفريقية الحضاري ومستوى تطور الغرب، ولم يتأكد الفرق وتتسع الهوة بشكل مطلق إلا بعد أن نفذت المذابح ضد الهنود في أمريكا الشمالية والجنوبية.

كشف جارودي عن الثمن الذي دفعته الإنسانية، حتى وصل الغرب إلى مدنيته وكيف أن ملايين من الهنود الحمر ذبحوا من أجل الاستيلاء على أراضيهم، فأصبح في متناول الغرب مسافات شاسعة، ومصادر ثروة ضخمة.

ولما كانت اليد العاملة قليلة العدد أنشأ الغرب العبودية، وبدأت مرحلة تدمير أفريقيا. يقول جارودي: إن عملية العبودية كانت أساس أكثر إبادة شهدتها البشرية حتى الأن، لقد ادى دخول البيض لأفريقيا إلى هلاك مائة مليون أفريقي.. لقد فرض على البلاد المستعمرة اتباع أنواع لا تقنع بها، فشاهدت هذه المستعمرات مجاعات كبيرة نتيجة خراب اقتصادها الطبيعي..

في صباح السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥م أغارت ثلاث طائرات أمريكية على مدينة هيروشيما اليابانية البالغ تعداد سكانها ٣٠٠ ألف نسمة، وألقت عليها أول قنبلة ذرية.

(١) د. يوسف الواعي ـ الحضارة الإسلامية ـ دار الوفاء ص٧٧٣

وفي صباح التاسع من أغسطس عام ١٩٤٥ أغارت الطائرات الأمريكية على مدينة ناجازاكي البالغ عدد سكانها ٢٧٠ ألف نسمة، وألقت القنبلة الذرية الثانية، وقد أذاع رئيس بلدية "هيروشيما" في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٩ أن الذين هلكوا في اليوم السادس من أغسطس ١٩٤٥م من اليابانيين يتراوح عددهم بين مائتي ألف وأربعين. وأن الذين هلكوا في القنبلة الثانية على نجازاكي ٣٦ ألف، والذين جرحوا بلغو ٤٠ ألفا، وقد لا يستطيع الإنسان أن يتصور هذا الهول ولاهذا الحجم من الدمار والخراب وسفك الدماء، الذي تسببه الحضارة، ويسببه تقدمها العلمي في هذا الجحيم المصبوب صبا على هذه الإنسانية المسكينة[1].

كان هذا في الأربعينات من هذا القرن، أما اليوم ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين وقد اخترعت قنابل وأسلحة أشد قوة وأشد هولا في التدمير والفظاعة مثل القنابل الهيدروجينية والنيترونية والعنقودية والفراغية والجرثومية وغيرها.

لقد شهدت البشرية في هذه الحقبة التي سيطرت عليها الحضارة الغربية من الدمار ومن وحشية الحروب ما تستنكف منه الوحوش والذئاب والثعالب.

وستشهد البشرية في مستقبلها إذا استمرت هذه الحضارة اللاأخلاقية صنوفا من الوحشية والبربرية والهمجية بما يتفق مع روح هذه الحضارة المادية الكافرة التي لا تؤمن بإنسانية ولا دين ولا خلق.

الحضارة الغربية وتدمير الخصائص الإنسانية

لم تسعى الحضارة الغربية إلى فهم طبيعة الإنسان الذي كرمه الله، ولم تقدر خصائصه أو تعمل على تهذيب ميوله ورغباته وشهواته بوضع نظام يشمل جوانب حياته ويتناسب مع طبيعته وخصائصه ويحتفظ بها لتؤدي غرضها في الحياة في سعادة الإنسان.

يقول **ألبرت شفايترز** "نحن لا نقدر أهمية العنصر الروحي في الحياة حق قدره، إن الحضارة التي لا تنمو فيها إلا النواحي المادية، دون أن يواكب ذلك نمو متكافئ في ميدان الروح، هي أشبه ما يكون بسفينة اختلت قيادتها، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة

(١) د. يوسف الواعي - الحضارة الإسلامية - ص ٧٧٥ دار الوفاء.

التي ستقضي عليها، ذلك أن الطابع الجوهري للحضارة لا يتحدد بإنجازاتها المادية، بل باحتفاظ الأفراد لكمال الإنسان وتحسين الأحوال المادية"[1]

لقد انطلقت الحضارة كالغول انسل من عقاله وأخذ يفترس هذا الإنسان ولا يعمل له حساب.

إن الإنسان هو سيد هذا الوجود، وهو محور ومدار نشاطه، وأي حضارة تسحق هذا الإنسان، ولا تقدر مواهبه، وتجهل خصائصه، وتغفل شعوره في قوانينها الاقتصادية والاجتماعية مقضي عليها بالفشل والخسران وهو ما وقعت فيه الحضارة المعاصرة.

إن الإنسان في التصور الإسلامي هو سيد الوجود الأرضي بخلافته عن الله فيها وكل ما في الأرض مسخر لخدمته وإسعاده ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2].

إن الإبداع المادي ضرورة في هذه الحياة، ولكن بشرط أن لا يضر ويناقض خصائص الإنسان ويفسدها أو يقضي عليها ويدمرها.

سيادة الحياة الصناعية لا الإنسانية:

يصف "ألكسيس كاريل" الحياة الصناعية التي هيمنت على الإنسان وسيطرت على الناس فيقول: لقد أهمل تأثير المصنع على الحالة الفسيولوجية والعقلية للعمال إهمالا تاما عند تنظيم الحياة الصناعية التي اتسع نطاقها دون أي تفكير في طبيعة البشر الذين يديرون الآلات، ودون أي اعتبار للتأثيرات التي تحدثها طريقة الحياة الصناعية التي يفرضها المصنع على الأفراد وأحفادهم..".

إن سيطرة الحياة الصناعية وشرها إلى الإنتاج وإلى المادة خلقت كثيرا من المآسي الاحتكارية والصحية والإجتماعية.. وما ذلك إلا لأنها لم يصحبها قانون أخلاقي أو عرف إنساني أو شعور روحي.

لقد سيطرت الآلة على الحياة وأصبح الكثير من الناس عبيدا لها تتحكم فيها.

(١) د. يوسف الواعي ـ المصدر السابق ـ نقلا عن أنور الجندي ـ الإسلام والحضارة.
(٢) البقرة ٢٩.

إن تقدم الفيزياء والكيمياء والميكانيك وعلم النفس وعلم الحياة، لم يقدم البشرية خطوة واحدة نحو الفضيلة، ولم يعصم المجتمع من الرذائل والموبقات والأزمات الخلقية، بل فتح العلم سبيل الشر في مجال التدمير والحرب.. مجال التحلل من موجبات الدين.

الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في جهتين متعاكستين

يقول الأستاذ **المودودي**: فُتِنَ الكثيرون من أبناء المسلمين بالحضارة الغربية، وبهرتهم الآراء المستوردة، والقشرة الزائفة، بكل ما تحويه من انحلال وهدم للقيم الخلقية والروحية، وتحت تأثير هذه الجاذبية البراقة تخلوا عن جذورهم وأصولهم، أولئك الذين استعبدتهم الحضارة الغربية وسلبتهم الثقة بأمتهم، عندما أقبلوا على حضارة الغرب الزائفة، لم يأخذوا منها الجانب النافع الجاد، بقدر ما أخذوا منها الطلاء البراق بما فيه من رذائل ومفاسد، وقد نسي هؤلاء أن الأمة الإسلامية أقامت في ظل الإسلام بمثله وروحه وسماحته، أعظم حضارة عرفها الإنسان في التاريخ؛ وفي الوقت الذي كانت أوروبا تعيش فيه عصورا مظلمة، كان العالم الإسلامي يعيش عصور نور وازدهار وأنه ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب بعد أن أفلست حضارة الغرب، وبدأ الكثيرون من أبناء الغرب يتجهون نحو الشرق علة يجد في الإسلام ما يسد فراغه الروحي، ويرده إلى انسانيته الكريمة إلا أمة واحدة هي أمتنا.

"الحضارة الغربية حضارة لا دينية بحته لا مجال فيها لمخافة إله في السماء عليم وقدير، ولا وزن فيه لنبوة أو وحي وإلهام، ولا تصور فيها لحياة أخرى بعد الموت، ولاخوف من المحاسبة على أعمال الحياة الدنيا كما لا وجود فيها لمسئولية ملقاة على الإنسان، ولا إمكان فيها لمقصد أو غاية أجل وأسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الإنسان.

أما حضارة الإسلام فتقوم على خشية الله واتباع القصد وحب الصدق و طلب الحق، وطهارة الأخلاق والنزاهة والأمانة والبر والجياء والتقوى والنظافة.

إن النظرية التي تقوم عليها الحضارة الغربية على النقيض من نظرية الإسلام، وطريقها واسع في الجهة المعاكسة لطريق الإسلام. وكل ما يبني عليه الإسلام من أخلاق إنسانية وتمدن، تكاد هذه الحضارة تأتي عليه من القواعد، كما أن الأسس التي ترفع هذه الحضارة عليها قواعد السلوك الفردي والنظام الاجتماعي لا يمكن أن يقوم عليه بنيان الإسلام ولو ساعة من الدهر. فكأن الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في جهتين

متعاكستين، فمن ركب احداهما هجر الأخرى ولابد. ومن أبى إلا أن يركبهما في الوقت الواحد، فانتاه معا، وانشق بينهما نصفين"[1]

الدور الحضاري المرتقب

يرى كتاب الغرب أن غلبة الجانب المادي في الحضارة الغربية على الجانب الروحي هو مصدر أزمة الحضارة والإنسان في هذا العصر، وأن الحضارة الغربية مشرفة على عهد انحطاط وتدهور وأنها تعاني أعراض الشيخوخة وانحلال الفناء، والتي هي أشبه بعملاق يترنح بفعل الخمر والمرض والانحلال

يقول أرنولد توينبي:[2]

إن الحضارة الغربية المتدهورة لا يمكن إنقاذها إلا بالدين، ذلك أنها مصابة بالخواء الروحي الذي يحول الإنسان إلى قزم يفتقد عناصر وجوده الإنساني، ويعيش الحد الأدنى من حياته، وهو وجوده المادي فحسب، مما حول حياته إلى جحيم مشوب بالقلق والحيرة الذهنية والتمزق النفسي، وحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف كماتركض القطعان دونما تفحص.

إن الحضارة الغربية تعاني اليوم أخطر الأزمات، فهي حضارة علمانية لاحقة بالمسيحية، تعيش على بقايا مختلفة من المبادئ المسيحية المشوهة.

ويقول الدكتور مصطفى السباعي[3]: إن الحضارة الغربية تمثل أرقى ما وصل إليه الإنسان من حياة مادية، وليس هذا وحده الذي يسعد الناس، بل لا بد من حضارة جديدة تتابع هذا الرقي المادي وتستمر فيه، وتأخذ بالناس إلى حياة روحية راقية بجانب ذلك الرقي المادي، بحيث تحفظ التوازن دائما بين الحياتين المادية والروحية، ولا تسمح بطغيان إحداهما على الأخرى.

ويتساءل السباعي رحمه الله: هل يمكن أن توجد هذه الحضارة؟ وهل هنالك أمة تستطيع القيام بهذا الدور؟

---

(١) أبو الأعلى المودودي - نحن والحضارة الغربية - دار الفكر بيروت.
(٢) أنور الجندي - إطار إسلامي للفكر المعاصر - المكتب الإسلامي ص ١٦٨
(٣) مصطفى السباعي - من روائع حضارتنا ص١٧

إن العالم الغربي لا يمكن أن يقوم بالدور المرتقب فهو الآن في أوج حضارته وقوته المادية وافتتانه بها، وحين ينهار فسيكون فاقدا كل المؤهلات التي تؤهله لقيادة العالم نحو الأمن المنشود والحياة الكريمة المبتغاه.

كما أن العالم الشرقي ذو الديانات الوثنية الروحية لا يمكن أن يقوم بهذا الدور، لأن الحضارة تقوم على العلم والتفكير الصحيح، والتجرد من الخرافات والأوهام، والوثنية في حد ذاتها نقيض ذلك كله، ولأن الروحانية التي يحتاج إليها العالم في حضارته المرتقبة هي الروحانية الإيجابية البناءة التي تساهم في رقي الإنسان واطراد تقدمه، والروحانية الوثنية روحانية سلبية تفر من الحياة، وتنهزم من أداء الواجب، وتعتبر رقي الإنسان المادي رجسا يجب أن يتطهر منه وتشن الحرب عليه.

ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب إلا أمة واحدة هي أمتنا، ولن يستطيع حمل اللواء لحضارة الغد غيرنا لأننا نحمل عقيدة من أرقى العقائد التي تساهم في بناء الحضارات، وهي عقيدة علم تحترم العقل وتدفعه نحو العلم،وهي عقيدة خلق إنساني، وهي عقيدة تشريع يهدف إلى اليسر،كما أن الأمة الإسلامية قد أثبتت في الماضي قدرتها على بناء مثل هذه الحضارة المرتقبة، وكانت حضارة إنسانية قادت الإنسانية إلى الأمن والهدى والنور.

أدرك علماء الغرب رغم عدائهم للإسلام، أن إصلاح ما أصاب العالم من دخان الحضارات البعيدة عن الإسلام لم يكن إلا في ظل الحضارة الإسلامية.

يقول الدكتور "إيزكو إنسابساتو" (إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتا).

ويقول العلامة **(شيرلي)** عميد كلية الحقوق بجامعة فينا: إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد مانكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنه.

ويقول المؤرخ الإنجليزي **"ويلز"** في كتابه "ملامح تاريخ الإنسانية":

إن أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية. أما المؤرخ سيدو فيقول: إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك هو (شرح

الدردير على متن خليل)[١]

تؤكد كل هذه الأقوال على أن الدور الحضاري الإسلامي لا بديل عنه لإعادة الإنسانية إلى مسارها الصحيح، وأنه لا صلاح للبشرية إلا بالتحول نحو الإسلام وحضارته.

يقول الفيلسوف الإنجليزي "برناردشو"[٢] لقد دخل في الوقت الحاضر كثير من ابناء قومي من أهل أوربا دين محمد صلى الله عليه وسلم، حتى يمكن أن يقال إن تحول أوربا إلى الإسلام قد بدأ، ولقد بدأت أوربا الآن تعتنق الدين الإسلامي، ولن يمضي القرن الحادي والعشرين حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين بالدين الإسلامي في حل مشكلاتها.. إنه لن يمضي مائة عام حتى تكون أوربا ولا سيما انجلترا قد أيقنت بملائمة الإسلام للحضارة الصحيحة.

مبشرات الحضارة القادمة

الأمة الإسلامية هي الأمة الوحيدة التي تملك رسالة خالدة وقرآنا كريما لم يشوه ولن يبدل، وتملك من وسائل التقدم والقيادة ما يجعلها صاحبة الحضارة المرتقبة.

من هذه المبشرات نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، توحي بمستقبل هذه الأمة، وظهور نجمها وبزوغ شمسها. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٣]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[٤] ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [٥]

هذه الآيات تبشر بظهور الإسلام وحضارته، وعلو شأن المسلمين وسيادة دعوتهم، كما تنبئ بمد إسلامي لا شك فيه قادم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ

---

(١) د. يوسف الواعي ـ نقلا عن (معالم الحضارة عبدالله علوان)
(٢) نفس المصدر نقلا عن (الإسلام والثقافة العربية ـ عبدالفتاح غنيم)
(٣) التوبة ٣٣.
(٤) النور ٥٥.
(٥) البقرة ٢٤٩.

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [١].

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المستقبل للإسلام وحضارته.

يقول النبي الخاتم ﷺ "إن الله زوى (أي جمع وضم لي) الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها"[٢].

وقوله " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولاوبر[٣] إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر"[٤].

معنى هذا أن الأمة المسلمة ستكون لها حضارة زاهرة تُرجع الناس إلى أنوار الحضارة الأولى التي كانت مثالا فريدا مازالت في ذاكرة الزمان.

الأمة الإسلامية أمة عالمية تحمل رسالة عالمية في السلوك، وفي الخلق، وفي العدل، وفي العلاقة الربانية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [٥].

إن الحضارة الإسلامية يحتاجها العالم اليوم لأنها حديث الفطرة، وناموس الكون، ولغة الحياة التي تنتظرها. لذلك فهي تأخذ طريقها إلى العطاء مرة أخرى.

المسلمون على علاتهم هم أمة المستقبل

أدرك الغرب الصليبي أنه برغم كل ما أصيب به المسلمون من عله وضعف، فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض التي يمكنها منافسته ومزاحمته في قيادة العالم، لأن دينها يدعوها إلى مراقبة العالم ومحاسبته على أخلاقه وأعماله ونزعاته، وقيادته إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وأن دينها يحرم عليها أن

(١) الصف ٨.
(٢) رواه مسلم
(٣) الوبر هو الصوف وهو رمز البداوة ودلالة على ساكني الصحراء، المدر هو الطوب الذي تبنى به مساكن الحضر في المدن والقرى وهو رمز للحضارة.
(٤) رواه ابن ماجة والحديث صحيح.
(٥) البقرة ١٤٣.

تتحول إلى أمة جاهلية.

أدرك أعداء الأمة أنه برغم أن المسلمون قد اتخذوا في أيامهم هذه القرآن مهجورا، وأنهم فُتِنوا بالمال كغيرهم فإن شراسة الحياة والطموح كامنه فيهم طالما فيهم رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وتسيل دموعهم على خدودهم.

أدرك الأعداء أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل، لأنه دين الشرف والكرامة، ودين الأمانة والعفاف، ودين المروءة والبطولة، ودين الكفاح والجهاد، يمحو كل أثر من آثار استعباد الإنسان، لا يفرق بين مالك ومملوك، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك، يزكي المال من كل دنس ورجس ويجعله نقيا صافيا، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مستخلفين في أموالهم ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1].

لذلك كان حرصهم كبيرا أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس، لتشب الأجيال ضعيفة الثقة بربها قليلة الإيمان بدينها.

كيف يعود للإسلام مكانته؟

ما من شك في أن السواد الأعظم من المسلمين لا يزال إلى هذا اليوم يعتقد بصدق دعوة الإسلام، ويريد أن يبقى مسلما، ولكن كثيرا من العقول الناشئة لا تزال تتأثر بالفكر الغربي والحضارة الغربية، وتنحرف عن جادة الإسلام إنحرافا هو إلى الزيادة والانتشار كل يوم. وإن سيطرة الغرب الفكرية وتمكنه العلمي بصرف النظر عن غلبته واستيلائه السياسي قد غمر الجو الفكري العالمي وغير من وجهات نظر الأبصار بحيث أصبح لا يتأتى لأولى النظر أن ينظروا بعين المسلم ولا لأولى الفكر أن يفكروا بأسلوب الفكر الإسلامي.

وهذا الوضع الحرج لن يخرج عنه المسلمون ما لم ينبغ فيهم عباقرة من أهل العلم والفكر، لأن أبناء الإسلام اليوم في حاجة إلى نهضة جديدة، وأن انتاج المفكرين من أسلافنا القدامى لم يعد ذا غناء وكفاية.

إن الزعامة في ميدان العلم والعمل اليوم لا ريب مكفولة لمن يتقدم بالدنيا إلى

(١) الحديد ٧.

الأمام لا لمن يجذبها إلى الوراء، فإذا كنا نريد أن يعود للإسلام مكانته من سيادة للعالم، فلا سبيل إليه إلا أن ينبغ في المسلمين رجال من أصحاب الفكر والعلم، يهدمون بفكرهم ونظرهم وبحثهم واكتشافهم تلك الأسس التي قامت عليها صرح الحضارة الغربية، ثم يمارسون مشاهدة الآثار والفحص عن الحقائق على هدى الأسلوب القرآني للفكر والنظر، ويبنون بذلك نظاما للفلسفة جديدا منتزعا من الفكر الإسلامي الخالص، ويرفعون قواعد علوم طبيعية جديدة تنهض عمارتها على الخطوط المرسومة في القرآن الكريم، ويبطلون النظرية الإلحادية إبطالا، ويؤسسون الفكر والتحقيق على النظرية الإلهية، ثم يتقدمون بهذه الحركة بقوة وعزيمة تضمنان السيطرة على جميع العالم.

وقتئذ تقوم في الدنيا حضارة الإسلام الحقة مكان حضارة الغرب المادية.

يقول المؤرخ **أرنولد توينبي:**[1]

"صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسباننا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذا يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام.

"وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي.

- ففي عهد الخلفاء الراشدين، بعد الرسول ﷺ حرر الإسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة ألف عام تقريبا.
- وفي عهد نور الدين وصلاح الدين والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول.

"فإذا سبب الوضع الدولي الآن حربا عنصرية فيمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى.. وأرجوا ألا يتحقق ذلك!".

(١) أنظر محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٥١، ص ٦٥٢ - دار الشروق - الطبعة الرابعة.

وسيتحرك الإسلام إن شاء الله على أساس من الصراع الصحيح بين الحق والباطل الذي قال فيه الله عز وجل:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[1].

يقول الفيلسوف الإنجليزي المعاصر "براتراند رسل"[2]: "لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض.. وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعة، واعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياما رضية كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون".

ويقول "فون فوستر دالاس" وزير خارجية أمريكا السابق في كتاب "حرب أم سلام": "إن هناك شيئا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه النفسية.. إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الأشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون مالدينا قليلا.. وهذا النقص لايعوضه السياسيون مهما بلغت قدراتهم أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم. أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أوالقنابل مهما بلغت قوتها! فمتى شعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية فإن النتائج السيئة تصبح أمرا حتميا..)[3].

في عوامل قيام الحضارة

أورد بعض المؤلفين أثر العوامل الطبيعية من أنهار، وظروف مناخية، وموقع جغرافي دون أن يرجعوها إلى خالق كل شئ الله سبحانه وتعالى، وتناسوا فضل الله المنعم عز وجل، ودور الرسالات السماوية وأنبياء الله ورسله الذين أرسلهم لهداية الناس بدءا من آدم عليه السلام، وما جاءوا به من عقائد وعبادات، وسلوكيات ومعاملات ساعدت على قيام تلك الحضارات.

(١) الحج ٤٠-٤١.
(٢) سيد قطب المستقبل لهذا الدين ص٥٥.
(٣) نفس المصدر.

إنه التفسير اليهودي للتاريخ والماركسي الذي أسقط فيه كارل ماركس مقام الألوهية ودور الخالق العظيم رب الناس أجمعين.

الحضارات القديمة في الميزان

تتحدث أوربا العلمانية عن قيام حضارات قديمة شهدتها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل، أمثال حضارات بلاد الرافدين ودلمون، وحضارات وادي النيل وبلاد الشام، بالإضافة إلى حضارات فارس والسند واليونان والرومان.

ويرى الباحث أنها ليست بحضارات، وإنما هي مظهر من مظاهر البناء، لأن الحضارة تتسم بالصفة الإنسانية التي تنظر إلى الناس جميعا نظرة مساواة وأخوة، وإذا زالت هذه الصفة عنها فإنها تصبح تسلط وإرهاب، ويصبح البناء الذي يعدّونه حضارة ما هو إلا بناء شيدته أيد على جماجم إخوتها، ورفعته على جثث آلاف البشرية، أرغموا على العمل به، وأكرهوا على الكد حتى لقوا حتفهم، والسوط على أظهرهم.

الحضارة الفرعونية

قسم الفراعنة المجتمع المصري إلى أربع فئات:

- **الفئة الأولى:** الفرعون والبيت الفرعوني، وهم طبقة الآلهة، والتي يدين الشعب لهم، وتتوجه الأمة عليهم، لايسألون بل يسألون، ولا يعبدون بل يعبدون. ونقرأ هذا في قوله تعالى﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي، أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾(١)، وقوله تعالى ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾(٢)، ﴿**أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾(٣).
- **الفئة الثانية:** هي فئة الوزراء وكبار الكهنة والقادة، ويعتمدون على ما يمنحهم إياه الفرعون من هبات، وعلى محاصيل أراضيهم، وكانوا أغنياء يعيشون في القصور،

---

(١) الزخرف ٥١.
(٢) القصص ٣٨.
(٣) الأعراف ١٢٧.

ويمضون أوقاتهم في تفقد أملاكهم وفي النزهات وتنظيم حفلات الرقص والموسيقى.

- **الفئة الثالثة:** وهم أهل البلاد من المصريين، ولهم الصدارة والريادة، وهم الجنس المفضل على غيرهم من البشر.
- **الفئة الرابعة:** من غير المصريين من العبرانيين وغيرهم، وهذه طبقة ممتهنة مستذلة، ليس لحياتها قيمة ولا لإنسانيتها شرف أو احترام، يعملون بالسخرة في بناء المعابد والقصور، والمدافن وشق القنوات وغيرها. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

لقد علا فرعون في الأرض وادعى الربوبية، ونصب نفسه إلها على الناس، وقسم الشعب إلى شيع وأقسام، قسم يرضى عنه، وقسم يستبيحه ويفعل به ما يشاء، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم.

أجبر الفراعنة الأوائل الشعب على بناء الأهرامات لهم، فخلدوا بذلك ذكرهم، وسجلوا طغيانهم، ولا تزال هذه الأهرامات شاهدة على الظلم آنذاك. والبناء يلعن من أشاده على ظهور أبناء الشعب وجماجم الرجال لأنه بناء أقيم على الظلم.

إن المجتمع الذي يسوده الظلم والاستبداد وقهر الإنسان وإذلاله لا يسمى مجتمعا متحضرا لأن السعادة والطمأنينة لا تسودانه مهما كان فيه من تقدم وعمران ومهما بقيت آثاره وطال بقاؤها.

الحضارة اليونانية

نظرت المدرسة الأفلاطونية إلى الإنسان من زاوية عنصرية كريهة، فقسمت البشر إلى صنفين: اليونان العاقلين والبرابرة المتوحشين، كما ذهبت إلى أن الطبيعة قد وهبت اليونانيين عقلا ممتازا، أما غيرهم فهم مجردون من العقول والأفهام. وعليهم خدمة هذا الصنف الممتاز. ثم أوصت باستعمال الشدة مع هذه الأصناف من الخدم والعبيد.

---

(١) القصص ٤.

يقول **أرسطو** تلميذ **أفلاطون**: إن الله خلق فصيلتين من الناس. فصيلة زودها بالعقل والإرادة، وهي فصيلة اليونان، وقد فطرها على هذا التكوين الكامل لتكون خليفة له في أرضه وسيدة على سائر خلقه، وفصيلة لم يزودها إلا بقوى الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا بالجسم، وهؤلاء هم البرابرة (أي ماعدا اليونان) من بني آدم، وقد فطرهم الله على هذا التقويم الناقص، ليكونا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاه.. فمن واجب اليونان أن يعملوا بمختلف الوسائل على أن يردوا هؤلاء إلى المنزلة التي خلقوا لها، وهي منزلة الرق. وكل حرب يشنها اليونان لتحقيق هذه الغاية حرب مشروعة تنبعث من طبائع الأشياء، ولا تستقيم الحياة الإجتماعية وشئون العمل في نظر أرسطو إلا باسترقاق هؤلاء البرابرة فبفضل هذا الاسترقاق يتحقق توزيع الأعمال على الوجه الذي يتفق مع طبائع الأشياء.[1]

كان نظام أرسطوطاليس الأخلاقي مبنيا على التمييز بين اليوناني وغير اليوناني، اليونانيين ينبغي لهم أن يُعامِلوا الأجانب بما يُعامِلون البهائم.

ويقول أبو الحسن علي الحسن الهندي الندوي:

"لقد أثرت شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والمبالغة في قيمتها، وكذلك الولوع بالتماثيل والصور والغناء والموسيقى، والحرية الشخصية التي لا تعرف قيدا ولا تقف عند حد تأثيرا سيئا في أخلاق اليونان، فانتشرت الفوضى في الأخلاق، واصبح شعار الرجل هو الجري وراء الشهوات العاجة، وانتهاب المسرات والتهام الحياة التهام الجائع النهم".

يصف **سقراط** كما ينقل عنه **أفلاطون** في كتاب "المملكة" الرجل الجمهوري:

" إذا قيل له: إن بعض المسرات من الرغبات التي هي طيبة وتستحق الإحترام، وبعضها من الشهوات التي هي قبيحة، وإن الأولى ينبغي أن يعمل بمقتضاها وتحترم، والأخرى مما ينبغي أن يمنع عنها ويقام عليه الحجر، لم يقبل هذا الرجل هذا القانون الصحيح ولا يسمح بسماعه، فإذا عرضت عليه هذه الحقائق أنغض إليك رأسه مستهزئا وأكد أن جميع الشهوات سواء وتستحق الاحترام بغير فرق بينها...".

(١) أنظر إلى قصة الملكية في العالم ص ٧٢، والمجتمع الإسلامي ص ٧١ د.على عبدالواحد وافي.

"كان حب الوطن والفكرة الوطنية هي الفكرة السائدة، والتي تتقدم فضائل الأخلاق وهي الفكرة الرائجة في كل الأوساط اليونانية"[١]

الحضارة الرومانية[٢]

خلف اليونان الروم وفاقوهم في القوة والتنظيم، وانتقلت الفلسفة اليونانية والثقافة اليونانية، إلى الروم وجرت منهم مجرى الروح والدم، لم يختلفوا عنهم في إيمانهم بالمحسوس وغلوهم في تقدير الحياة، وشكهم في الدين واستخفافهم بالنظام الديني وطقوسه، والتزامهم بالقومية وتعصبهم لها، وحبهم المفرط للوطن،زد إلى ذلك اعتدادهم بالقوة واحترامهم الزائد لها الذي يبلغ حد العبادة والتقديس.

يقول ليكي Lecky في كتابه تاريخ أخلاق أوربا History of European moracls ص ١٧٨"لم يكن للدين تأثير في أخلاق الأمة وسياستها ومجتمعها، ولم يكن يملك عليه شعورهم ميولهم ويراقب عليهم أخلاقهم ونزعاتهم.. إن الدين الرومي كان أساسه على الأثرة، ولم يكن يرمي إلا إلى رفاهية الأفراد وسلامتهم من المصائب والمتاعب، ولا تسمع مثالا للتضحية والإيثار إلا وتجده لا تأثير فيه للدين، ولكن مبنيا على الوطنية".

ويقول العالم الألماني المسلم محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق Islam at cross Road": "إن الفكرة التي كانت تسيطر على الامبراطورية الرومانية هي احتكار القوة لها واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الرومي فقط، لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من أي ظلم وقسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة، أما ما اشتهر من عدل الروم فلم يكن إلا للروم فقط.

إن هذه السيطرة لا يمكن أن تقوم إلا على إدراك مادي محض للحياة والحضارة، وإن كانت ماديتهم قد هذبت بذوق عقلي ولكنها بعيدة عن جميع القيم الروحية، إن الروم لم يدينوا بالدين جديا أبدا، كانت آلهتهم مشابهه لأساطير الإغريق وخرافاتهم".

ويصور "دارير الأمريكي" سيل الانحطاط الخلقي في الحضارة الرومانية فيقول

(١) أبو الحسن الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٧٨ - دار السلام للطباعة والنشر.
(٢) المصدر السابق.

لما بلغت الدولة الرومانية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات، هبطت في فساد الأخلاق ومع الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتارا، وكان مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ومن لهو إلى لذه، ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الأحيان إلا لبعث على شهوة الطعام، كانت موائدهم تزهوا بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر، ويحتف بها خدام في ملابس جميلة خلابة، وغادات رومية حسان، وغواني عاريات كاسيات غير متعففات، ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة وميادين للهو واسعة ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع، ولا يزالون يصارعون حتى يخر الواحد منهم صريعا يتشحط في دمه، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هنالك شئ يستحق العبادة فهو القوة، لأنه بها يقدر الإنسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليمين.

وإذا غلب الإنسان في ساحة القتال بقوة ساعدة فحينئذ يمكن له أن يصادر الأموال والأملاك.. كان نظام روما يشف عن أبهة الملك ولكنه كان طلاء خادعا"(١).

الحضارة الهندية

كان نظام الطبقات في الحضارة الهندية شديد الضراوة، بالغ القسوة، يستهين بشرف الإنسان، ويمتهن آدميته، وكانت تحميه السلطة الدينية والمدنية، قانونا رسميا ومرجعيا دينيا في حياة البلاد ومدنيتها. يقسم هذا القانون البلاد إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى الممتازة وهي طبقة الكهنة ورجال الدين، والطبقة الثانية طبقة رجال الحرب، والطبقة الثالثة طبقة رجال الزراعة والتجارة، أما الرابعة فهي طبقة رجال الخدمة.

يقول (مينو)مؤلف هذا القانون "إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه، و(شتري)وهم رجال الحرب من ساعده، (وويش) وهم رجال الزراعة والتجاره

(١) London 1927 - History of the conflict between Religion and Science

من أفخاذه،(ولشودر) من أرجله" "إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك وإن ما في العالم ملك لهم، فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر من غير جريرة ماشاءوا لأن العبد لا يملك شيئا وكل ماله لسيده..." "إن من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك، وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا فإن ذلك يؤذي البراهمة.

وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده.. وإذا رفسه في غضب قطعت رجله، وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى استه وينفيه من البلاد، أما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه، وإذا ادعى أنه يعلمه سقى زيتا فائرًا، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدع والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء".

إحياء الحضارات القديمة مؤامرة صهيونية صليبية

دراسة الحضارات القديمة من منطلق الآية القرآنية الكريمة ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] وكتاريخ مضى، يحسن بنا الإطلاع عليه والاستفادة منه، أمر لا بأس منه.. ولكن ليس من الإنصاف، ولا من الحكمة أن تملأ صفحات الكتب الدراسية لطلابنا بأخبار هذه الحضارات البائدة، وفي الوقت الذي يجهلون فيه عن حضارتنا الإسلامية العظيمة الكثير.

كان ولا يزال من المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام الدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة، وهي سابقة لحضارة الإسلام العظيمة، وقد ظهرت هذه الدعوة بتوجيه من الأوربيين والأمريكيين في مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا وتركيا في وقت واحد أيضا في فارس والهند وأندونيسيا.

فتحوا نوافذ على الحضارات القديمة التي سادت وبادت لشغل الأجيال بأخبارها وأمجادها عن الحضارة الإسلامية التي ملأت الدنيا نورًا وعلمًا وهدى ورشادًا وفلسفة وحكمة وأدبا.

أحيوا الحضارات الفرعونية، والآشورية، والبابلية، والفينيقية، والهندية وغيرها

---

(١) النمل ٦٩.

وأخذوا يشيدون بها ويحبرون فيها المقالات، ويؤلفون لها المجلدات، ويقيمون لذكراها الإحتفالات ويذكرون أمجادها، ورجالها وأبطالها وقادتها.

وغابت عنا هذه المخططات الماكرة وأحيينا هذه الحضارات البائدة، وأقمنا لها المتاحف وأصدرنا لها المجلات، وألفنا فيها المجلدات، ووضع الكُتّاب الكتب لأبناء المسلمين فجهلوا حضارتهم الإسلامية وأمجاد تاريخهم الناصع، وعرفوا عن حمورابي وخوفو وأضرابهم من طغاة الزمان ورؤوس الكفر والضلال أكثر مما عرفوا عن أئمة المسلمين وعلمائهم، وأعلامهم.

الدعوة إلى الفرعونية

لأرض الكنانة مصر مكان مرموق في قلوب العرب والمسلمين، وقد سبقت في ميادين العلم والأدب، ونبغ فيها رجال أفذاذ كانوا أساتذة الكثير من أدباء العرب اليوم والدعوة فيها، أية دعوة، تؤثر في مصر العزيزة، وتنتشر منها إلى البلاد العربية والإسلامية، بحكم انتشار صحافتها ومطبوعاتها، وإمكانياتها الضخمة، لذا ركزت الصليبية الحاقدة والصهيونية الكافرة جهودها على مصر القطر الإسلامي الكبير لتفسدها وتفسد بها المسلمين في كل مكان.

في أعقاب الفترة التي تلت إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، قامت الدعوة إلى الفرعونية، من رجال تتلمذوا على الغرب، وتخرجوا على أيديهم، كانوا يعارضون الإسلام والعروبة، وزعموا أن الدين في مصر قد تغير من الوثنية إلى المسيحية، ثم الإسلام، وأن الكتابة واللغة قد تغيرت فيها من الهيروغليفية إلى اللغة العربية، وأن ذلك لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات، وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم، ويدعون أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعوني مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليوناني والروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية.

اتجهوا إلى فرعنة مصر لسلخها من العروبة والإسلام، ولقطع أوصال البلاد العربية والإسلامية، وفصل بعضها عن البعض الآخر ببث روح التنافر والتدابر والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها.

ذكر الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله في حاشية كتابه "**في وكر الهدامين**":أن المليونير اليهودي الأمريكي المتستر تحت النصرانية "روكفلر" أوفد عام ١٩٢٦ الأديب الأمريكي "برستد" صاحب كتاب "إنتصار الحضارة" ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يعين على سلخ مصر عن عروبتها وإسلامها.[١]

الحكم الشرعي في مخلفات الحضارة القديمة وآثارها

من قواعد التصور والإيمان معرفة القيمة الحقيقية لمخلفات الأمم وآثارها والحكم الشرعي فيها، فالمسلم الذي يستمد تصوره من الكتاب والسنة ويهتدي بهديهما لا بد له وهو يدرس تواريخ الأمم أن يزن آثار هذه الأمم ومخلفاتها التاريخية بالميزان الشرعي، ليعطيها القيمة الحقيقية على ضوء ذلك الميزان العادل، فلا يغالي في تعظيمها وتقديرها، كما يفعله فريق من الناس، ولا يغمطها حقا هو لها.

والآثار المتبقية من الأمم السابقة متنوعة، فمنها ماله فائدة علمية أومادية، مثل الوثائق والنقوش وقطع النقود، والعيون والسدود، فهذه يستفاد منها، وتكون قيمتها الحقيقية بقدر الخدمة التي أدتها أو تؤديها للناس، ولا يجوز تعظيم بناتها أو تقديسهم.

ومنها ما في وجوده وبقائه منافاة لعقيدة التوحيد مثل التماثيل والصور والأصنام وبيوت العبادة لغير الله، والمشاهد التي على القبور والمزارات، فهذا النوع من الآثار يجب تحطيمه وإزالته لأنه يجر إلى الشرك وعبادة غير الله، ومن أصول الإسلام سد كل الذرائع المؤدية إلى المفاسد ولا شئ أفسد من الشرك وصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، وهذا ما عمله رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، حيث حطم الأصنام والطواغيت التي كان يعبدها العرب ويلحق بهذا النوع من المخلفات الثقافية والفكرية الضارة ككتب السحر والإلحاد والتهتك والفجور.

وهناك نوع من المخالفات والآثار لانفع فيها ولا ضرر منه لذاته مثل المباني الخربة وبقايا الأسوار والحصون والبنايات الكبيرة كالأهرامات التي في مصر، وإيوان كسرى في العراق وحدائق بابل المعلقة، فهذا النوع من الآثار يُهمل ولا يُعنى به لمجرد

---

(١) أنظر محمد محمود الصواف - المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٣٥-١٤٢.

أنه أثر من الآثار، لأن في تلك العناية تعظيم لها ولمن خلفوها، وقد أهملها سلفنا الصالح بالفعل ولم يشغلوا أنفسهم بالمحافظة عليها وترميمها، فضلا عن تنظيم الزيارة لها.[١]

المنهج القرآني في دراسة الآثار

أرشدنا القرآن الكريم إلى المنهج الذي نتبعه في دراسة الآثار والوقوف عليها، وَبَيَّنَ لنا الفائدة التي من الممكن أن نستفيدها من الوقوف على آثار السابقين، وعرفنا على القيمة الحقيقية للآثار.

فالعلم بتاريخ الأمم السابقة والتعرف على آثارها لكي يؤتي ثماره لابد أن يقترن بالعبرة والعظة، التي تدفع الدارس والمشاهد والباحث إلى تدبر أحوال نفسه وأسرته ومجتمعه، فلا يدعها أو يدعهم يقترفون ما اقترف غيرهم من الآثام والإعراض عن منهج الله وعبادة ما لم يأذن به الله فيهلكهم الله بعذاب أليم كما أهلك من قبلهم، لأن العلم بأمر الله وشرعه والنظر الصحيح والاعتبار المثمر في أحوال السابقين، وتقلبات الدهر بهم يساعد على تربية الفرد المسلم ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع، أما ما يفعله كثير من الدارسين من الاكتفاء بالوقوف على الأطلال ودراستها دراسة وصفية جافة لا حياة فيها، كقولهم إنهم كانوا يستعملون من أدوات المطبخ كذا وكذا وطريقتهم في الأفراح كيت وكيت، وأنهم كانوا يحرثون بالمحراث الذي نحرث به.. وحصر الإهتمام بالمظاهر الشكلية من قياس الطول والعرض والحجم والمادة المستعملة.. إلى غير ذلك.

إن هذه الدراسة الأكاديمية الجافة لا توقظ في القلب شعورا، ولا تفتح فيه حياة ولا تنير البصائر لتتأمل وتتفكر وتستفيد وتتعرف سنن الله وآياته في الأنفس والآفاق، كما أنها لا تتمشى مع المنهج القرآني في عرضه آثار السابقين وطلبه منا أن نسير في الأرض وننظر في سيرنا نظر المستبصر المستفيد، الباحث عن أسباب الدمار الذي حل بأصحاب تلك الآثار ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[٢] وقال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[٣]، فالله تعالى يطلب منا أن يكون سيرنا في الأرض وبحثنا عن الآثار

---

(١) محمد صامل السلمي ـ منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه ـ الوفاء للطباعة والنشر ص ١ سنة ١٩٨٨
(٢) النمل ٦٩.
(٣) القصص ٥٨.

ودراستها بغرض إيقاظ القلوب والبصائر وبعث الحياة فيها، ومناجاة هذه الآثار والأطلال الباقية وسماع أخبارها سماع العظة والعبرة، ومشاهدة آيات الله وقدرته وعقابه للمجرمين وإنجائه للصالحين، والتعرف على القيم الحقيقية التي تطيب بها الحياة وتعمر، وتكون سبباً للفوز والنجاة عند الله.

قال تعالى ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾(١).

هذا التأمل في آثار السابقين ينتج عنه اتعاظ يتحول إلى سلوك ونهج عملي في واقع ملتزم بأمر الله ونهيه، وقد جعل الله ذلك هداية للمستبصرين فقال:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ، أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾ (٢).

كما أنه جعل هذا التأمل والنظر في آثار السابقين في مقام الواعظ البليغ وجعله حجة على الغافلين حين ينزل بهم عذابه فقال تعالى ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِم الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ، أَوَ لَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۞ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ۞ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۞ فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ، إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾(٣).

النهج القرآني وعرض أخبار الحضارات القديمة:

يلفت القرآن الكريم أنظارنا للإتعاظ والعبرة بالشاهد الباقي من مخلفات أصحاب الحضارات السابقة وآثارهم، فيصف الله تعالى بعض ما وصلت إليه الحضارات القديمة من التقدم العمراني﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ،

(١) الحج ٤٥-٤٦.
(٢) السجدة ٢٦.
(٣) إبراهيم ٤٤-٤٧.

﴿كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[1]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا، فَاذْكُرُواْ آلاءَ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2].

وقال عن قوم فرعون

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾[3].

ذلك أنهم لما لم يستقيموا على الصراط المستقيم، ولم يصدقوا رسلهم الذين بعثوا إليهم أهلكهم الله، ودمرهم وأورث أرض بعضهم قوما آخرين، وبقيت بعضها خاوية خربة ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[4] تحكى تلك الآثار واقعهم الحضاري وتقدمهم العمراني.

ولكن ذلك لما كان غير مصحوب بالإيمان بالله واتباع رسله فإنه لم ينفعهم، قال تعالى في أهمية التفكر والتدبر في آثار الغابرين ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾[5]، وقال ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[6]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[7].

وقال عن قوم لوط ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[8].

ولما مر رسول الله ﷺ بديار ثمود مدائن صالح وهو في طريقه إلى تبوك، قال

---

(١) الروم ٩.
(٢) الأعراف ٧٤.
(٣) الدخان ٢٥-٢٩.
(٤) القصص ٥٨.
(٥) طه ١٢٨.
(٦) العنكبوت ٣٥.
(٧) الشعراء ٦٧، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩.
(٨) الحجر ٧٣-٧٧.

لأصحابه "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين" وفي رواية "لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم، ثم قرن الرسول ﷺ القول بالفعل" فقنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي" وكان بعض القوم قد استقوا من البئر، عجنوا العجين فأمرهم أن يكفأوا الماء وأن يعلفو العجين الإبل وقال استقوا من البئر التي كانت ترد عليها الناقة.

أمر الرسول ﷺ أن لا نمر على مساكن الظالمين وآثارهم، وأن لاندخلها إلا باكين ومتعظين ومستبصرين وخائفين من أن يصيبنا ما أصابهم، لا أن نكون منبهرين ومعظمين لهؤلاء الظالمين، أو لاهين وغافلين.

يقول الأستاذ البهي الخولي تعليقا على هذا الحديث:

إن الأثر العجيب إذا كان لظالم وأعجب به الإنسان فقد أعجب بالظلم من حيث لا يدري، وأدخل على قبله الفساد والجمود وهو لا يشعر، وما الإنسان إلا قلبه الحي وضميره المعتبر الذكي، فإذا فقده هان شأنه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا، فانظر إلى حرص رسول الله على حياتنا ويقظة بواطننا"[1].

مفاهيم ينبغي أن تصحح

اختلط على كثير من مؤلفي كتب التاريخ المدرسية الكثير من المفاهيم في تناولهم لجوانب الحضارات.

مفهوم الدين

الدين عند الله الإسلام، والإسلام لا ينتسب إلى شخص بعينه، ولا أمة بعينها دون سائر الأمم، لا يختص بأمة دون أمة، ولا بقطر دون قطر، ولا بزمن دون زمن، هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يدين به كل من عرف الله واتبع قانونه، وسلك صراطه المستقيم.

والمسلم لا يعيش دنياه ذليلا مهانا مغلوبا على أمره، بل يعيش حياته عزيز الجانب

---

(١) أنظر المرجع السابق م ص ١٧٧-١٨٢.

رفيع الرأس، لا تغلبه قوة من قوى الدنيا.

والإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[2]، وفي وصية يعقوب لأولاده ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3]، وعن موسى عليه السلام﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[4]، وعن يوسف عليه السلام ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[5]، وعن ملكة سبأ بعد أن آمنت ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

مفهوم الألوهية - العبودية - الربوبية

الألوهية تعني أن لا معبود ولا محبوب، ولا مستجار به، ولا مطمأن إليه إلا الله وحده لا شريك له.

والعبودية تعنى الطاعة مع الخضوع التام لله عز وجل، هو مصدر الأمر والنهي، وهو ذو الجلال والإكرام.

والربوبية تعني أن لله عز وجل السلطان والسيادة، هو رب الخلق والناس، وهو مالك كل شئ ومليكه، هو الذي خلق وأصلح.

لقد انحرف أجدادنا في بعض الفترات عن خط التوحيد، وأشركوا بالله، وابتعدوا عن الإسلام دين كل المرسلين والنبيين من لدن آدم حتى محمد صلوات الله وسلامه عليه.[7]

الهدف التربوي من الإقرار بوحدانية الله تعالى

ينشئ الإقرار بوحدانية الله تعالى في حياة الإنسان الأنفة وعزة النفس، فالله عز

---

(١) يونس ٧٢.
(٢) البقرة ١٢٨.
(٣) البقرة ١٣٢.
(٤) يونس ٨٤.
(٥) يوسف:١٠١
(٦) النمل ٤٤.
(٧) أنظر أبو الأعلى المودودي - مبادئ الإسلام - دار القرآن الكريم، سعيد حوى - الإسلام.

وجل هو الواحد وهو المالك لكل قوى الكون، وهو الضار والنافع، وهو المحيي والمميت وهو صاحب الحكم والسيطرة والسيادة.

عندما يدرك الإنسان ذلك جيدا، ينتزع من قلبه خوف سواه سبحانه وتعالى، فلا يطأطئ رأسه أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إليه، ولا يتكفف له، ولا يرتعب من كبريائه وعظمته، ويحرر نفسه من المعتقدات الفاسدة التي وقع فيها أجدادنا وغيرهم مثل الإعتقاد في السحر والقوى الخفية، وتقديس الحيوان والطير، وعناصر الكون كالماء والهواء، والأرض والسماء، وغيرها من مظاهر الطبيعة.

والمقر بوحدانية الله، لا يتسرب إليه اليأس أو القنوط، ويملأ الإيمان قلبه بالطمأنينة والسكينة، ويمده بالكثير من العزم والإقدام، والصبر والثبات والتوكل على الله عز وجل، كما نجده متقيدا بقانون الله، ومحافظا عليه، ومتبعا لأحكامه، يسارع إلى الخيرات،والعمل لما أمر الله به، ولا يجرؤ على اقتراف الذنوب والمعاصي، وكل ما حرم الله.

دور المعلم المسلم[1]

اليهود يزعمون بأنهم أول من قالوا بعقيدة التوحيد

يزعم اليهود بأنهم أول من قالوا بعقيدة التوحيد، وأنهم هم الذين قدموها للعالم وللبشرية وأن الفضل يرجع إليهم في وضع أسس الديانة التي يدين بها الموسويون والمسيحيون والمسلمون.

وهذا الإدعاء لا يستند إلى أي أساس أو واقع تاريخي.

هل كان نوح عليه السلام ومن قبله من أنبياء الله ورسله يهود؟ وهل كان الأنبياء الذين ظهروا من بعده يهود؟ وهل كان إبراهيم الخليل يهوديا؟.. كلهم نادوا بعقيدة التوحيد

(١) يؤكد المعلم لطلابه على معنى التوحيد ويشير إلى معنى الألوهية، وآثار ومقتضيات "لاإله إلا الله"[1] وأن الدين هو الدين لا يتبدل ولا يتطور، ارتضاه الله تعالى لآدم وبنيه إلى يوم القيامة،وأن آدم عليه السلام أول من وحد الله وعبده، وأخضع حياته لنظامه وشرعه، وأن الإسلام ليس دينا من أديان يختار الإنسان من بينها، ولكنه هو الدين الواحد الذي يرضاه الله تعالى من الناس﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي "من سوء الفهم الذي نرى عامة الناس وكثيرا من أهل العلم منهم متورطين فيه، أن يرون أن الإسلام كان بدؤه من نبوة محمد ﷺ وهذا خطأ فاحش ينبغي أن يكون ذهن الطالب سالما منه كل السلامة، وليعلم كل طالب أن الإسلام هو الدين الحقيقي الوحيد للنوع البشري منذ أول أمره، وكل رسول من رسل الله في أي زمان ومكان إنما جاء بهذا الدين".

قبل أن يكون هناك يهود في العالم.

إن حشر هؤلاء الأنبياء مع الشعب اليهودي في زمن لم يكن لليهود وجود فيه لا يتفق والمنطق بل هو تشويه للتاريخ والحقائق.. إن هؤلاء كلهم كانوا أنبياء نادوا بعقيدة التوحيد الخالصة، عقيدة الإله الواحد لجميع الأمم والمخلوقات، قبل ظهور اليهود، لقد ظهر بعض الأنبياء في الجزيرة وظهر البعض الآخر في العراق ومنهم نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام، وهؤلاء عاشوا بين الألف الثالثة قبل الميلاد وأوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

هناك من كان يؤمن بالله الواحد خالق السموات والأرض عند الكنعانيين، وهناك ما يدل على أن المديانيين العرب كانوا يمارسون عقيدة التوحيد، فقد سكن موسى عليه السلام وتزوج من ابنه رجل كان موحدا يعبد الله، وسمع موسى عليه السلام لوصاياه.[١]

"اخناتون" فرعون مصر لم يكن أول من نادى بالوحدانية

يدعي البعض أن دعوة اخناتون فرعون مصر (امنحوتب الرابع) لعبادة الإله الواحد هي الدعوة الأولى في تاريخ البشرية " وأن الحضارة البشرية لم تعرف هذه النزعة الروحية العالمية قبل أخناتون، فإنه هو أول أبناء الجنس البشري إدراكا لوحدانية الله وشموليته... إن أخناتون لم يكن فردا عاديا دفعته أحاسيسه النبيلة لإنقاذ مجتمعه من أوزاره، وتخليص مواطنية من الجهالة التي يكابدونها، بل كان ملكا آثر التضحية بملذات الحياة وبأبهة الملك في سبيل مبدأ اعتقد فيه خلاص الإنسانية من الشرك، وفك أسار الضمير البشري من سلطان طبقة من رجال الدين الفاسدين الوصوليين.. وتعتبر دعوته أولى حلقات سلسلة تطور العقائد الدينية التي انتهى بظهور الأديان السماوية"[٢] "للمرة الأولى في تاريخ الدنيا ظهرت فكرة إله واحد للعالم كله له سلطان امبراطوري، وتلك هي أقدم صورة في التاريخ لفكرة التوحيد"[٣]، "لم نر أحد قبل أخناتون عرف الصورة الصحيحة للإله الواحد الرحيم"[٤]، "إن عبادة أخناتون كانت الصيحة الأولى المعروفة في

(١) أنظر د. احمد سوسة - المرجع السابق.
(٢) محمد فؤاد شبل - دور مصر في تكوين الحضارة ج.٢ ص ٥٩ ٦٦.
(٣) جيمس هنري برستد - تطور الفكر والدين في مصر القديمة - ص ٤٥٧-٤٥٩.
(٤) انتصار الحضارة - ترجمة د. أحمد فخري.

تاريخ البشرية التي تقترب من التوحيد الذي جاءت به الكتب السماوية فيما بعد"[١]، "إن دعوة أخناتون كانت دعوة إلى الوحدانية وأن دعوة التوحيد نبتت على أرض مصر وانتقلت إلى بلاد المشرق حيث ظهرت دعوة إبراهيم للوحدانية"[٢].

والحقيقة أنه فات على هؤلاء أن أخناتون هذا عاش بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ ق.م. أي بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بحوالي ستة مئة عام، لذلك لا يمكن أن تكون دعوته هذا للوحدانية هي الأولى في تاريخ البشرية، ولا مجال للشك في كون عقيدة التوحيد عقيدة عربية خالصة، وأقدم من دعا إليها أنبياء من أصل عربي[٣].

يقول د. جمال عبدالهادي[٤]: أخناتون لم يكن موحدا لله رب العالمين والدليل كلمات من تسابيحه ونشيده (تسبيحات وأدعية مختلفة تصور إله الشمس على صورة الخالق) وهذه بعضها: أنت أوحد.. أنت تشرق في هيئة الشمس الحية.. أشعتك تغذي كل الحقول.. أنت تخلق ملايين الكائنات منك وحدك.. أنت تخلق الفصول فتحفظ كل ما خلقت.. أنت صنعت السماء البعيدة لترفع إليها.. أنت تخلق النيل في العالم السفلي وتسيره كما تشاء لإطعام الشعوب.. كم هي طيبة أفكارك يا سيد الأبدية.. إن ظهورك جميل في أفق السماء أيتها الشمس الحية أولى الأحياء.. أنت بعيدة ولكن أشعتك تصل إلى الأرض.[٥]

الكلمات تعكس لنا شركا بالله سبحانه وتعالى لأنها تصرف بعض صفات الله إلى قرص الشمس (أتون) وهذا يخالف العقيدة الإسلامية.

يقول د. جمال عبدالهادي: إخناتون من ذرية آدم عليه السلام، وقد سبقه أنبياء ورسل كثيرون بعثهم الله سبحانه وتعالى إلى بني آدم يدعونهم إلى توحيد الله الواحد القهار ﴿وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٦].

دعوة أخناتون سبقها دعوات أخرى جاءت بها الرسل عن الله عز وجل تدعو إلى

(١) د. أحمد فخري ـ مصر الفرعونية ـ ص ٢٨١ ٢٨٣، ٣٩٠، ٣٩٦
(٢) د. عبدالحميد زايد ـ الشرق الخالد.
(٣) د. أحمد سوسة ـ العرب واليهود في التاريخ ـ ص ٣٦٠
(٤) د. جمال عبدالهادي وآخرون ـ تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم العصور في مصر والعراق.
(٥) د. أحمد سوسة (المرجع السابق نقلا عن ارمان ـ ديانة مصر القديمة)
(٦) فاطر ٢٤.

توحيد الله الواحد القهار وإفراده بالعبادة ومنها دعوة هود وصالح وشعيب وإبراهيم ويوسف وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام. فلو سلمنا جدلا وهذا غير صحيح أن أخناتون كان موحدا، فبالتأكيد هو ليس أول الموحدين.[1]

توراة موسى عليه السلام والتوراة المتداولة اليوم

توراة موسى عليه السلام(توراة الله)

التوراة هي الكتاب المقدس، والتعاليم الإلهية لبني إسرائيل، التي تضمنتها الأسفار أي الألواح المنزلة على موسى عليه السلام، وعرف بها القرآن الكريم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ...﴾[2]، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [3].

تلك التوراة التي تقرر وحدانية الله وتنزيهه عن كل مظاهر النقص، وتعترف باليوم الآخر، والإيمان بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، وتتضمن عظات وأفكارا وشريعة لبني إسرائيل يحكم بها أنبياؤهم.

التوراة المتداولة اليوم (توراة اليهود)

تخلص اليهود من التوراة الأصلية التي كانت على زمن موسى عليه السلام، وكتبوا سواها بما يتلائم مع أهوائهم ويتواءم مع مخططاتهم، والذي تولى ذلك الصنيع الأثم من قديم، وغير وبدل وحرف إنما هم طائفة منحرفة متخصصة.. تولت التصحيف والتحريف والتأويل والتعمية بإضفاء الحقائق الإلهية، ليحافظ رهبانهم ورؤساؤهم على مكانتهم ومكاسبهم ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[4]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[5]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

(١) د. جمال عدالهادي وآخر ـ المرجع السابق ـ ص ٤١٦ ٤١٨.
(٢) المائدة ٤٤.
(٣) الأعراف ١٤٥.
(٤) النساء ٤٦.
(٥) البقرة ٧٩.

مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾[١].

التوراة المتداولة اليوم، والتي يترنم بها اليهود، ويرددها الإسرائيليون في معابدهم، لا يعترف بها القرآن بل سجل في عديد من الآيات أنها محرفة مزورة، زيد عليها وأنقص منها، فشوهت بما استحدث فيها وحرفت بما نقص منها.

اتخذ اليهود لأنفسهم إله (يهوه) من صنع أفكارهم، غير الإله الذي دعا إليه موسى عليه السلام، وكفروا بما جاءهم به موسى، واتهموه بالزيغ والكفر والانحراف ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ، وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[٢].

سعى اليهود إلى قتل موسى عليه السلام، ثم عمدوا إلى اختلاق توراة من عند أنفسهم نسبوها إليه وأودعوا فيها ما شاءت لهم أهواءهم الجامحة ونفوسهم المفطورة على البغض واقتراف الكبائر ﴿فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُواْ﴾[٣] ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾[٤] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[٥].

ادعى اليهود أنها منزلة من عند إلههم، ولكن الله تعالى حكم بأن تعاليم التوراة المتداولة في الأوساط اليهودية من أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ليست هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

يقول رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق): قال جان ملتر: "اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ العهد القديم ضاعت من أيدي عسكر بختنصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بوساطة "عزرا" ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة أنتيوكس.

يقول رحمة الله: لما فتح ملك الفرنجة أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد القديم ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم، وكانت هذه الحادثة قبل

---

(١) البقرة ١٥٩.
(٢) فصلت ٤٥.
(٣) الأحزاب ٦٩.
(٤) المجادلة ٢.
(٥) البقرة ٥٩.

ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة.

ومما يجزم بأن هذه التوراة المتداولة اليوم ليست توراة موسى توراة الله، أنها صورت أنبياء بني إسرائيل بصورة مشوهة نزعت عن بعضهم العصمة، بل ردتهم إلى درك الحيوانية وإلى مهاوي الشرك والارتداد عن الإيمان، ففي الباب التاسع عشر من سفر التكوين ادعوا أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه والعياذ بالله وحملتا من أبيهما، وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول أن داود عليه السلام قد زنى بامرأة أوريا وحملت منه، وغير ذلك كثير.

التلمود

يُعَدُّ كتاب التلمود عند اليهود جزءا من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا عن أصولها.

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابًا منزلاً، ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها.

التاريخ القديم والتطور الحضاري في الكتب المدرسية

الهدف من إحلال التاريخ الوثني محل التاريخ الإسلامي

اليهود والأمريكان أعداء الله حريصون على إحياء النعرات المحلية والعنصرية البغيضة التي ينهانا عنها الإسلام الحنيف من أجل خلق أجيال متعصبة للفرعونية أو الآشورية أو الفينيقية... إلخ، ولتفتيت وحدة العالم الإسلامي التي تشكل خطرا على مصالحهم.

لذلك كان تشجيعهم إحياء التاريخ الوثني القديم لكل قطر، وتشجيع عمليات الحفر والبحث عن الآثار السابقة على حضارة الإسلام في كل من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ومصر، كما شجع كل قطر على المفاخرة بمجده القديم، وحضارته البائده كالبابلية والآشورية والكلدانية والفينيقيه والفرعونية والحيثيه.

ومن الأدلة على دور اليهودية والنصرانية في إذكاء روح العصبية والعنصرية

عرض اليهودي روكفلر التبرع بملايين الدولارات لإقامة متحف للآثار الفرعونية بمصر وحرص عصبة الأمم على تنفيذ قانون خاص بالآثار والحفريات، نصت عليه المادة (٢١) من قرار انتداب بريطانيا على فلسطين عام ١٩٢٠م.

كيف يتغلب المعلم على الأخطاء والمخالفات المنهجية والتربوية في التاريخ القديم:

يلمس المعلم في كتب التاريخ المدرسية الكثير من المغالطات التاريخية والتربوية، حيث يُخَاطَب الطالب بأنه مسئول عن مواصلة أعمال أجداده القدماء وأنه جدير بالإنتساب إليهم، وفي هذا إشارة بالطبع إلى الأجيال والأمم الماضية دون تحديد، فيدخل ضمن هؤلاء المسلمون الذين عبدوا الله حق العبادة وجاهدوا في سبيله حق الجهاد، ويدخل ضمنهم غير المسلمين الذين أشركوا بالله وعبدوا الأوثان.

هنا يفرق المعلم لطلابه بين من هم الجديرين بالإنتساب إليهم والتفاخر بهم وبين أولئك الذين أشركوا بالله عز وجل، وادعوا الألوهية والربوبية، وعبدوا الأوثان وعاثوا في الأرض فسادا، فلعنهم الله في كتابه وأغرقهم في اليم، وجعلهم عبرة لأولي الأبصار. ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[1].

هنا نذكر لأبنائنا المثل المسلم، ونعطيهم القدوة الحسنة والأسوة المسلمة.

في مفهوم الحضارة الإنسانية ومقوماتها

طرحت الكتب المدرسية مفهوما ماديا للحضارة أغفلت فيه الجانب الروحي والعوامل الروحية، والدور الذي قام به أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وعلى عادة المستشرقين، فسرت أحداث التاريخ تفسيرا ماديا ماركسيا من خلال النمط الاقتصادي السائد في المجتمع، وهو تفسير له خطورته بسبب غياب الفكرة الإسلامية ولأنه يتنافى مع عقيدة المسلم، ويهبط بالإنسان إلى درك الحيوان[2].

(١) غافر ٤٦.
(٢) أنظر التفسير المادي للتاريخ ومفهوم الحضارة ومقوماتها في فصل سابق من هذا الكتاب.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1].

في عوامل قيام الحضارة

أوردت الكتب المدرسية العوامل الطبيعية من أنهار، وظروف مناخية، وموقع جغرافي، وثروات وتناسى مؤلفيها أن يشيروا إلى الخالق الأعظم واهب النعم، ودور الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الناس، حيث جاءوا بجملة من العقائد والعبادات والسلوكيات، والمعاملات، تلك التي ساعدت على قيام الحضارات وهنا يبين المعلم فضل الله عز وجل الخالق المتفضل على خلقه.

في التطور الحضاري

تجاهلت الكتب المدرسية أبوة آدم عليه السلام لبني البشر، وأيضا الهجرات السامية والحامية التي خرجت من شبه جزيرة العرب إلى أنحاء المعمورة.

زعمت بعض الكتب أن الإنسان الأول انحدر من سلالة القردة، وأنه وُجِدَ بالصدفة، وأنه عاش عاري الجسد لا يعرف الكلام، ولا يحسن التعبير، وأن الظروف المادية القاسية كانت تتحكم فيه كالحيوانات المفترسة والبرد القارص وغيرها، وأنه كان يعيش على صيد الحيوانات وقطف الثمار، حتى اهتدى بالصدفة إلى الزراعة واستئناس الحيوانات.

هنا يشير المعلم إلى أن أصل الإنسان واحد وهو آدم عليه السلام ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[2]، وأن الإنسان منذ ذلك الوقت كامل في شكله وصورته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، يجيد النطق ويحسن الكلام، ويعرف التعبير ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[4]، يستر جسمه ويخفي عورته، بعد أن أنزل عليه الله عز وجل اللباس ودله عليه ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾[5]، كما أن أصول البشر ليست متعددة لأن في هذا ما يخالف العقيدة الإسلامية ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن

---

(١) محمد ١٢.
(٢) آل عمران ٥٩-٦٠.
(٣) التين ٤.
(٤) البقرة ٣١.
(٥) الأعراف ٢٦.

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[1]، فالأصول الجنسية للناس أينما كانوا واحدة (كلكم لآم وآدم من تراب).

صورة الإنسان الأول في الكتب المدرسية

تصور الكتب المدرسية الإنسان الأول بأنه ذلك الإنسان القديم الذي عاش في مجاهل القفار متقوقعا على نفسه في مجاهل الغابات أو فيافي الصحراء، لا يميز بين الخير والشر والنافع والضار.

والحقيقة أن الأمر قد اختلط لدى الماديين وتصوروا الإنسان القديم هو ذلك الإنسان الذي يعيش في مناطق منعزلة من العالم اليوم، في منأى عن التطور، وبعيد عن تيارات الحضارة، يقول الشيخ محمود شاكر:

" الجماعات البدائية المنعزلة التي تعيش اليوم في الجهات الإستوائية(في حوض الكنغو وجنوب شرق آسيا وجزر الأندمان شرقي خليج البنغال والغابات الجبلية في شبه جزيرة الملايو وغينيا الجديدة وغيرها) ليست من مخلفات الإنسان القديم الذي يتصوره الماديون ونقلوا صورته إلى الأطفال لينشئوا في بُعْدٍ عن عقيدتهم التي تصور لهم المخلوقات على الصورة نفسها التي يرونها اليوم، لقد كانت هذه الجماعات جزءا من أقوام رسل الله الذين بُعِثُوا لهدايتها، فأبوا الدعوة، ورفضوا الفكرة، ووقفوا في وجه نبيهم، وعتوا عن أمر ربهم فسلط الله عليهم من يحاربهم ويلاحقهم من مكان إلى مكان، فلو كانت هذه الجماعات منعزلة في مواطنها متوقعة في مواضعها من الأصل ووجدت فيه، لكانت أصول البشرية متعددة، وهذا ما يخالف العقيدة الإسلامية، ولو وجدت من الأصل هناك لجاءها هاد وإلا لما كان عليها حساب ولما حق عليها العذاب إذ ما من قوم إلا وجاءهم بشير ونذير، فآدم عليه السلام كان يُعَلِّم أبناءه وأحفاده التوحيد ويبلغهم دعوة الله، واستمرت هدايتهن حتى كان (شيث) و(إدريسَ)، ثم كانت دعوة نوح عليه السلام، وهكذا فبداية الخلق لها دعاة وهداة، وفيها قول وتعبير وأسلوب، وللبشر لباس وسترة وأدوات تستعمل واجتماعات يدعى لها الناس وأحاديث تدور فيها، فمن الجماعات من هدى الله، وقبل دعوة الرسل، وسار حسب إرشاداتهم وتعليماتهم فكانوا أن استخلفوا في الأرض

(١) النساء ١.

وعمروها حتى حين، وأخذوا من خيراتها، واستفادوا من كنوزها، حتى عتوا عن أمر ربهم، ومن الجماعات من ركب طريق الضلالة أصلا وسار على درب الغواية، فكتبت عليه الشقوة، وحبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وسلط الله عليهم من يقاتلها ويفتك بها حتى فرت ودخلت أماكن مجهولة ومناطق منعزلة وظلت فيها حتى اليوم.[1]

الأصول الجنسية الأولى لسكان العالم

ينتمي سكان الأرض الحاليون إلى زوجين اثنين هما آدم وحواء ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

ومنذ ظهور الإنسان على سطح الأرض وهو جاد في استعمارها فقد انتشر من موطنه الأول في جنوب غربي آسيا (على الأرجح بين علماء الأجناس) فبعد أن تكاثر السكان وازداد عددهم في جزيرة العرب، بدأوا يتنقلون منها إلى مختلف الجهات.. إلى الشمال الشرقي باتجاه بلاد الرافدين ومنها إلى آسيا وأمريكا.. وإلى الشمال باتجاه بلاد الشام ومنها إلى حوض البحر المتوسط.. وإلى الجنوب باتجاه بلاد اليمن ومنها إلى أفريقيا.

الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية

بعد أن تكاثر السكان في شبه الجزيرة العربية خرجت جماعة منهم واتجهت نحو الشمال الشرقي، وانتهى بها المطاف في جنوب بلاد الرافدين حيث التربة الخصبة والمياه الوفيرة، فأقامت العمران وعملت بالزراعة، ولم تلبث أن أشركت بالله واتخذت أصناما عبدتها من دون الله، فبعث الله عز وجل نوحا عليه السلام، ودعاها إلى إفراد العبادة لله وحدة لا شريك له، ولبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو قومه، فلم يؤمن منهم إلا قليلا، ولما يئس من إيمانهم دعا عليهم فأغرقهم الله وأنجى المؤمنين.

استقر الناجون من الغرق في شمال بلاد الرافدين وبدأت زيادة السكان بعد أن تكاثر أبناء نوح عليه السلام، وخرج سام بن نوح وأبناؤه نحو الجنوب الغربي باتجاه جزيرة العرب، وانطلق حام وأولاده نحو جنوب العراق ونحو الهند وانتقل فريق منهم

(١) محمود شاكر - التاريخ الإسلامي جـ١ المكتب الإسلامي.
(٢) الحجرات ١٣.

عبر مضيق باب المندب إلى أفريقيا، كما تحرك يافث الابن الثالث لنوح نحو الشرق.

ثم استوطنت الجماعة القادمة من الشمال أرض سومر جنوب العراق، وعاش الأكاديون إلى جوارهم بعد أن ارتحلوا من جزيرة العرب، ولما عبدت هذه الأقوام الأصنام وتمادت في غيها بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده ولكنهم عتوا عن أمر ربهم وتآمروا عليه فهجرهم، وسلط الله عليهم جماعات ظالمة أذاقتهم العذاب ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١).

سلط الله على السومريين البابليين الذين اتخذوا من بابل حاضرة للدولة البابلية، والتي من أشهر ملوكها حمورابي، الذي وضع قوانينه التي عرفت باسم شريعة حمورابي.

ولما عبد البابليون الأصنام من دون الله فقد أصابهم ما أصاب سابقيهم وسلط الله عليهم أقواما آخرين جاء أكثرهم من الشمال عرفوا بالآشوريين، والذين لم يتعظوا أيضا بما حل سابقيهم وبسطوا نفوذهم على جنوب الطرق وبلاد الشام، واستمروا في عبادتم للتماثيل والكواكب، فبعث الله إليهم يونس بن متى رسولا فدعاهم فلم يؤمنوا في أول الأمر، ولكنهم ندموا فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا إلى حين، وفي النهاية نجح الكلدانيون في إسقاط نينوي العاصمة الآشورية، واتخذوا من بابل عاصمة لهم وأسسوا الدولة البابلية الثانية التي كان من أعظم ملوكها بختنصر الذي فتح القدس واستباحها لجنده وأخذ اليهود أسرى إلى بابل، كما هاجم مصر، وبنى برج بابل الشهير.. ولقد استمرت هذه الدولة حتى غزاها الفرس عام ١١٦١ قبل الهجرة وقضوا عليها.

عمرت بلاد فارس بالبشر وكثر عددهم وغزوا العراق وهاجموا مصر وظل الفرس بها إلى أن جاء الإسكندر الأكبر واحتلها، ومن بلاد فارس انتقلت جماعات من السكان إلى أواسط آسيا وصحاريها، ومع مرور الزمن نشأ العنصر المغولي الذي تكاثر وتدفقت هجراتهم نحو الشمال والمشرق، ووصلوا إلى شبه جزيرة الملايو واستراليا وجزر المحيط الهادي، وعبر مضيق بهرنج دخلوا أمريكا وتوزعوا في الأمريكتين فيها.

مزاعم يهودية

يزعم اليهود أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف عام، وأن العرب لم

(١) الأنعام ١٢٩.

يدخلوها إلا بعد الفتح الإسلامي، وهذا يشكل أكبر تزييف للواقع التاريخي.

وفي هذا الموضوع يقول عباس محمود العقاد "ومن أقوال اليهود أن العرب فتحوا فلسطين بعد قيام الدعوة الإسلامية، وأنه لم يكن لهم وجود فيها قبل النبي محمد ﷺ، وقد نجح دعاة الصهيونية في الترويج لهذه الخرافة حتى صدقها الكثيرون من الأوربيين والأمريكان، بل ونجحوا فيها حتى صدقها أناس من العرب أيضا، فسمعنا منهم من يقول إن شأن اليهود في فلسطين كشأن الهنود الحمر في القارة الأمريكية.

لذلك فإنه يتوجب على المسؤلين في البلاد العربية أن يعملوا على حشد الجهود في سبيل تربية الجيل الجديد تربية قومية صحيحة عن طريق إعادة النظر في تاريخنا القومي الذي يظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة علاقة اليهود به، وهذا لن يتم إلا بإدخال هذا الموضوع في جملة المواد الواجب تدريسها ضمن مناهج التعليم في جميع البلاد العربية وإعداد كتب خاصة لتدريس هذه المادة في المدارس بحيث تظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وإصدارها بمختلف اللغات كرد على هذه الإدعاءات الزائفة.

إن من الثابت تاريخيا أن سكان فلسطين الأصليين القدماء، كانوا عربا هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، وعاشوا في وطنهم الجديد كنعان أكثر من ألفي سنة قبل ظهور موسى عليه السلام وأتباعه على مسرح الأحداث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم.

هذه حقيقة تاريخية ثابتة، أيدتها المكتشفات الأثارية الحديثة، وأخذ بها العلماء بالإجماع تقريبا إلا أن كتابنا العرب أغفلوا ذلك لاعتمادهم على الكتابات اليهودية والأجنبية التي قبلوها على علاتها من غير تمحيص، وتركوا اليهود يستعينون على اغتصاب بلادنا بتزييف الحقائق.

إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا.

احتوت التوراة التي كتبها الأحبار بعد عهد النبي موسى عليه السلام على الكثير من المفاهيم الخاطئة التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم فنبهنا إليها بدون لبس وغموض، وقد جاءت المكتشفات الآثارية والدراسات العلمية الحديثة مؤيدة للحقائق الواردة في القرآن الكريم، فينبهنا القرآن إلى فرية ادعاء التوراة المحرفة والقائلة بأن إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب (إسرائيل) أجداد اليهود، وأن اليهود من نسلهما.

يقول الله عز وجل ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

يوضح هذا بأجلى بيان نفي هذا الإدعاء من حيث الأساس، كما تعنى الآية أن عهد إبراهيم الخليل غير عهد اليهود ولا يتصل بعهد اليهود الذي يرجع إلى أكثر من ألف عام بعد عهد إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب.

وينبهنا القرآن الكريم أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان مرتبطا بالجزيرة العربية(بيت الله العتيق) وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيده لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة الخليل بجزيرة العرب.

وينبئنا القرآن الكريم بأن الديانة اليهودية على عهد النبي موسى كانت في أصلها تقر بالبعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، ولكن أسفار العهد القديم تخلوا عن ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه.[2]

إن عصر إبراهيم الخليل عليه السلام عصر عربي قائم بذاته ليست له أية صلة بعصر اليهود، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية بقوله ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ، أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[3].

ويخلط الكثيرون بين تسميات العبرانيين الإسرائيليين الموسيين اليهود، ويعتبرونها مسمى واحداً ذات مدلول واحد، في حين أن كل تسمية لها مدلولها الخاص، ولها عصرها الخاص لذا يجب التمييز بين العبري من جهة وبين .الإسرائيلي أو الموسوي أو اليهودي من جهة أخرى.. فالعبرانيين قبائل عربية عاشت في شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، وفي وقت لم يكن للإسرائيليين والموسويين واليهود أي وجود بعد.

أما الإسرائيليين فهم أبناء يعقوب (إسرائيل) حفيد إبراهيم الخليل، عاشوا في حران (حاران) ولدوا ونشأوا في هذه المنطقة، أما فلسطين فكانت أرض غربتهم بتأكيد التوراة

(١) آل عمران ٦٧.
(٢) د. على عبدالواحد وافي - اليهودية واليهود.
(٣) آل عمران ٦٥.

ذاتها، وقد انتهى بهم الأمر إلى الهجرة إلى مصر والإنضمام إلى يوسف عليه السلام والذوبان في البيئة المصرية.

ثم جاء الموسويون بعدهم بزهاء ستمائة عام، وهم قوم موسى عليه السلام ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وقد انحرفوا عن ديانة موسى وشريعته، وصاروا يعرفون فيما بعد باليهود.. وتأتي تسميتهم باليهود نسبة إلى مملكة يهوذا وقد سباهم نبوخذنصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد.. وهؤلاء اليهود سماهم القرآن الكريم كفارا لكذبهم على موسى وتحريفهم لتوراته فيقول فيهم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِ، ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1].

ولقد فرق القرآن بين بني إسرائيل ذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود المتأخرين من جهة أخرى، وذلك باستعمال إسمين لها، فأطلق اسم "بني إسرائيل" في مواضع الرضا، وسموا "باليهود" في حالات السخط عليهم.

يقول الدكتور **أحمد سوسة**:[2]

عصر إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهو عصر عربي بحت قائم بذاته بلغته وقوميته وديانته، وهو مرتبط بالجزيرة العربية، وبلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها، ولا صلة له بعصر موسى الذي يأتي في وقت لاحق بعد عصر إبراهيم الخليل بسبعمائة عام، كما أنه لا صلة به بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر إبراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام.

إن أرض كنعان (فلسطين) باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل يعقوب، إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين. أما وطنهم الأصلي فهو منطقة حران الحالية حيث كانت العشائر الآرامية التي ينتمون إليها قد

---

(١) آل عمران ٦١.
(٢) د. أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت فروع من هذه القبائل إلى جنوبي العراق(منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها.

إن الإله الذي كان يدعو إبراهيم الخليل إلى عبادته هو الإله (Elه) (الله خالق السموات والأرض) وهو غير إله اليهود الذي ابتدعوه (يهوه)، لأن دعوة إبراهيم الخليل إلى عبادة الإله الواحد هي دعوة عامة موجهه إلى جميع الوثنيين في عصره من غير تمييز بين الناس، ولم يكن قد وجد اليهود بعد.

إن دعوة إبراهيم الخليل إلى وحدانية الله الخالصة هي أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد، وهي عربية لغة ووطنا، لأن اللغة التي كان يتكلم بها إبراهيم الخليل هي اللغة العربية الأم، وموطنها الأصلي الجزيرة العربية، وكانت في تلك الأزمان لغة واحدة يتكلم بها جميع القبائل النازحة من الجزيرة إلى الهلال الخصيب، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الأصلية إلى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية.

وبذا كان إبراهيم رسولا عربيا يحمل رسالة لا تقيدها حدود ولا تقف في سبيلها عصبية الأقوام والأمم.[1]

من افتراءات اليهود وأكاذيبهم

زعم مدونوا التوراة المحرفة من أن هناك وعدا نسبوه إلى ربهم يهوه بمنح بلاد كنعان (من نهر النيل إلى نهر الفرات) لإبراهيم ولنسله من بعده، باعتبار اليهود من نسل إبراهيم، كما زعموا أن هناك أمرًا إلهيا يقضي بإبادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ وطفل وإحراق مدنهم وما فيها بالنار وإحلال بني إسرائيل قوم موسى!!محلهم.

إن عزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والإبادة إلى الله سبحانه وتعال هو من غير شك افتراء محض لأنه لا يمكن أن تعترف أية ديانة سماوية بإبادة بني الإنسان وقتل النفس البريئة، وإنه إفتراء على النبيين الجليلين إبراهيم الخليل وموسى

(١) المرجع السابق.

عليهما السلام، أن تنسب إليهما الرغبة في إبادة الأقوام وقتل الأبرياء.

والمعلوم تاريخيا أن إبراهيم الخليل عليه السلام سكن مع الكنعانيين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق.. كما أنه من المستحيل أن يكون قد نزل على نبي من الأنبياء أمر بالقتل الجماعي الذي نسب إلى الإله العلي القدير، فقد جاء في القرآن الكريم ما يحذر بني إسرائيل من مغبة مثل هذه الأعمال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم، وقالوا هذا من عند الله ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

إن التوراة التي بين أيدينا دونت كما هو معلوم بعد زمن إبراهيم الخليل عليه السلام بألف وثلاثمائة عام وبعد زمن موسى بمقدار ثمانمائة عام، وقد دونها الكتبة والأحبار عن أفواه أسلافهم على الأكثر، فأضافوا وحرفوا ما حرفوا بحسب أهوائهم ونزعاتهم الدينية، حتى أصبح من المتعذر التمييز بين الأصل وبين المضاف أو المحرف، وقد افتروا فيما كتبوه على الأنبياء ونسبوا إليهم في التوراة أعمالا قبيحة تتنافى ومقامهم ومنزلتهم، بل تتنافى مع الفضائل والمثل العليا، ولم يكتفوا بذلك فنسبوا إليهم حتى الزنى، وهذا دليل قاطع على أن الوعد المشروط بالقتل الجماعي والإبادة مختلق من حيث الأساس، إذا لا يمكن أن يكون قد نزل شئ من هذا القبيل من عند الله مطلقا. لذلك فإن بعض علماء اللاهوت من المسيحيين أخذ يدعون إلى عدم اعتراف المسيحية بكتاب العهد القديم ككتاب ديني، وحتى ككتاب تاريخي وثائقي.

يرى سبنسر تريمنغهام الباحث والمستشرق البريطاني وأستاذ العلوم الإسلامية في كلية اللاهوت ببيروت: إن كتاب العهد القديم استخدم ويستخدم لأغراض سياسية لا تقع ضمن إطاره الصحيح، وما استخدامه من قبل المؤرخين وغيرهم كمادة تاريخية لإثبات بعض الأغراض سوى تشويه للحقيقة.

ويقول الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات اللاهوتية العليا:.. وتزعم إسرائيل أنها

---

(١) المائدة ٣٢.

(٢) الممتحنة ٨.

تتبع ديانة العهد القديم وديانه النبي موسى.. وهذا لغو! إن المسيحية وإن جاءت مكملة ومتممة للموسوية، لكن اليهودية غير الموسوية.. إن اليهودية الآن هي ديانة الذين أنكروا المسيح ورفضوا دعوته ورسالته وتعاليمه متطلعين إلى مسيح آخر من طراز شمشوم الجبار وغيرهم من المحاربين الأشداء الذين يقودون المعارك الحربية ليحققوا لشعبهم نصرا ماديا أرضيا، ولا يزالون مرتبطين بفكرة المملكة الأرضية التي تقوم على التوسع المادي والإقتصادي ليسودوا العالم ويحكموه، ويتسلطوا على غيرهم من الشعوب اعتقادا منهم أنهم هم وحدهم شعب الله المختار، وأما غيرهم من البشر فهم حيوانات لها أشكال آدمية.[1]

اليهودية

اليهود قوم عنصريون، يدعون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وعلى هذا فهم يستبيحون كل الشعوب دماء وأموالا، وقد صرح القرآن الكريم بذلك حاكيا قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ﴾[2]، ثم يقولون بما أن اليهود جزء من الله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[3] كما أن الإبن جزء من أبيه ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[4] لذلك فإنه إذا ضرب أممي إسرائيليا فالأممي يستحق الموت.

وقد صور التلمود غير اليهود بأنهم حيوانات في صورة إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير بل الكلب أفضل منهم، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم ويعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية.[5]

يقول التلمود: "إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر" " إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد إلى أممي ماله المفقود".

فاليهودية على هذا النحو لا ترى قيمة لغير اليهودي، وتسعى إلى التخلص منه إذا سنحت الظروف، فهو مستباح الدم مستباح المال وجد ليكون خادما لليهود مستعبدا لديهم.

(١) أنظر الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود - العربي للطباعة والنشر والتوزيع ص ٦٧٤ ٦٧٧ (نقلا عن وثيقة للكنيسة القبطية في مصر - الأنوار البيروتية).
(٢) آل عمران ٧٥.
(٣) التوبة ٣٠.
(٤) المائدة ١٨.
(٥) الكنز المرصود في قواعد التلمود.

وقد اعترف اليهود في كتابهم (سد حـادرون) أنهم قتلوا مـائتي ألـف نصراني فـي رومـا بالإضافة إلى كل نصارى قبرص في عام ٢١٤ م.

يهود اليوم ويهود التوراة

تؤكد الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها الدكتور جمال حمدان[1] أن الصلة الجنسية والجينية بين يهود اليوم ويهود التوراة منبتة وفاقدة تماما من الناحية العملية، وأن يهود اليوم أوربيون سلاف أوآريون أكثر منه ساميين. وفي دراسة قام بها الأنثروبولوجي البريطاني جيمس فنتون عل يهود إسرائيل توصل فيها إلى ان ٩٥٪ من اليهود ليسوا من بني إسرائيل التوراة وإنما هم أجانب متحولون مختلطون في جملتـه اختلاطـا يبعدهـم عن أي أصول اسرائيلية فلسطينية قديمة.

لهذا تسقط ببساطة دعوى قرابة الدم بين العرب واليهود التي روج لها بعض الساسة العرب من قديم، لتحطيم الحاجز النفسي بين العرب واليهود، ففي عام ١٩١٩ خاطب فيصل بن الحسين الهاشمي الذي أصبح ملكا على العراق القاضي الأمريكي اليهودي فيلكس فرانكفورتر قائلا: إن العرب واليهود أبناء عم من الناحية العنصرية.. وأننا سنرحب باليهود ترحيبا قلبيا في عودتهم إلى البلاد.. وهناك مجال في سوريا يتسع لنا جميعا.. ويؤكد ذلك في مؤتمر الصلح بباريس في نفس العام فيعلن أن:

"هناك صلات وثيقة من القرابة والدم بين العرب واليهود، كما أنه ليس ثمة تعارض واضح في الصفات المميزة للشعبين."

وتعود نفس النغمة بعد أكثر من سبعين عاما لنسمع مـن يـردد مـن الساسـة الانهزاميين الذين أصابهم الوهن ليعلنوا على الملأ أن العرب واليهود عاشوا مراحل طويلة في التاريخ جنبا إلى جنب وفي صداقة وتعاون كأقارب وجيران!

عميقة إذن هذه الأفكار الانهزامية الاستسلامية!!

يهود اليوم قوم غرباء لا علاقة لهم البتة بإسحق فضـلا عن إسماعيل.. ولا يمكن أن يكون يهود أوربا والعالم الجديد أقارب العرب جنسيا أكثر من قرابة الأوربيين

(١) جمال حمدان ـ اليهود أنثربولوجيا ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
جمال حمدان ـ عالم مصري ـ قيل أن يد الغدر اليهودية اغتالته في منزله.

والأمريكيين للعرب! إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين بل هم في الأعم الأغلب بعض وجزء منهم وشريحة لحما ودما وإن اختلف الدين. ومن هنا فإن اليهود في أوربا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون في المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت، وإنما هم من صميم أصحاب البيت نسلا وسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء في منفى ودخلاء لا جذور فذاك في البيت العربي وحده في فلسطين حيث لا يمكن لوجودهم إلا أن يكون استعمارا واغتصابا بالقهر والابتزاز وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ أنثروبولوجيا وغير أنثروبولوجي.

مفاهيم إسلامية يحرص المعلم على غرسها

الإنسان هو خليفة في أرض الله:

الإنسان مستخلف في هذه الأرض لعمارتها واستثمار خيراتها التي هي لكل البشر بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُم فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنهَا تَأكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرَحُونَ ۝ وَتَحمِلُ أَثقَالَكُم إِلَى بَلَدٍ لَم تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالخَيلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَركَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخلُقُ مَا لا تَعلَمُونَ ۝ وَعَلَى اللَّهِ قَصدُ السَّبِيلِ وَمِنهَا جَائِرٌ وَلَو شَآءَ لَهَدَاكُم أَجمَعِينَ﴾[2].

كل ما في هذا الكون وبخاصة الأرض مسخر للإنسان.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً مِّنهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]

العمل والإنتاج عبادة

الإنسان مطالب بالعمل.. حيث أن الكسل والقعود عن طلب الرزق أمر منهي عنه وطلب الرزق ليس غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة ليستطيع الإنسان أن يؤدي واجبه ﴿وَقُلِ

(١) البقرة ٣٠.
(٢) النحل ٥.
(٣) الجاثية:

اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ﴾[1]

لا فرق بين الغني والفقير، فلا المال يعفي صاحبه من أداء واجباته، ولا الفقر ينقص صاحبه حقا من حقوقه.

الإنسان يتحمل مسئولية عمله في الدنيا أمام النظام وفي الآخره أمام الله، وشرط العمل أن يكون مشروعا غير محرم بألا يكون فيه ضرر للناس مثل الاحتكار والغش والربا وألا يكون فيه شغل عن العبادة. روى عنه ﷺ "العمل عبادة"، " من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة".

اتقان العمل والإنتاج من تعاليم الإسلام: أوجب الإسلام اتقان العمل والإنتاج ويعتبر ذلك أمانة ومسئولية لقوله تعالى ﴿وَلَتُسئَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾[2] ولقوله ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

الإسلام ينهى عن الإحتكار

نهى رسولنا ﷺ عن احتكار السلع فقال "من احتكر حكرة يريد أن يغالى بها على المسلمين فهو خاطئ"، ويقول "الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون"، "الجالب في سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله".

المال مال الله والبشر مستخلفون فيه

كل ما في يد البشر من مال هو ملك لله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ﴾[3] والبشر مستخلفون فيه ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ﴾[4] كما يقرر الإسلام أن حيازة المال ليست امتلاكا، وإنما هي وديعة أو وظيفة يلتزم فيها بتعاليم الإسلام يؤدى فيها حق الله الذي يعلو فوق كل الحقوق.

عنه ﷺ "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم".

(1) التوبة ١٠٥.
(2) النحل ٩٣.
(3) النجم ٣١.
(4) الحديد ٧.

النظام الإسلامي يحمي الملكية الفردية

يحمي الإسلام الملكية الفردية بشرط أن يكون الحصول عليها بطريقة مشروعة، وألا يكون في تملكها ضرر عام، وأن يحسن المالك القيام بأمرها واستثمارها وعدم تعطيلها، وأن يؤدى ما عليها من زكاة أو خراج كذلك، يأمر الإسلام بإنفاق المال ولكن لا يبيحه في الترف والبذخ ولكن في الإنفاق في سبيل الله.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَموَالِهِم حَقٌّ مَّعلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالمَحرُومِ﴾(١)

كيف يتخلص المعلم مما علق بالمادة المكتوبة من سموم وتحريفات

- تعرض المادة المكتوبة على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم تعرض على كل ما أنتجه العقل المسلم في مضمار العلم والمعرفة، وكل ما يتفق مع مبادئ الدين الحنيف.
- تطوير العناصر الإيجابية في المادة المكتوبة، وإبعاد العناصر الدخيلة أو تطويرها بما يتناسب وهوية الإنسان المسلم.
- وزن الإنجازات العلمية والحضارية بميزان الإسلام، والفطرة الإسلامية السليمة.
- تنقية المادة المكتوبة من التشويهات العنصرية الإقليمية الضيقة.
- الإستفادة من الإتجاهات العلمية الحديثة.
- الأخذ في الإعتبار أن الشعوب الإسلامية وحدة واحدة وإن اختلفت أنظمة الحكم، واتجاهاتها حيث تعرضت تلك الشعوب لتيارات تاريخية واحدة.
- تثبيت الفهم الإسلامي الأصيل.
- إدراك الدور الحقير الذي لعبته اليهودية على مر العصور، ومدى خطورته على فكر الشعوب وعقائدهم.
- إبراز الدور الحضاري الإسلامي على مر العصور، ومدى إسهاماته في بناء الحضارة الإنسانية.

(١) المعارج ٢٤-٢٥.

- تجنب مشاعر التعصب والتفريق بين جماعات المسلمين، وتجنب الدعوات التي تثير كل ماله تأثير شعوبي أو جنسي كالدعوة إلى القومية أو التعصب العرقي.
- المسلمون جميعا أمة واحدة، فما يحدث في البلقان يشعر به المسلم في كل مكان، وما يحدث في القوقاز يتألم له الجميع من أبناء الأمة المسلمة.
- أهل الكتاب في الدولة الإسلامية، مواطنون لهم حق المواطنة يعيشون في كنف الدولة الإسلامية تُراعي عقائدهم، وتُحترم مشاعرهم بشروط.



الفصل الخامس

صفحات من التاريخ الأسود لبني إسرائيل

- قراءة في بروتوكولات صهيون.
- الماسونية.
- حقيقة النظريات العلمية.
- أباطيل صهيونية.
- المؤامرة على اللغة العربية.

صفحات من التاريخ الأسود لبني إسرائيل

إن الصراع القائم حاليا بين العرب واليهود الصهاينة ليس صراعا عربيا فحسب بل هو صراع بين الكفر والإيمان.. بين الحق والباطل، بين المسلمين واليهود.. وعدوان اليهود على المسلمين في بلادهم وعقر دارهم أمر معلوم مشهور..

إن مواقف اليهود ضد الإسلام وبني الإسلام معلومة ومشهورة قد سجلها التاريخ وتناقلتها رواة الأخبار، بل قد شهد بها أعظم وأصدق كتاب على الإطلاق ألا وهو كتاب رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾(1)

اليهود شعب الله المختار!!

لحكمة ما أخرج الله تعالى أمة اليهود، وناط بها دورا تؤديه في التاريخ، ولكنها لم تستجب لدواعي الخير ولم تستقم على طريق صراط الله المستقيم، وجحدوا فضل الله عليهم، وجحدوا أنبيائهم وجحدوا كل فضل قدمه إليهم أحد من البشر، وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل أو الطمع أو الجشع والحسد وقساوة القلب، كرهتهم كل أمم الأرض لخصالهم تلك، فانطووا على أنفسهم، يملأ الحقد نفوسهم على الأمم كلها، يريدون أن يقضوا على كل شعوب الأرض ليبقوا هم وحدهم.

اختارهم الله تعالى ذات يوم، وكانوا شعب الله المختار ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾(2) ولكنهم سقطوا عند الابتلاء وجحدوا نعم الله ولم يرعوها حق رعايتها، فنزع العهد منهم ورفع الاختبار عنهم ومنحه لأمة سواهم.. نزع العهد عن شعب الله المختار تحقيقا لسنة الله الجارية ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(3).

التاريخ الأسود لبنى اسرائيل

نزع الله تعالى العهد من بنى اسرائيل لجحودهم ولم اقترفوه فى الأرض: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ. فَقَالُوا: أَرِنَا

(1) سورة المائدة الآية82
(2) سورة الدخان 31-32.
(3) سورة البقرة 124.

اللّـه جَهرَةً فَأَخَذَتهُمُ الصَّاعِقَةُ بظُلمِهِم. ثُـمَّ اتَخَـذُوا العِجْـلَ مِن بَعدِ مَا جَـاءَتهُمُ البَيِّنَـاتُ فَعَفَونَا عَن ذَلِكَ وَآتَينا مُوسَى سُلطَاناً مُبيناً ﴿﴾ وَرَفَعنا فَوقَهُمُ الطُّـورَ بِـمِيثَاقِهِم وَقُلنَـا لَهُـمُ: ادخُلُوا البَابَ سُجَّداً، وَقُلنا لَهُم لا تَعدُوا فِي السَّبتِ. وَأَخَذنَا مِنهُم مِّيثَاقـاً غلِيظـاً ﴿﴾ فَبِـمَا نَقضِهِم مِّيثَاقَهُم وَكُفرِهِم بآيَاتِ اللّـه وَقَتلِهِمُ الأَنبِيَاءَ بغَيرِ حَقّ، وَقَولِهِم.قُلُوبُنَا غُلفٌ بَلْ طَبَـعَ اللّـهُ عَلَيهَا بكُفرِهِمْ فَلاَ يُؤمِنُونَ إلاقَلِيلاً ﴿﴾ وَبكُفرِهِم وَقَولِهِم عَلَى مَريَمَ بُهتَاناً عَظِيمـا ﴿﴾ وَقولِهِم إنَّا قَتَلنَا الـمَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَريَمَ رَسُولَ اللّـهِ، وَمَا قَتَلُـوهُ وَمَـا صَلَبُـوهُ ولَكِـن شُبِّهَ لَهُم. وَإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكّ مّنهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُـوهُ يَقِينـاً ﴿﴾ بَل رَّفَعَهُ اللّـهُ إلَيهِ وَكَانَ اللّـهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿﴾ وَإِن مِّن أَهـلِ الكِتَـابِ إلاَّ لَيُؤمِنَـنَّ بِـهِ قَبلَ مَوتِهِ وَيَومَ القِيَامَةِ يَكُـونُ عَلَيهِـم شَـهِيداً ﴿﴾ فَبِظُلـمٍ مِّـنَ الَّذِيـنَ هَـادُوا حَرَّمنَـا عَلَيهِـم طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُم وَبِصَدِّهِم عَن سَبِيلِ اللّـهِ كَثِيراً وَأَخذِهِـمُ الرِّبَـا وَقَـدْ نُهُـوا عَنـهُ وَأَكلِهِـم أَموَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَأَعتَدنَا لِلكَافِرِينَ مِنهُم عَذَاباً أَلِيماً﴾[1] لذلك رفع الاختيار عنهم ومنحـه لأمة الاسلام ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَـت لِلنَّاسِ تَـأمُرُونَ بِالـمَعرُوفِ وَتَنهَـونَ عَـنِ الـمُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّـهِ﴾[2] فاشتد حسد اليهود وحقدهم منذذلك الحين وجهدوا جهدهم كلـه لمحاولـة القضاء على الأمة الاسلامية فى مهدها حتى يئسوا فانكمشوا إلى حين .ولكن حقدهم ظـل معهم، بل ظل يتزايد على طـول الزمـان، وزاد تصميمهـم الخبيث علـى نشر الشر فـى الأرض وسحق كل أمة عداهم، حتى واتتهم الفرصة السانحة فى العهد الأخير

يقول التلمود[3]: "الأمميون (غير اليهود) هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، وكلما نفق حمار ركبنا حمارا آخر"

" اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ومحرم على اليهودى أن ينجى أحدا من بـاقى الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين "

" إذا سرق أولاد نوح أى من غير اليهود شيئا ولو كانت قيمتـه طفيفـة جـدا يستحقون الموت، لأنهم خالفوا الوصايا التى أعطاها الله لهم، أما اليهود فمصـرح لهـم أن يضروا الأممى " [4]

" إن تجارة البغاء بالأجنبى والأجنبية ليست إثما، لأن الشريعة براء منهما "

(١) سورة النساء ١٥٣-١٦١.
(٢) سورة آل عمران ١١٠
(٣) التلمود كتاب اليهود المقدس غير المنزل والذي هو من تأليف خبثائهم.
(٤) د. روهلننج وآخر - ترجمة يوسف حنا نصر الله - الكنز المرصود - بيروت (أنظر محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق)

ادعى اليهود على الله تعالى كذبا أنه عز وجل أذن لهم باستعباد البشرية واستحمارها وتسخيرها لصالحهم، ورأوا أن ذلك لن يتم إلا بنشر الفساد فى الأرض ونزع عقائد الأممين وافساد أخلاقهم "ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر وانقلب شبابهم مجانين بالكلاسيكيات والمجون المبكر الذى أغراهم به وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا ونساؤنا فى أماكن لهوهم والراغبات من زملائهن فى الفساد والترف "(1)

" يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورات مادية "(2)

ما كان لليهود أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من نجاح لو ظل العالم الإسلامى متمسكا بدينه وعقيدته، وبقى العالم المسيحى على عقيدته رغم فسادها.. كانت العقيدة فى أوربا فاسدة ولكنها كانت تدعو إلى الفضيلة وتحذرهم من حبائل الشيطان وفتنة الجنس، وكانت الأسرة متماسكة، والشباب يتزوج مبكرا والاختلاط محدودا.

ولكن الحماقات المتوالية للكنيسة والخطايا التي ارتكبتها فى حق الدين وحق الناس صدعت الكيان الدينى وأوجدت الثغرات الواسعة التى نفذ منها الشريرون، واستطاع اليهود بعد نجاحهم فى اشعال فتيل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية، أن يعيثوا فسادا بكل قوتهم، عن طريق البنوك الربوية والإقراض بالربا، وأن يتسلموا قياد المجتمع الأوربى الآخذ فى الانسلاخ من دينه بتأثير انحرافات الكنيسة وخطاياها.

قراءة فى بروتوكولات صهيون

عقد زعماء اليهود مؤتمرهم الأول بمدينة بال بسويسرا عام١٨٩٧م برئاسة اليهودى النمساوى " تيودور هرتزل "(3) (١٨٦٠-١٩٠٤)، وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أعتى خبثاء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، ليتدارسوا الوسائل العملية الكفيلة لتمكين اليهود من السيطرة على العالم، وإعادة بناء دولتهم علىأيدى الرومان فى فلسطين.

(1) البروتوكولات ومحاضرهم السرية (البروتوكول الأول)
(2) البروتوكول الرابع.
(3) هرتزل: مؤسس الصهيونية العالمية، في عام ١٨٩٥ ألف كتابه "الدولة اليهودية" - توفي في مدينة أولاخ سنة ١٩٠٤ م. ونقلت جثته إلى فلسطين ودفن فيها.

ونجح المؤتمر فى تجميع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات فى التاريخ..أحاطوها بسرية وتكتم بالغين، وهى ما عرفت باسم " بروتوكولات حكماء صهيون "والمستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التوراة والتلمود.

أحاط اليهود قراراتهم بأشد أنواع الكتمان والتحفظ، ولكن القدر جرى على خلاف ما دبروا، فقد استطاعت امرأة فرنسية كانت عشيقة لأحد حاخاماتهم أن تختلس بعض هذه الوثائق، وتسلمها إلى العلماء الروس ليدرسوها دراسة دقيقة كافية، ويقارنوا بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ، ويفسروا الأحداث الخطيرة التى وقعت بعد ذلك بسنوات، والتى كان لها دوى هائل فى جميع أنحاء العالم، منها تخطيطهم لتحطيم القيصرية فى روسيا ونشر الشيوعية، ومنها تخطيطهم لسقوط الخلافة العثمانية على أيدى اليهود قبل تأسيس اسرائيل، ومنها تخطيطهم لعودة اليهود إلى فلسطين وقيام الكيان الصهيونى فيها.

ومنها إثارة حروب عالمية يخسر فيها الغالب والمغلوب معا ولا يظفر بمغانمها الا اليهود.وكذلك نشرهم الفتن والقلاقل والأزمات الاقتصادية الدولية.

وبعد أن فضح الله نيات اليهود الإجرامية، جن جنونهم خوفا وفزعا، من أن يتنبه العالم إلى خططهم ومؤامرتهم، فهبوا كدأبهم ينكرون هذه المقررات، ويعلنون أنها ليست من عملهم، وأنها قد زيفت عليهم. ولكن التاريخ بأحداثه أكد أنهم صانعيها. إن ما يعرف باسم "بروتوكولات حكماء صهيون " يتضمن أربعة وعشرين مستندا مختصرا، ولا شك أن هناك بروتوكولات كثيرة أقدم من هذه، كما أن هناك بروتوكولات كثيرة جاءت بعدها، ولكن العالم لا يعلم عن هذه وتلك شيئا لأنها بقيت أسرار فى طى الكتمان[١].

حين انتهى المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧، صهر هرتسل في ذلك المؤتمر والمؤتمرات اللاحقة الكتل اليهودية المتباينة في أهدافها وخططها، وصار يمثل فيه جميع يهود العالم على اختلاف نزعاتهم ومشاربهم، ويفرض عليهم في المؤتمر أن ينسوا خلافاتهم المذهبية والسياسية، وأن يوحدوا خطتهم للعمل من

(١) أنظر د. عبدالستار فتح الله سعيد - معركة الوجود بين القرآن والتلمود - دار الطباعة والنشر الإسلامية - فؤاد سيد الرفاعي - حقيقة اليهود - دار صلاح الدين - د.حمود الزحيلي - الصهيونية وخطرها على البشرية - دار العاصمة، عبدالمنعم شميس - الصهيوني العالمي - كتب سياسية.

أجل تحقيق الصهيونية ولم يسمح المؤتمر بالمعارضة السياسية فيما يتعلق بالأهداف الأساسية لليهود.

نجح هرتسل في جمع حكماء صهيون الذين صدرت عنهم أخطر مقررات Protocols في تاريخ العالم.

كانت هذه المقررات منها العلنية والأخرى السرية، أما العلنية فخلاصتها العمل على تأسيس دولة لليهود في فلسطين، ويمهد لذلك بتقوية الحركة الزراعية وشراء الأرض لليهود في فلسطين، وتنمية موارد اليهود المالية، وانعاش الثقافة العبرية والمشاعر الوطنية بين جميع اليهود.

أما المقررات السرية فقد اكتشفت بطريقة بوليسية جريئة خلاصتها:

أن البوليس السري الروسي الذي كان يتعقب الجماعات السرية اليهودية قد بلغه خبر ما يصنعه زعماء اليهود بسويسرا، فأنفذ عصبة مختارة من رجاله متنكرين بمهارة فائقة إلى سويسرا، ووصل رجال البوليس السري إلى مكان اجتماع اليهود واستطاعوا الدخول إلى البناية وأن يشعلوا النار حول الطابق الذي يجتمع به حوالي مائة من دهاة شيوخهم ومفكريهم، وفي لحظات انتشرت النار وملأت الغرف والردهات فصعق اليهود، وجن جنونهم، وطار صوابهم، ولم يبق أمامهم إلا النجاة بأنفسهم حاملين معهم ما يمكن انقاذه من أوراق متناثرة على المكاتب.

وفي الوقت نفسه تسلل أفراد البوليس القيصري الشجعان إلى مكان الاجتماع وجمعوا ما في الأدراج وما على الموائد من أوراق ومحاضر، وانطلقوا قبل وصول البوليس السويسري الذي حضر ولم يجد أثرا لليهود أو لأفراد البوليس الروسيين وانتقلت الأوراق إلى بطرسبرج، واطلعت حكومة القيصر على مضمونها، فوجدت أن من جملتها صحائف بالعبرية بشكل مسودات فبذلت جهدا كبيرا حتى نظمتها، ثم ترجمتها إلى الروسية على يد الكاتب الروسي سرجي نيلوس Serggii Nilus سنة ١٩٠٥ ونشرت تلك المقررات حاملة اسمها الحالي (مقررات حكماء صهيون protocols of the Learned Elders of Zion)

ووصلت نسخة منها إلى المتحف البريطاني سنة ١٩٠٦ وتسربت ترجمتها من هناك رغم السرية الشديدة التي أحاطت وجود النسخة في المتحف، ثم ترجمت إلى لغات

كثيرة رغم مقاومة اليهود وتهديداتهم لكل من له علاقة بترويج نشر تلك الأسرار [١].

خلاصة الخطة اليهودية

دعت بروتوكولات حكماء صهيون، ومجموعة التقارير والتوصيات السرية التي صدرت عن مؤتمرهم الأول سنة ١٨٩٧ م إلى: تحطيم العالم في عقائده وأخلاقه حتى يتمكنوا من القفز إلى السلطة العالمية بلا مقاومة، عن طريق نشر الإلحاد والفلسفات المادية والقضاء على الأديان غير اليهودية.

جاء في **البروتوكول الرابع** "يجب أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود، وأن نضع مكانها عمليات حسابية.. أورغبات مادية، وعندها يصير المجتمع منحلا ومنبغضا من الدين والسياسة وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد، وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب متخذا اللذات المادية التي يستطيع أن يمده بها الذهب مذهبا اصيلا، وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين دون احتجاج بدافع نبيل ولا رغبة في الثورات بل تنفيسا عن كراهيتهم المحضنة للطبقات العليا"[٢]

- وجاء في **البروتوكول السابع عشر** "ولقد عنينا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود، والحط من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا في الإضرار برسالتهم التي تنحصر في تعويق أهدافنا والوقوف في سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام، وأن حرية العقيدة معترف بها اليوم في كل مكان، ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع سنوات، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك. ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة. وسنعجل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافها، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترا إلى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا.[٣]
- وجاء في **التلمود** " حيث أن المسيح كذاب وحيث أن محمدا اعترف به، والمعترف

(١) عبدالله التل - جذور البلاء - دار الإرشاد.
(٢) ألم يحل المال واكتناز الذهب محل الدين في النفوس إلا من رحم ربي؟؟
(٣) ألم يقوضوا العقيدة وأحكامها في النفوس ؟ وألم يسخروا من العلماء المسلمين ويحطوا من قدرهم، ويصفوهم بالرجعية والتخلف؟؟ ماذا يحدث في أجهزة الإعلام المختلفة؟ وكيف صوروا المشايخ والوعاظ؟

بالكذاب كذاب مثله، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول".

- وجاء في **البروتوكول الرابع عشر**: "عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا، من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد وإذا كانت النتيجة التي توصلنا إليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين، فإن هدفنا لن يتأثر بذلك، بل يكون ذلك مثلا للأجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى. هذا الدين الذي فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا"[١].

- جاء في **البروتوكول الحادي عشر**: "..غير اليهود قطيع من الأغنام أما نحن فإننا الذئاب، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها؟! إنها تغمض عينها، وسندفعهم إلى ذلك"[٢].

- وفي **البروتوكول الخامس عشر**: "..ولكي نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين بلوغنا السلطة سننفذ أحكام الإعدام بلا رحمة في كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا".

(كم سقط من الشهداء؟ وكم أعدم من الرجال؟... ألخ).

- وفي البروتوكول الأول: يتحدث عن الحق الذي يكمن في القوة[٣]، والحرية السياسية التي يستخدمها اليهود طمعا في استمالة الجماهير واغتصاب قواها وكيف قضى الذهب على سلطة الدين، وأنه لا أخلاق في الكفاح للوصول للغاية ولا أخلاق في السياسة.

ويتحدث عن اليهودية الماسونية التي لا تقهر، وتشجيع الإدمان على الخمر والفساد لتتبلد الأذهان ويصاب الشباب بالعقد، والإستعانة بالخدم والمربيات اللاتي يعملن على

---

(١) يرى اليهود أنهم شعب الله المختار وأن العالم لم يخلق إلا لهم ومن حقهم وحدهم استعباده وتسخيره، فما عداهم من الأمم كفرة "جوييم" وثنيون خلقوا من طينة شيطانية والهدف من خلقهم خدمة اليهود.

(٢) أنظر يا رعاك الله ماذا يجري اليوم على الساحة: في لبنان والأرض المحتلة وأرض الكنانة وحوض الخليج بعد مؤتمر مدريد والسلام الزائف ومؤتمر قمة صانعي الاستسلام في شرم الشيخ المصرية واستقبالات دولة السيد الصهيوني والعدوان على لبنان وقصف المدنيين ومذابح قانا والنبطية في أواخر ذي القعدة وأوائل ذي الحجة سنة ١٤١٦هـ - إبريل ١٩٩٦م. والمسماه بعملية عناقيد الغضب (والتي سلط الله عليها حزب الله فحولها إلى عناقيد الفشل).

(٣) كم تملك اسرائيل اليوم من أسلحة وعتاد ونسى المسلمون قول الله عز وجل {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...}

نشر الفسق والخمر، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو ونساء المجتمع اللواتي يقلدن سواهن في حياة الفسق والترف.

.. يجب أن يكون شعارنا استخدام جميع وسائل القوة والرياء. ودستورنا البطش أولا، ثم لا نتردد في شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلك يخدم قضيتنا.

.. كنا أول من اخترع كلمات الحرية والمساواة والإخاء التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون تفكير أو وعي. وهي كلمات جوفاء لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الاختلاف بل التناقض التي يشيع في مدلولها.

- وجاء في المحضر الثاني: أنظروا إلى نجاح مذاهبنا التي جاء بها دارون وماركس ونيتشه. إنها من صنع رؤسائنا وكان لها تأثير كبير على عقول الخوارج... الصحافة قوة كبيرة خطيرة وقعت في قبضتنا ومازلنا وراء الستار.[1]

- وفي المحضر الثالث: لم يبق أمامنا إلا قطع مسافة قصيرة ثم تغلق دائرة الحية الرمزية، ومتى أغلقت هذه الدائرة تحصر الشعوب الأوربية بين مخالبنا القوية، لقد وسعنا الفجوة بين الحكام وشعوبهم وبذلك أضعفنا الفريقين ليسهل علينا السيطرة عليهما[2] ألبنا جميع السلطات بعضها على بعض.

- .. تقضي مصلحتنا في بقاء العامل فقيرا عاجزا ليظل خاضعا لمشيئتنا وإرادتنا، باستغلال شعور الغيرة والحقد في نفوس العمال البؤساء..

- وفي البروتوكول العاشر: ".. يجب بث الإضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجا للأرزاء التي تحل بهم سوى الإلتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة"[3].

- وفي البروتوكول الخامس عشر: ".. إلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى

(١) ألم يسيطر اليهود اليوم على ناصية الصحافة ووكالات الأنباء والدعاية والإعلان.. الصور العارية الخليعة والملاحق القذرة والأخبار الملفقة والمصنوعة في معامل اليهود.

(٢) أليست الشعوب المستضعفة المستذلة الخانعة تعيش في واد وحكامها في واد!! الحكومات المستبدة تفعل ما تشاء.

(٣) ماذا يحدث اليوم بين ما يسمونه بالإرهاب والتطرف وردة الفعل على طول الساحة من المحيط إلى المحيط واستهلاك طاقات الشعوب المادية والمعنوية.

السلطة سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم، وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصائد، وسنتألف هذه القيادة من علمائنا.." [(١)].

- وفي **البروتوكول الثالث عشر**: ".. لقد خدعنا شباب الكفار (أي غير اليهود) وأدرنا رأسه وأفسدناه بتلقيه المبادئ والنظريات التي نعرف أنها خاطئة على الرغم من أننا الذين قمنا بتعليمها.. لكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خطر أي عمل جديد سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرا.."[(٢)].

نعم لقد أفسد الفن الرخيص الداعر عقول الناس وأخلاقهم، وشغلهم عن كل عمل فيه خير لأمتهم، وعن التفكير فيما ينفع، وشغلوهم باللهو واللعب والرياضة وخاصة كرة القدم.

وتولى كبر الجريمة في بلادنا المغنيات والعواهر، فشجعن على الفحش والدعارة فتزعزع الإيمان وتدمرت الأخلاق، حتى أصبح الشباب في معظمهم يقلدوا المعتوهين في حماقاتهم، ويرددون النغمات التي تبعث وتثير الغرائز كأحاديث القرود، وإعلانات الفن والرياضة اليهودية.[(٣)]

- جاء في **المحضر العاشر**: "لابد من تحطيم الأسرة غير اليهودية والقضاء على تأثيرها الثقافي وأن نحول دون خروج أي رجل ذكي من قبضتنا، سننشر بين الشعوب أدبا مريضا قذرا.. يساعد على هدم الاسرة، وتدمير جميع المقومات الأخلاقية".

جعلوا المرأة أداء للأهواء والرغبات وخدعوها بشعار - تحرير المرأة - فدمروا نفسيتها وحطموا أنوثتها، ودفعوها في الطريق المظلم، وجعلوا المرأة تسعى لكسر حاجز

(١) أصبحت الشخصيات البارزة والمسئولة في مجتمعاتنا ماسونية في أندية الروتاري والليونز وغيرها.

(٢) أساتذة الجامعات - عمدءا الكليات والمعاهد الأكثر عداء للإسلام — سلمت لهم المناصب الهامة ليلقنوا الأجيال بتلك النظريات الهدامة والأفكار الملحدة، كنظرية دارون وغيرها، وفي وزارات التربية أصبحت منظمة اليونسكو التي معظم أعضائها من اليهود أو من أذنابهم هي المسيطرة على المناهج والسياسات التعليمية.

(٣) أنظر حقيقة اليهود لفؤاد سيد الرفاعي.

الشرف والعفة والخلق الذي يحمي من السقوط، ولم تكتشف المرأة المسلمة المغرورة أبعاد المؤامرة، فانتشر الانحراف وأقراص منع الحمل، ولايزال اليهود يركزو على هذا التخريب.

الماســـونية

الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وكلمات السر فيها، وفي إيضاحاتها، يهودية من البداية حتى النهاية[١].

والماسونية هي الإسم الجديد للشريعة اليهودية المقنعة، ورموزها وتقاليدها يهودية[٢] وهي من أخطر الجمعيات السرية في العالم، وأقدمها وأبعدها أثرا في مجرى أحداث التاريخ، ويطلق عليها البناؤن الأحرار Freemason [٣] تزعم أنها مؤسسة فلسفية تحب الخير للإنسانية وترجو لها الرقي والتقدم وتهدف إلى البحث عن الحقيقة، وترمي إلى تحقيق الأخلاق الدنيوية وتطبيق أسس التعاون والتآزر، وتتخذ من وسائل الرقي المادية والمعنوية أساسا للتعامل الإجتماعي والفكري للإنسانية، فمن مبادئها التسامح المتبادل، واحترام الغير، وحرية الضمير وترك ما يتعلق بما وراء الطبيعة للقناعة الشخصية، وتصرف النظر عن الحماس الديني والمذهبي وأن دستورها هو الحرية والمساواة والإخاء البشري، وغايتها هو تعميم الأخوة الماسونية السائدة بين أعضائها كي تشمل البشرية كلها، ولا تتخذ من اختلاف الدين والعرف واللغة أساسها للتفريق بين أعضائها، وهي بذلك لا تشجع التزام الأديان ولا تناصرها وأن كل ماسوني حر يعمل بدافع ذاتي.

شروط الانتماء إلى الماسونية

(١) أن لا يكون المنتمي إليها متدينا، وأن يلتزم العضو بكتمان السر لأن ذلك يدل على ضبط النفس والدقة في العمل.

---

(١) عن الحاخام الدكتور Isaac Wise في مجلة The Israelite of America أغسطس سنة ١٨٦٦
Masanary is a Jewish institution whose historyK degreesK chargesK pass words and explanation are jewish from begining to end.

(٢) جواد رفعت أتلخان - اسرار الماسونية ص ١٩

(٣) عبدالله التل - جذور البلاء ص ١١٦

(٢) التزام الماسونيين الذين بيدهم زمام الأمور أن يأتوا بالماسونيين إلى الحكم، وأن يقربوهم من كراسيه وأن يكثروا من عددهم فيه.

أهداف الماسونية

تعمل الماسونية في الخفاء للسيطرة على العالم عن طريق بث أفكارها، وتطعيم أكبر مجموعة من الكتل البشرية بهذه الأفكار.

جاء في البيان الماسوني سنة ١٧٤٤: من أسرار اتحادنا هو تأسيس جمهورية ديمقراطية عالمية خفية.

ومن أهداف الماسونية محاربة الأديان وصيانة الدول اللادينية العلمانية، ولذا فهي تستسيغ الإرهاب بالتجرد عن مفاهيم الأخلاق والضمير.

" سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حربا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو (الدين) وهكذا سوف ننتصر على العقائد الباطلة وعلى أنصارها"[١]

" إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة"[٢]

" إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم.. إنما غايتنا الأساسية هي إبادته من الوجود"[٣]

" لا يعنينا كفر الملحد أو ثواب المتدين أو وصف الجنة والنار، وإذا وجد من يحاول العمل على ساحة الدين فنتركه وشأنه مع الله.. وإذا أصر على رأيه نرجو منه أن يتركنا، وألا يدخلنا بينه وبين الله" [٤]

وتسعى الماسونية إلى السيطرة على الشبيبه " دعوا الكهول والشيوخ جانبا وتفرغوا للشباب بل تفرغوا حتى للأطفال.. إن الإنطباعات الأولى لا تنسى وعليه يجب أن تبنى هذه الإنطباعات على أساس أفكارنا، ولابد من تربية الأطفال بعيدا عن الدين.. إن

---

(١) المحفل الماسوني الأكبر سنة ١٩٢٢ ص ١٩٨
(٢) مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ ص ٨٦٠
(٣) المؤتمر الماسوني العالمي سنة ١٩٠٢ ص ١٠٢
(٤) مجلة كاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ ص ٨٦١

الماسونية تستعين بالفرق والأندية الرياضية والجمعيات الموسيقية والدورات لإدامة نفوذها بين أوساط الشبيبة"

"باسم الماسونية اقضوا على الروح العسكرية، واقيموا المشاعر الإنسانية، مقام النظام العسكري، واقتلوا روح إخاء السلاح بين الضباط لتسيطروا على الجيوش بهدوء وتؤدة "

صلة اليهودية بالماسونية

جاء في بروتوكولات أشقياء صهيون

"... وإلى أن يأتي الوقت الذي نصل فيه إلى السلطة سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار في جميع أنحاء العالم وسنجذب إليها كل من يصير أو يكون معروفا بأنه ذو روح عامه.. هذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التي سنحصل على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية.. وسوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادة من علمائنا.. وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون كي نحمي المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة.. وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم وفي رسم نظام اليوم، وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصائد لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية، وإن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا سنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل.

وكل الوكلاء Agents في البوليس الدولي السري تقريبا سيكونون أعضاء في هذه الخلايا. وحينما تبدأ المؤامرات خلال العالم فإن بدءها يعني أن واحدا من أشد وكلائنا إخلاصا يقوم على رأس هذه المؤامرات..

.. الأمميون يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية عن فضول محض أو على أمل نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التي تجري فيها، وبعضهم يغشاها أيضا لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل.. الأمميون (غير اليهود) يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافا بلا تحفظ، ولذا نتركهم يظفرون بنجاحهم لكي توجه لخدمة مصالحنا كل من تتملكها مشاعر الغرور ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية.

.. وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة بإثارة غروره، وإعجابه بشخصه وكيف يسهل - من ناحية أخرى - أن تثبط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة ولو بالسكوت ببساطه عن تهليل الاستحسان له وبذلك ندفعه إلى خضوع ذليل [1].

تغلغل الماسونية في الشرق الإسلامي

تغلغلت الماسونية في الشرق الإسلامي بعد أن تغلغلت في جميع الأوساط الأوربية والأميركية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وقد نشرها الافرنج وأعوانهم المتفرنجون في مصر والبلاد الإسلامية، واستطاعت أن تخدع كثيرين من زعماء العروبة والإسلام من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسعد زغلول، وعدد لا يحصى من الزعماء والعلماء والملوك والوزراء، وكبار الشخصيات البارزة الذين أعمتهم الماسونية وطمست على افئدتهم فخدموها وشجعوها وساعدوا على أداء مهمتها السرية التي تتلخص في تحطيم الحكومات وتدمير مقومات الشعوب غير اليهودية والقضاء على الدين والأخلاق وإثارة الفتن والحروب والتي تنتهي دائما لمصلحة اليهود.

لقد وقع المفكرون الإسلاميون في براثن الماسونية كالأفغاني ومحمد عبده، وحتى عندما اكتشفوا أمرها لم يستطيعوا أن يواجهوا خطرها على فكرة الإسلامية، بل إن أغرب الأشياء أن الأفغاني الذي خلع نفسه من عضوية المحفل الماسوني الاسكتلندي لأنه لم يعضده في قضاياه السياسية، أنشأ محفلا وطنيا للشرق الفرنساوي، ولكن الانجليز عاقبوه، وعندما هاجم عبدالله النديم دعاة الماسونية في مصر، وهم أصحاب دار المقطم بقوله:

كيف يرجى الصدق والإخلاص مما خانوا وطنهم وسلطانهم وأهلهم، وكانت بلادهم أولى بالخدمة.. عوقب النديم بأن وضع تحت الرقابة، وأغلقت مجلته، وطورد حتى داهمه الفقر والجوع، مما أدى به إلى الإصابة بداء الرئة والموت.

لقد تركت الماسونية اللادينية أثرا خطيرا في أفكار المثقفين، وعلى حد قول الشيخ محمد رشيد رضا: " فلم يكن لها من ثمرة إلا إعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستفتاء عن الشرع بالقوانين والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم وموالاتهم لهم.

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون.

ولا يخفى على أحد أن قصد المؤاخاة بين المسلمين وغير المسلمين المشار إليه، هو قتل الحمية الدينية الإسلامية في أعماقهم، وبث الخلاف بين المسلم وأخيه المسلم الذي ارتبط به بأصرة الدين والعقيدة بما يمنونه من النفع الناتج عن التمسك بها[1].

الماسونية والتعليم الدينى

عن تأثير الماسونية على الدين، ومحاولاتها ابعاد التعليم الدينى وإنشاء التعليم العلمانى يقول Nichlas Hans فى كتابه عن التعليم المقارن:

"منذ إنشاء المحفل الماسونى الأعظم فى بريطانيا سنة ١٧١٧ م. كشفت الماسونية عن تعاونها مع الجمعيات السرية الأخرى من أجل محاربة التعليم الدينى.وأسهمت الماسونية فى تأسيس مدارس ثانوية على أسس علمانية تهدف إلى القضاء على نفوذ الكنيسة على التعليم. وسرت تعاليم محافل الماسون البريطانية إلى جميع المحافل فى أوربا من أجل تشجيع التعليم العلمانى. وكانت الخطة تعتمد على إنشاء معاهد خاصة فى بادىء الأمر إلى أن تتمكن الحكومات من فرض العلمانية على مدارسها الرسمية وأنشىء أول معهد خاص فى بريطانيا على أسس علمانية سنة ١٧١٩م. وسرت العدوى إلى أوربا، وقامت حرب شعواء بين دعاة العلمانية وأغلبهم من الماسون وبين الكنيسة التىكانت تسعى إلى المحافظة على نفوذها فىالمدارس والجامعات.

ونجح الماسون فى زعزعة سلطان الكنيسة فى فرنسا منذ أواسط القرن الثامن عشر، حيث استطاع مونتسكيو ولاشالوتى متأثرين بماسون بريطانيا، أن يهاجما بصراحة سلطة الكنيسة على التعليم، ويطالبا بالتعليم العلمانى حسب مناهج دراسية لا تخضع لسلطان الدين، وتبعهما رئيس برلمان باريس رولاند، الذى قدم للبرلمان نظامًا قوميًا للتربية يفصل بين التعليم والكنيسة.

وأدرك الباباوات خطر الماسونية وخططها لهدم الدين بإقصائه عن التعليم، وصدرت أول نشره بابوية ضدالماسونية سنة ١٧٣٨ م. وتقبل الماسون الحرب الباباوية بصدر رحب لأنهم كانوا واثقين من سيطرتهم على أغلب حكومات أوربا العلمانية، وأن الوزراء الماسون ينتشرون فى جميع حكومات أوربا، ونتيجة لضغط الماسون فى مختلف الحكومات الأوربية إضطر البابا إلى إصدار نشره يحل بموجبها جمعية المسيح ويسمح بمصادرة أملاكها للمدارس والمعاهد العلمانية سنة ١٧٧٣م.

(١) د. السيد أحمد فرج - جذور العلمانية ص ٧١-٧٢ - دار الوفاء - طبعة ١٩٩٠م.

وتأثرت المستعمرات الأمريكية بحركة الماسونية العلمانية من أوائل القرن الثامن عشر وحين جاء فرانكلين سفيرا للولايات المتحدة فى فرنسا سعى إلى توحيد محافل الماسون فى محفل واحد عظيم يضم صفوة القوم والمفكرين، وتأسس محفل باريس سنة ١٧٨٠ ليضم الصفوة المختارة، واعتبر قدوة لجميع محافل أوربا وأمريكا، وكان هدفه الأول فصل الدين عن التعليم ونشر العلمانية.وتبادل حكام أوربا وأمريكا وقادة القارتين النصح والتوجيه من أجل تحقيق أهداف الماسونية فى خلق أنظمة التعليم الحديثة العلمانية.(١)

يقول الجنرال جواد رفعت آتلخان(٢):

توالت الكوارث على بلادنا لإزالة الخلافة العثمانية واحتلال فلسطين وإقامة دولة يهودية مركزها القدس، ودبرت الأيدي الخبيثة تقديم خمسة ملايين من الجنيهات الذهبية إلى السلطان عبدالحميد الثاني مقابل مساحة لاستيطان اليهود في فلسطين، إلا أن السلطان عبدالحميد قد رفض ذلك بشدة، وأدى هذا الرفض إلى إثارة دعاية يهودية عالمية ضد الطبقة الحاكمة في الدولة العثمانية، متخذه من الافتراءات والأكاذيب سلاحا لها، وكانت هذه الأكاذيب والافتراءات من القوة بحيث لا يمكن للإنسان أن يقف أمام تيارها الجارف.. وكانت تتضمن أمثال هذه الكلمات " الرجعية في الدولة العثمانية"، "الاستبداد يخيم عليها"، "السلطان عبدا لحميد يفتك بالعناصر المثقفة ويرميهم من نوافذ القصر إلى البحر".

هذه الدعايات التي انتشرت في ارجاء الامبراطورية، لم يميز كثيرون ما فيها من الأكاذيب والافتراءات " فأصبحت جبال مكدونيا ملجأ للثوار دعاة الإصلاح الغربي" بدعوى تنظيم السلطنة وإصلاحها إصلاحا عصريا.. وإن الكلمات المعسولة التي امتلأت بها آذان الناس أخذت تعطي ثمارها، وبدأ اليهودي الماسوني (قره صو) (٣) نشاطه السياسي، وأوقع كثيرا من الوطنيين المتحمسين في شباك الماسونية وكان أحد هؤلاء طلعت باشا الذي انتخب رئيسا للمشرق الماسوني الأعظم العثماني، وكان طلعت باشا

(١) أنظر - عبدالله التل - جذور البلاء - ص ١٢٣ - ص١٢٥

(٢) جنرال متقاعد في الجيش التركي له أياد بيضاء في حقل الدفاع عن الإسلام، أكثر مؤلفاته تبحث في اليهودية العالمية والماسونية ومؤامراتها، أصدر جريدة بالانجليزية باسم United Islam Nations.

(٣) من الذين دبروا الانقلاب الاتحادي سنة ١٩٠٨ ضد السلطان عبدالحميد، وسلمه بنفسه قرار التنازل عن العرش.

رجلا طيب السريرة مخلصا، إلا أن هذه الصفات لا تكفي، لأن إدارة الحكم والسياسة تتطلبان ثقافة عالية، ومقدرة فائقة وتجارب كثيرة.

وفي الواقع إن جمعية الاتحاد والترقي التي خلعت السلطان عبدالحميد عن عرشه هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلاد من المآسي ما لم تشهده خلال ثلاث وثلاثين سنة من حكم السلطان عبدالحميد..ولفظ مواطنون مخلصون كثيرون أنفاسهم الأخيرة على أعواد المشانق التي نصبت في مختلف أنحاء البلاد، أما المصيبة الحقيقية الكبرى فهي وقوع إدارة الحكم تحت تأثير النفوذ الماسوني اليهودي.. وكأن الأرض قد انشقت مرة واحدة عن مستعمرات يهودية ذات أبنية شاهقة من مناطق حيفا ويافا والرملة والكرمل وهكذا فإن أسس اسرائيل قد أرسيت بأيدينا.

وإن طلعت باشا (مأمور البريد السابق) رئيس وزراء الحكومة العثمانية المسكين لم يكن على علم بخفايا الأمور، لأنه كبقية الغافلين كان قد صدق المزاعم الماسونية التي تتغنى بالحرية والإخاء والمساواة والسلام العالمي. وقد انهارت الدولة العثمانية ولفظ طلعت باشا أنفاسه الأخيرة غريبا في بلاد أجنبية برصاص الماسونية اليهودية بعد أن اختلف معهم.

إن طرابلس الغرب (ليبيا) قد وقعت في مخالب الطليان بمؤامرة خبيثة دبرها اليهودي الماسوني (مترسالم) الحائز على الدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية.

لقد ذهب مترسالم إلى إيطاليا وقابل رئيس بلدية روما اليهودي الماسوني، ورسما الخطط اللازمة ودفعت الخزينة الإيطالية الملايين من الليرات الذهبية إلى اليهودي متر سالم، لقاء إقناعه الدولة العثمانية بضرورة سحب الأسلحه والعتاد من طرابلس الغرب إلى استانبول بحجة التعمير والإصلاح، وبمساعى الماسونيين أيضا سيق قطعان الجيش إلى اليمن، وهكذا سلمت ليبيا لقمة سائغة للطليان، وتعالت أصوات النواب الطرابلسيين في المجلس النيابي العثماني.. ولكنها اصطدمت بالستار الحديدي الماسوني، وتلاشت بعد مدة، وذهبت أدراج الرياح، ولقد أدرك طلعت باشا أخيرا هذه المؤامرة.ولكن هيهات.. هيهات.. وإن طرابلس لم تكن هي الضحية الوحيدة لمؤامرة الماسونيين اليهود بل ذهبت ضحيتها فلسطين.. وسائر البلدان التي أقتطعت من الدولة.

وسائل اليهود في إفساد المجتمعات البشرية

النظريات العلمية[1]

(دارون - ماركس - فرويد - دوركايم...)

حقيقة النظريات العلمية

سخر اليهود فريقا من أذكيائهم وشياطينهم، لوضع أفكار باسم نظريات علمية حديثة، أو إحياء أفكار قديمة، ووضعها في قوالب نظريات فلسفية تنقض بالكذب والتزييف والمغالطات المبادئ والأسس العلمية والمنطقية الحقة التي جاءت بها الأديان الربانية الصحيحه المنزلة على أنبياء الله ورسله.

- **قالوا في البروتوكول الثالث عشر:** " سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة، التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية.."
- **وفي البروتوكول التاسع:** "ولقد خدعنا الجيل الناشئ من الجوييم الأمميين، وجعلناه فاسدا متعفنا، بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لنا زيفها وكنا نحن أنفسنا الملقنين لها..".
- **وفي البروتوكول الرابع:** "يجب علينا أن ننزع فكرة الله ذاتها من عقول الجوييم الأمميين..".

سعى اليهود إلى تدمير مقومات الأمم والشعوب تمهيدا للإستيلاء على العالم ولاسيما أوطان المسلمين، ولقد رسمت البروتوكولات الخطط الجهنمية وعبدت الطرق التي يجب أن يسلكها اليهود للوصول إلى غاياتهم فكانت تلك النظريات العلمية..

- **تقول البروتوكولات:** ".. والأهم من ذلك كله اشرافنا على التعليم، الركن الأساسي للحياة الحرة، لقد أفسدنا الجيل الحاضر من غير اليهود، ولقناه المبادئ والنظريات الفاسدة.."

(١) أنظر محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق، عبدالرحمن الميداني - كواشف زيوف - دار القلم ، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي - محمد الحسن - دار الثقافة قطر.

" لقد رتبنا نجاح نيتشة ودارون وإن تأثير أفكارهما على عقائد الأمميين واضح لنا بكل تأكيد".

دارون ونظرية التطور (١٨٠٨-١٨٨٢م)

تقوم نظرية التطور على أن الحياة سارت في سلسلة طويلةمن الرقي التدريجي، من أدنى الأحياء إلى الأعلى فالأعلى، وأن الإنسان قد كان قمة تطورها، على النحو التالي:

" كائن وحيد الخلية كالأميبا، ثم فطريات متعددة الخلايا، نبات - نبات يشبه الحيوان - حيوان يشبه النبات كالمرجان - حيوانات لا فقارية - حيوانات فقارية دنيا كالاسماك والطيور - حيوانات فقارية أرقى كالثدييات الدنيا - الثدييات العليا - القردة الدنيا - القردة العليا كالغوريلا والأورنج والشمبانزي والجيبون - القرد الشبيه بالإنسان أو الإنسان الشبيه بالقردة العليا - الإنسان)

يرى دارون في نظريته أن الطبيعة تخلق كل شئ، ولا حد لقدراتها على الخلق.

Nature creates everything and there is no limit to its creatinity.

وأن الطبيعة تخبط خبط عشواء nature work haphazardly أي أن دارون قد نفى الخلق المباشر من الله للإنسان، بل نفى يد الله من عملية الخلق كله، كما نفى الغاية والقصد لأنه يقرر أن الحياة قد وجدت على الأرض بالصدفة في ظروف معينة، وأن الإنسان ما هو إلا امتداد لسلسلة التطور الحيواني، لا قصدا من خلقه ولا غاية، وما يزيد عن القردة إلا ما أضافه التطور له عبر آلاف السنين.

استغل اليهود هذه النظرية في تقويض عقائد الأمميين وإزالة ما بقى من أثر للدين في حياة الناس وتحطيم كل القيم في حياة البشرية. فروجوا لها في أسواق العلم، وفي ميادين الثقافة وفي أجهزة الإعلام، والحقيقة أن الحياة ليست نتاج المادة بل المادة وعاء لها.. لقد خلق الله آدم عليه السلام من الطين، ولما سواه نفخ فيه من روحه فصار إنسانا حيا، بعد أن كان مادة ميتة، وبعد أن يعلق الجنين في رحم أمه يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح. وعندئذ تدب فيه الحياة الإنسانية.

لقد سقطت نظرية دارون التي روج لها اليهود لإفساد الأخلاق وتدمير القيم الإنسانية، وأثبتت المؤتمرات الدولية للإعجاز الطبي في القرآن التي عقدها علماء البيولوجيا قصورها.

إن نظرية دارون التي كانت منطلقا للفكر المادي قد كشف زيفها وأثبت العلم وكشفت الحفريات عن الجماجم والعظام التي دحضت نظرية الصلة بين الإنسان والقرد، وعبرت الجماجم عن استقلالية كل عنصر خلقه الله عز وجل، وأن الإنسان مشى على الأرض بقامته المرتفعة منذ اليوم الأول.

أعلن الدكتور " رولاندجونسون" أستاذ علوم الأجناس البشرية عام ١٩٧٤ أن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بعد دراسات وتجارب امتدت سنوات طويلة بنسبة ٩٩,٩٪ من الدقة أن الإنسان سار منتصبا على قدمية منذ أن وجد على الأرض أي أنه بدأ تاريخه الإنساني منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة، بعد أن عثر على مجموعة من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثةملايين سنة، وكذلك ظهرت عظام ترجع إلى خمسة ملايين سنة وكل هذا يشير إلى أن الإنسان القديم كان يسير منتصب القامة منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة.

ويؤكد العالم الفرنسي "جان بيفتو" رئيس المجمع العلمي الفرنسي سابقا بعد أن أوقف من عمره نصف قرن لدراسة أصل الإنسان: أن الإنسان ليست له علاقة تجانس بالقردة، وأن كل المشابهات بين القرد والإنسان غير كافية ليجزم بوجود أصل واحد للإنسان والقرد، وهو يرفض هذا الافتراض لاعتقاده أن الإنسان لم يظهر على الأرض مجرد صدفه بل إنما كان هو الهدف الأخير من تنظيم الكون، ولذلك جاء مركبا في أكمل تقويم [1] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

(١) أنور الجندي - الفكر الغربي - دراسة نقدية - مطبعة الفيصل - الكويت.

كارل ماركس والشيوعية (١٨١٢-١٨٨٣م)

(الإشتراكية العلمية)

جاء في البروتوكولات "... انظروا إلى نجاح مذاهبنا التي جاء بها دارون وماركس ونيتشه. إنها من صنع دسائسنا وكان لها تأثير كبير على عقول الخوارج..)

وضع كارل ماركس اليهودي الألماني مذهبه الإقتصادي الاجتماعي (الشيوعي) على أساس اعتقادي فكري قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، وأن المادة هي كل الوجود، وأن المادة أزلية أبدية.

زعم ماركس أن الإنسان هو الذي اخترع من عنده فكرة الرب الخالق، وأن طبيعة المادة والحياة التي هي نتاج المادة - بحسب زعمه - خاضعة له.

يرى ماركس مؤسس الشيوعية المعاصرة وصاحب كتاب رأس المال، أن النظام الإجتماعي في الدولة الشيوعية نظام تطلق فيه الحريات الشخصية على أوسع مدى، بشرط ألا تمس المبادئ الشيوعية أو نظام دولتها وأوامرها، وحيثما تصل الشيوعية إلى غايتها المرسومة لها تلغى الأسرة، وتكون العلاقات والممارسات الجنسية مشاعا، فكل الرجال لكل النساء، أما الذرية فهي للدولة الشيوعية. وأن الأخلاق والقيم التقليدية المتعارف عليها بين الناس تلغى وتقوم بدلها أخلاق الطاعة للدولة الشيوعية وتنفيذ أوامرها وبرامجها، وكل ما يحققه المجتمع الشيوعي، مهما كان منافيا للأخلاق التقليدية.

أنشأ ماركس نظريته الاقتصادية وفلسفته المادية على فكرة التطور من جهة وفكرة حيوانية الإنسان وماديته من جهة أخرى... وأخذ جوهر النظرية الداروينية وأنشأ على اساسه نظرية اقتصادية وتفسيرا للحياة البشرية يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي ويجعل قوانين المادة منطبقة على عالم البشر كما يجعل أمور الحياة كلها، من عقائد ومشاعر وأفكار وأنماط سلوكية ومنظمات ومؤسسات... إلخ تبعا للطور الإقتصادي وللأوضاع المادية التي يعيش فيها الإنسان ومجرد انعكاس لها، لا تسبقها، ولا تخرج عنها، ولا دور للإنسان فيها إلا أن يدور مع الطور الإقتصادي ومقتضياته.. لأنها حتميات.

تتناول الماركسية عمليات التحطيم التي قام بها اليهود للدين بصورة علمية حيث

يباد الدين تلقائيا من جراء التطور الحتمي الناشئ من الانتقال من طور اقتصادي متأخر وهو الشيوعية الأولى التي عاشتها البشرية في بداوتها حيث كانت الأرض ملكا للقبيلة بأكملها، إلى طور اقتصادي متقدم وهو الشيوعية الثانية والأخيرة، وإن الدين خرافة لا تليق بالإنسان الصناعي المتطور.. قام اليهود بتحطيم الأخلاق وأشاعوا الفوضى الجنسية وحاربوا قيد العفة.

يقول ماركس: إن قضية العفة إنما أخذت أهميتها من أنانية الرجل في المجتمع الزراعي المتأخر باعتباره هو المتكسب والمنفق، ثم وضع عليها وسم الدين والأخلاق ليعطيها أهمية زائدة، خدمة لأنانيته وأنها فقدت أهميتها الزائفة بالطبع بصورة تلقائية نتيجة التطور الحتمي، وحلت محلها فضيلة من نوع آخر في المجتمع هي فضيلة تحرر المرأة.

قام اليهود بتحطيم الأسرة لأن الأسرة أحد القيود التي تمنع التحلل الخلقي أو تبطئ عجلته، وتبطئ بالتالي عملية استحمار الشعوب وتسخيرهم لشعب الله المختار.

يقول ماركس: إن ترابط الأسرة كان مجرد انعكاس لوضع اقتصادي متأخر هو الوضع الزراعي الإقطاعي وأنها فقدت ترابطها تلقائيا من التطور الحتمي الدافع إلى الأمام ومن ثم لا تستحق البكاء عليها ولا التحسر إنما الأولى السير مع عجلة التطور والرضا بالطور الموجود.

وهكذا تتلخص المهمة العلمية للفيلسوف الكبير في تغطية الدور الخطير الذي تقوم به العصابة المفسدة في الأرض في ثوب علمي تتلهى به عقول الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار.[1]

سيجمون فرويد ومدرسته في علم النفس

(١٨٥٦-١٩٣٩م)

فرويد يهودي نمساوي من أبوين يهوديين، مؤسس مدرسة التحليل النفسي، لا يقل عبقرية وخطورة عن ماركس، حاول تطبيق آرائه في تفسير نشأة المجتمع والدين

(١) أنظر محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق - الطبعة الرابعة ١٩٨٨

والحضارة، دفعته القيادة اليهودية الخفية، ضمن خطتها العامة لوضع أفكار وآراء باسم نظريات في علم النفس، تهدم العقائد والأخلاق الدينية، وتخدم المخطط اليهودي ضد شعوب الأرض جميعا، باستغلال النوازع والغرائز والشهوات ونوازغ الشر في الإنسان بغية هدم أبنية الفكر الديني، ونشر الإلحاد والإباحية وإشاعة الفساد في الأرض لأن ذلك يفضي إلى تدمير الشعوب، وسلبها مادة قوتها ونظام تماسكها - وهذا بحسب تصور شياطين اليهود لقيام الدولة اليهودية العالمية.[١]

تقوم مدرسة التحليل النفسي عند فرويد على أساس الإلحاد بالله وإنكار الخالق عز وجل وإنكار الدين والأخلاق، واعتبار الإنسان كائنا ماديا ناتجا عن تطور المادة تطورا ذاتيا، وعلى أساس الإباحة الجنسية، وحث الإنسان على ممارسة رغباته الجنسية بحرية تامة لا تقف أمامها قيود دينية أو أخلاقية أو عادات وتقاليد اجتماعية.

زعم فرويد أن كل سلوك الإنسان يرجع إلى دافع وحيد في كيانه منذ ميلاده حتى موته، ألا وهو الدافع الجنسي، فهو الدافع الوحيد في حياة الإنسان، وتتشكل ظواهره بأشكال كثيرة في سلوكه، لذلك ينبغي إعطاء الدافع الجنسي الحرية المطلقة ويجب عدم تقييده بأيه قيود دينية أو خلقية أو اجتماعية، أو قانونية أو أسرية أو عادات وتقاليد.

زعم أن مقتضيات الصحة النفسية تدعو إلى إطلاق هذا الدافع وعدم كبته.. ادعى أن كبت الدافع الجنسي هو المسئول عن الإصابة بالأمراض العصبية في الناس، وأن كل مرض عصبي يمثل اضطرابا في الوظائف الجنسية، وأن الكبت الجنسي من فعل المجتمع والدين والأخلاق والتقاليد، فهي التي تحول دون تنفيس الإنسان عن رغباته وتكبت غرائزه.

ولكي نمنع العقدة النفسية والاضطرابات العصبية يجب أن نزيل هذه الحواجز، ويمارس الإنسان تلبية رغباته الجنسية بأيه وسيلة، حماية له من أن يكون عرضة للإصابة بمرض عصبي.

يقول فرويد في كتبه إن كل الأطفال الذكور يصابون بعقدة أوديب في أول طفولتهم.[٢] وأن الدين نابع من الجنس..من عقدة أوديب.. من كبت الشهوة الجنسية التي يحسها الطفل الذكر نحو أمه.

(١) أنظر عبدالرحمن الميداني - كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة - دار القلم - دمشق

(٢) عقدة أوديب فيما يزعم فرويد هي ميل الطفل الذكر جنسيا نحو أمه ويقابلها عقدة اليكترا وهي ميل البنت جنسيا نحو أبيها.

أثبت المتتبعون لفرويد أنه يهودي متعصب ليهوديتـه، وأنـه صديق حميم لليهـودي تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية الحديثة، وأن التحليلات النفسية التي قدمها تحـت ستار الدراسة العلمية المتجردة إنما صاغها على الوجه الذي قدمها به، ليخـدم القضيـة اليهوديـة الصهيونية في العالم، وهو في حقيقة وجدانه يهودي متمسك بيهوديته شديد التعصـب لهـا، وصهيوني يخدم عن طريق دعاوى البحث العلمي المتجرد أغراض الصهيونية.

لقد وضع اليهود كل ثقلهم في العالم لجعل آراء فرويد معـارف علميـة تـدرس فـي الجامعات في الغرب والشرق على أنها فتح في ميادين العلم، وذلك ضمن الخطط اليهودية المرسومة ضد شعوب العالم لمصلحة اليهود. لذلك رفعت وسائل الإعلام اليهودية العالمية فرويد إلـى منزلـة غير عاديـة، وحملـه الملاحدة علـى رؤوسـهم، وداروا بـه فـي أرجـاء الأرض تمجيدا وإكبارا.

إميل دوركايم وعلم الإجتماع

(١٨٥٨-١٩١٧م)

دوركايم يهودي فرنسي دفعتـه القيـادات اليهوديـة السـرية لإيجـاد أفكـار فـي مجـال تخصص علم الإجتماع، من شأنها تنفيذ المخطـط اليهـودي العـام الرامـي إلـى هـدم أسـس الدين والأخلاق في مختلف الأمـم والشـعوب.. دعمتـه الدعايـة وأجهـزة الإعـلام اليهوديـة ورفعته إلى مرتبة غير عادية حتى صار عند المؤرخين رائد علم الاجتماع.

أراد دوركايم أن يهدم الدين والأخلاق من جذورهمـا، فزعـم أن العقل المشـترك للمجتمـع هو الموجه لكل فرد فيه، وهو المكون لأفكار الأفراد ومذاهبهم وعاداتهم ومفاهيمهم وذلـك عن طريق إلزام المجتمع للفرد، بما يحيطه به من قوة اجتماعية ضاغطة.

سعى دوركايم إلى تفسير الظواهر الإجتماعيـة تفسيرا ماديـا، لا يعـترف باللـه ولا بأية قوة غيبيـة، أو موجـودات وراء العـالم المـادي، وركـز علـى إلغـاء الفطـرة الإنسـانية النزاعة إلى الإيمان بالله وإلى عبادته، وإلى فضائل الأخلاق، وإلى بناء الحياة الإجتماعيـة الأولى على نظام الأسرة القائم على الزواج وضوابطه.

يقول دوركايم " كان المظنون أن الدين والـزواج والأسـرة هـي أشـياء مـن الفطـرة ولكن التاريخ يوقفنا على أن هذه النزعات ليست فطرية في الإنسان".

ألغى دوركايم بذلك الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها والموجودة نوازعها فيها قديما وحديثا إلى أن ينقرض هذا النوع البشري، كما فسر ظاهرتي الدين والأخلاق في المجتمعات الإنسانية بأنهما وليدتا أسباب اجتماعية فقط، وليس لهما سند عقلى أو علمي، وليس لهما دوافع فطرية في النفس الإنسانية.

الإنسان في عرف دوركايم شئ لا كيان له ولا فطرة ولا سمات محددة، لأن الكيان أو الفطرة يشيران إلى شئ ثابت لا يمكن تغييره أو لا يجوز تغييره.. وهذا أمر لا يخدم أهدافه ولا أهداف قومه الذين يريدون مسخ الفطرة البشرية لأمر في نفوسهم.

لقد أراد اليهود - ونفذوا بالفعل - إنشاء مجتمع تنعدم فيه القيم الثابتة.. مجتمع بلا دين ولا أخلاق ولا زواج ولا أسرة ولا تقاليد.

وهكذا قام العالم الكبير بالتغطية على دور اليهود في الإفساد في الأرض في صورة علم يدرس في كل جامعات الأرض، ويتربى عليه علماء من الأمميين يتعصبون له كأنما هم واضعوه، أو كأنما هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!

أباطيل صهيونية

يذكر اليهود في كتبهم التي يعلمونها للنشئ الجديد أو التي ينشرونها بين الناس عن تاريخهم أن الشعب اليهودي نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد بقيادة إبراهيم الخليل عليه السلام، ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز الأربعة آلاف شخص!!

وتدرس هذه المفاهيم في الجامعات والكليات الأوربية والأمريكية، ذلك لأن من يضع كتب التاريخ القديم هم اليهود أو المسيحيين المتعصبين للتوراة، وصار العرب يرددون ذلك دون تمحيص أو دون أن يقفوا لحظة واحدة ليفكروا ويسألوا أنفسهم: أين كان اليهود في عصر إبراهيم الخليل؟ وكيف تم التوصل إلى إحصاء عددهم الذي هو أربعة آلاف شخص في حين أن اليهود لم يظهروا إلى عالم الوجود إلا بعد الألف الرابعة قبل الميلاد بـ ٢٧٠٠ سنة.

ويدعى اليهود أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف عام، وأن العرب لم يدخلوها إلا بعد الفتح الإسلامي، وهذا يشكل أكبر تزييف للواقع التاريخي:

يقول أحد الباحثين: ومن أقوال اليهود أن العرب فتحوا فلسطين بعد قيام الدعوة الإسلامية وأنه لم يكن لهم وجود فيها قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد نجح دعاة الصهيونية في الترويج لهذه الخرافة حتى صدقها الكثيرون من الأوربيين والأمريكان، بل ونجحوا فيها حتى صدقها أناس من العرب أيضا، فسمعنا من يقول منهم في أمريكا إن شأن اليهود في فلسطين كشأن الهنود الحمر في القارة الأمريكية.

يقول الدكتور جمال حمدان رحمه الله[1] " أول ما نسمع عن اليهود في التاريخ مع إبراهيم الخليل أبي الأنبياء عليه السلام، الذي ظهر مع قومه في القرن الثامن عشر قبل الميلاد كجماعة من الرعاة على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق في أور. ومن قبل كان إبراهيم وقومه قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التي نشأوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة التي تأصلت في ذلك الخزان البشري الشهير الذي لم يتوقف عن أن يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة.

ففي حوالي ١٨٠٠ق.م. هاجر إبراهيم وقومه في دورة عكس عقارب الساعة، شمالا بغرب، ثم جنوبا على طول حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى حوران ثم إلى فلسطين، وهناك ولد له إسحق، ولإسحاق ولد يعقوب، ومن أبناء الإثنتا عشرة الشهيرة في التاريخ.

كان الكنعانيون أبناء كنعان بن حام بن نوح أول من سكن فلسطين على أرجح الآراء، وفي الدراسات السامية القديمة أن الكنعانيين هم الآخرين قبيلة سامية من الساميين الشماليين، جاءت أصلا من الجزيرة العربية منذ ٢٥٠٠ ق. م. وكانوا قد استقروا بفلسطين، وأقاموا بها حضارة راقية، كذلك رحل جزء من الكنعانيين إلى الساحل اللبناني حيث عرفوا بالفينيقيين.

كان على العبرانيين ليستقروا بأرض كنعان أن يحاربوا الكنعانيين، ولكنهم لم يسيطروا إلا على التلال الداخلية، وظلت السهول الغنية في أيدي الكنعانيين الأصليين، حتى إذا كان منتصف القرن ١٧ق.م. أي بعد ١٥٠سنة فقط من هجرة إبراهيم، هاجر

(١) د. جمال حمدان - اليهود أنثروبولوجيا - دار الكتاب للطباعة والنشر

يعقوب وأولاده إلى مصر بسبب القحط المشهور، وفيها استقروا بارض جاسان (وادي الطميلات شرق الدلتا المصرية) نحوا من ٣٥٠سنة إلى أن خرج بهم منها سيدنا موسى عليه السلام (من الجيل السابع بعد إبراهيم) حوالي ١٣٠٠ق.م. وذلك هربا من اضطهاد فرعون مصر (رمسيس الثاني) الذي استعبدهم انتقاما منهم لتعاونهم في خيانة واضحة مع الهكسوس غزاة مصر.

كانت عودتهم إلى أرض كنعان وخوفهم من الكنعانيين العمالقة ومعاقبتهم بالتيه في سيناء ٤٠ سنة إلى أن قادهم يوشع بن نون إلى نهر الأردن، حيث انتزعوا بعضا من أرض كنعان في الداخل ولكن دون العاصمة (يبوس) القدس وساحل الفلسطينيين.

وفي فجر الالف الأولى قبل الميلاد عام ١٠٠٠ ق. م. وحد داود الأسباط وهزم اليبوسين والفلسطينيين وأسس مملكة إسرائيل، غير أن الدولة لم تصل إلى الساحل، ثم لم تلبث أن انشطرت بعد خليفته سليمان صاحب الهيكل إلى مملكتين: مملكة يهوذا جنوبا في هضبة يهودية تضم قبيلتي يهود وبنيامين، ومملكة إسرائيل شمالا في السامرة وتضم القبائل العشرة الباقية.

وفي عام ٧٢١ ق.م. في القرن الثامن قضى سرجون الأشوري نهائيا على المملكة الشمالية، ثم قضى نبوختنصر في القرن السادس ق.م. على المملكة الجنوبية حيث دمر أورشليم والهيكل في ٥٨٦ق.م.

وبذلك زالت إلى الأبد دولة اليهود في فلسطين بعد حياة طولها أربعة قرون فقط.

نقل نبوختنصر أغلبية اليهود أسرى إلى بابل، ولكن بعد أن هزمت فارس بابل على يد كسرى سنة ٥٣٨ ق.م. سمحت لليهود بالعودة إلى أورشليم بعد نحو نصف قرن من الأسر البابلي، فلم يعد إلا قلة ضئيلة تقدر بنحو ٥٠ ألف سكنت في منطقة يهودية الجنوبية، وبقيت الأغلبية المطلقة في العراق.

لم يعرف بنوا إسرائيل في فلسطين حياة الاستقرار على الإطلاق، وظل السكان الاصليون يناضلونهم حتى أخرجوهم، ومن آخر ماحدث في إجلاءهم تشريدهم على يد القائد الروماني (تيطس) عام ٧٠م. والامبراطور (هادريان) الذي قضى عليهم نهائيا سنة ١٣٥م، وبقيت فلسطين محرمة على اليهود حتى جاء الفتح العربي الإسلامي، ولم يظهر لليهود أي نشاط حتى القرن العشرين.

إن عصر اليهود يبدأ في القرن السادس ق.م. في أعقاب السبي البابلي، وهو عصر يهودي بحت قائم بذاته، ويمثل بداية اليهودية، إذ تبدأ الديانة اليهودية الحالية بكتابة التوراة على يد الكهنة في الأسر في بابل، وهذه هي التوراة التي بين أيدينا اليوم، وهي غير التوراة التي أنزلت على موسى باللغة المصرية قبل ثمانمائة عام من عصر اليهود هذا.

إن الاعتبارات التاريخية القديمة التي يستند إليها اليهود في دعواهم لاقيمة لها، إذا ما أدركنا أن العرب قد عاشوا في فلسطين قبل مجئ اليهود إليها وفي أثناء وجودهم فيها، وظل العرب فيها بعد طرد اليهود منها، وذلك أن العرب الكنعانيين قد سكنوا فلسطين قبل اليهود ودام عهدهم فيها خمسة عشر قرنا، وغزاها بعدها الأشوريون والكلدانيون والفرس والإغريق والعرب والرومان وحكموها أكثر من أحد عشر قرنا.

ولما تم الفتح الإسلامي لأرض فلسطين على يد القائد المسلم عمرو بن العاص رضي الله عن وتسلم الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس من صفرونيوس بطريرك القدس عام ١٦هـ وصدرت العهدة العمرية ونص فيها على أن لا يسكن إيليا أحد من اليهود، أصبحت بلاد الشام بما فيها أرض كنعان أرضا عربية إسلامية، واستمرت على هذا الحال دون انقطاع إلا فترة الحروب الصليبية حيث استطاع الصليبيون أن يقيموا مملكة نصرانية في بيت المقدس في القرن السادس الهجري بعد أن قتلوا سبعين ألفا من المسلمين داخلها، وقد تم إجلائهم عنها على يد المجاهد المسلم صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ وبذلك انتهى دور الصليبيين وكان غزوهم لها من الغزوات العابرة[١].

يقول المفكر الإسلامي **أنور الجندي**:[٢] ومن أجل أن تحقق الصهيونية أهدافها كان عليها أن تزيف التاريخ من جهات كثيرة:

أولا: دعواها بإنكار حق آل إبراهيم من الوعد الإلهي وقصره على بني إسرائيل، وإنكار رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة.

ثانيا: تزييف دور الإبراهيمية الحنيفية في الأرض العربية الممتدة من العراق إلى مصر

(١) عبدالله التل - خطر اليهودية.
(٢) أنور الجندي - المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ص ١٢١: ص١٢٥ دار الاعتصام.

وإلى أفريقيا، ونسبة هذا الدور إلى جد أعلى هو سام، وذلك ما أطلق عليه الجنس السامي واللغة السامية وغير ذلك.

ثالثا: تزييف تاريخ السلطان عبدالحميد، ووصفه بالسلطان الأحمر والحاكم المستبد وتأليب القوى المختلفة عليه.

لقد أعادت اليهودية كتابة التوراة في منفى بابل، وحرفت حقائق التاريخ فلم تذكر ذهاب إبراهيم إلى الحجاز، وصمتت صمتا شديدا علىكل ما يتصل بعلاقة إبراهيم بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة.

والهدف الذي هدف إليه كهان اليهود أن يخرجوا أبناء اسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه من ربه، وقصره على بني إسرائيل دون بني إسماعيل، ومن هنا كانت دعواهم بالقول بأنهم شعب الله المختار، وكأن اليهود ينفون على العرب أن صار لهم بيت محرم منذ أيام إبراهيم بينما لم يصبح لهم هيكل في بيت المقدس إلا في أيام سليمان بن داود، ولم يقف أمر اليهود عند حرمان أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم من ربه فادعوا أن الذبيح هو اسحق وليس إسماعيل مع أن التقاليد كانت تقضي بتقديم الابن البكر قربانا لله.

وقد كشف القرآن عن هذه الحقيقة وربط بين إبراهيم عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم، على أساس أن إبراهيم هو صاحب الإمامة الكبرى في الدين، ومنه تفرعت الأديان السماوية الثلاث المنزلة.

ويرجع التاريخ عهد إبراهيم إلى عام ١٧٠٠ ق.م. وقد هاجر إبراهيم بابنه إسماعيل وزوجته هاجر إذعانا لأمر الله واستجابه له إلى جزيرة العرب، حيث ترك إسماعيل وهاجر في مكة، وكان البيت مرتفعا في الأرض كالرابية تأتيه السيول ثم عاد بعد أن كبر إسماعيل وأقاما معا القواعد من البيت وكان إسماعيل قد شب وأصهر إلى جرهم، وقد انتشر ابناء إسماعيل، الإثنى عشر في المنطقة الممتدة ما بين الشام ومصر، ولقد أعلنت ألواح الطين التي كتبت بالخط المسماري والتي وجدت، في أطلال بابل ونينوى وبلاد ما بين النهرين، أن بني إسماعيل كانوا حقيقة واقعة وأن أبناءه الإثنى عشر صاروا قبائل قوية تناوئ بابل وأشور ومصر.

الإستعمار والصهيونية والتآمر على اللغة العربية[١]

أدركت الصهيونية والاستعمار أن اللغة العربية هي الرباط المقدس الذي يشد الملايين العربية بعضهم إلى بعض في مختلف أقطارهم وديارهم من المحيط إلى الخليج، وأنها الأساس المتين لجمع كلمتهم وإقامة وحدتهم إذا ما توافرت لها الظروف الملائمة.

وإلى جانب الملايين العربية توجد مئات من الملايين المسلمة وغير المسلمة التي تستخدم الحرف العربي في كتاباتها وأن بمقدور اللغة العربية، باعتبارها لغة الدين والوحي، وبما تتميز به من الخصائص التي لا تتوافر لأية لغة عداها ولما فيها من جمال في الكتابة، وقدرة على نطق جميع الأصوات التي يستخدمها الإنسان والحيوان أيضا للتعبير عن حاجاته ورغباته وأداء تلك الأصوات كتابة، أن تضمها إلى الملايين العربية.

واللغة العربية، وفق هذا وذاك هي اللغة الأم التي تفرعت عنها جميع لغات الدنيا، وحاملة لواء الحضارات العربية المتعاقبة التي سايرت الإنسان منذ أن وجد على الأرض والتي تعود إلى أجيال سحيقة في التاريخ تصل إلى القرن التسعين قبل الميلاد في مملكة إيبلا والقرن الستين في ماري وإلى أربعة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد في كنعان، وبلغت أوج ازدهارها عند مطلع القرن الثلاثين، في كل من حوض النيل ووادي الرافدين في حقبة زمنية واحدة وعلى مستوى واحد من العظمة والجلال.

أدرك الإستعمار أن شعوبه بدأت تشعر بالهرم نسبيا وتشكو من نقص مواردها الطبيعية، على عكس الشعوب العربية الأخرى التي يمكن للغة العربية الفصحى أن تجمعها في وحدة متكاملة فيما لو توافرت لها الظروف الملائمة حيث ما زالت تحافظ على نضارتها وسريان ماء الشباب في عروقها، وتحتفظ بفائض في مواردها الطبيعية، ولأجيال عديدة لا يمكن حصرها، وعندئذ ماذا سيكون مصيره، وإلى ماذا ستؤول خسارته الباردة الجامدة التي بناها على الأخذ دون العطاء وامتصاص دماء الشعوب، فيما لو قيض قيام مثل هذه الوحدة ؟؟.

---

(١) راجع د. أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - العربي للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة السادسة. د.محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. نفوسه زكريا سعيد - تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر، د. مصطفى خالدي ود. عمر فروخ - بيروت - التبشير والاستعمار في البلاد العربية، الشيخ عبدالرحمن خليف - أين حظ الإسلام من لغة القرآن - الكويت.

أدرك أن اللغة العربية الفصحى تحمل في طياتها شبحا يهدده ويرى فيه مصيره المحتوم، لذلك بدأ يركز على تقويض اللغة العربية الفصحى وتأديب المجتمعين عليها لهجرها والانتقال إلى غيرها، وأخذ يوجه إليها الاتهامات الباطلة كقوله " إن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة عامل من أهم عوامل التخلف الثقافي" وأخذ ينشر الدعوات التي تطالب تارة بالأخذ بإحدى اللهجات العامية في الدول العربية كالمصرية أو السورية أو العراقية، وتارة باستبدال الحروف الأبجدية العربية بالحروف اللاتينية، ومرة ثالثة بإسقاط بعض أبواب النحو أو على الأقل تعديل بعض قواعده. وقد وجد الاستعمار من ساعده في حملته المسعورة ضد اللغة العربية الفصحى.

كانت تستهدف هذه الدعوات تفريق المسلمين عامة والعرب خاصة عن طريق تفريقهم في اللغة، وتفريقهم في الثقافة وقطع الطريق على كل توسع محتمل للغة العربية بين مسلمي العالم لمنع وحدتهم الكاملة.

نجحت الصهيونية والاستعمار في إخراج تركيا من حظيرة الشعوب التي تستخدم الحرف العربي في كتاباتها واستخدام الحرف اللاتيني عوضا عنه مقابل إقطاعها أجزاء من سوريا والعراق. وقام مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٨م باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، بعد أن أوحى إليه بذلك صديقه اليهودي (ظياصفت) وأوجب القانون التركي اعتبار الحروف الجديدة إجبارية، ونظمت الدروس العامة والمحاضرات، وأقيمت الندوات لتعليم الشعب التركي المسلم كيفية استعمال الحروف الهجائية الجديدة، بعد أن زعموا أن الخط العربي لا يصلح قط لمجاراة الحضارة العلمية والعصرية، ذلك لمنع الأجيال التركية الجديدة من قراءة تاريخها وثقافتها المكتوبة بالعربية ولفصل حاضر تركيا عن ماضيها فصلا أبديا.

وفي أفريقيا كان استعمال اللغة العربية، والحروف العربية أمرا شائعا لدى الشعوب الإسلامية في شرق القارة وغربها، فعمد الغرب الصليبي إلى قتل اللغة العربية لتغذية أسباب الفرقة بينهم وتنمية المشاعر العرقية والقبلية فيهم، تكريسا لمظاهر التمزق، ولبسط هيمنته المطلقة على البلاد، فأصبحت الإنجليزية والفرنسية هي المهيمنة اليوم على حياتهم.

البدايات الأولى لنمو الدعوة للعامية

ترجع البدايات الأولى لنمو الدعوة للعامية إلى أوائل القرن الثامن عشر عندما أخذت دول أوربا تنشئ معاهد خاصة لتدريس اللهجات العربية العامية، وكان الغرض من إنشاء تلك المعاهد تخريج السفراء والقناصل وأعضاء الهيئات الدبلوماسية ولتخريج الجواسيس وغيرهم من الهيئات والأفراد الذين يوفدون إلى البلدان العربية المختلفة. وقد استعانت هيئات التدريس في تلك المعاهد ببعض المغتربين الموجودين آنذاك في دولها كما استعانوا بهم في التأليف بيد أنه لم تكن لتلك المساعي أية خطورة على اللغة الفصحى إلى أن أخذ بعض المستشرقين ممن أوفدوا إلى الوطن العربي خصيصا لهذه الغاية ينشرون مؤلفاتهم ومقالاتهم باللغة العامية ويدعون للأخذ بها مستغلين مراكزهم ونفوذهم للوصول إلى غايتهم المنشودة.

كان من أبرز أولئك المستشرقين الدكتور ولهلم سبيتا وخلفه الدكتور كارلي فولرس ١٨٥٧-١٩٠٩م. وكلاهما من الجنسية الألمانية وعملا مديرين لدار الكتب المصرية.

كان سبيتا أول من دعا إلى الأخذ باللغة العامية المصرية وإلى استبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني عندما وضع كتابه " قواعد العربية العامية في مصر" سنة ١٨٨٠م. أما الدكتور فولرس الذي نهج نفس منهج سلفه فقد زاد عليه بأن استنبط حروفا لاتينية لكتابة العامية المصرية.

وتلاهما في هذا الاتجاه المستشرقان البريطانيان (سلدن ولمور وياول) اللذان عملا كقاضيين في المحاكم الأهلية في القاهرة، عندما وضع الأول سنة ١٩٠١ كتابا أسماه "لغة القاهرة" ضمنه قواعد لهذه اللغة ودعا لاتخاذها لغة للعلم والأدب كما اقترح فيه كتابتها بالحروف اللاتينية. وتصدت الصحف لهذه الدعوة مشيرة إلى مكامن الخطر فيها والتي لا يقصد منها إلا محاربة الإسلام في لغته. وكانت ردة الفعل قوية.

وتلا ولمور وياول في هذا المضمار المهندس البريطاني المشهور ويليام ويلكوكس الذي كان اشرس المستشرقين وأكثرهم نشاطا في الدعوة إلى إقصاء اللغة الفصحى واتخاذ العامية بديلا عنها.

كان ويلكوكس لكثرة تجواله في البلدان العربية يعلم أن الفصحى هي سر هذا الترابط القومي في الشعوب بين العرب خاصةوالمسلمين عامة، ويعلم مدى تثبيتهم بها باعتبارها لغة القرآن. لذلك كان شديد الحرص في دعوته وللوصول إلى الغاية المنشودة ونسف ذلك الترابط القومي، فقد سعى للفصل بين الجماهير العربية ولغتها القومية. وفي محاضرة ألقاها سنة ١٨٩٣م. في هذا الاتجاه أبدى تفاؤله بمستقبل الشعب المصري، وأعرب عن ثقته في قدرته على اكتساب ملكة الاختراع والابداع إن اتبع مشورته ولبى دعوته للكتابة والتأليف بالعامية، وجدد دعوته إلى هجر اللغة العربية الفصحى سنة ١٩٢٦م. عندما نشر رسالة تحت عنوان " سوريا ومصر وشمال أفريقيا ومالطة تتكلم اللغة اليونانية وليس العربية" وكذلك ترجم قطعا من روايات شكسبير إلى ما أسماه باللغة المصرية ونشرها بدعوى ضرورة الاطلاع على أدب شكسبير، كمانقل إلى العامية أجزاء من الكتاب المقدس وألف كتابا أسماه "الأكل والإيمان" ضمنه إرشادات صحية وفوائد طبية.

ولم يكتف أولئك المستشرقون بتلك الكتب والمقالات والمحاضرات بل تعدوا ذلك إلى تدوين ما أسموه بالآداب الشعبية والفولكلورية باللغة العامية، كالأزجال المصرية والأغاني الشعبية والأمثال، والحكمة في ذلك هو إدخال العامية في نماذج من المطبوعات القابلة للتداول، وأخذت الدعوة في الإنتشار عندما أدخلت اللهجة السوقية إلى المسرح الهزلي، ومنه انتقلت إلى المسرح الجاد.

كذلك حارب الاستعمار الفرنسي اللغة العربية الفصحى في شمال أفريقيا حربا لا تقل في شراستها عنفا عن حرب الاستعمار البريطاني لها في مصر، ووضع مستشرقوه كتبا عدة في دراسة اللهجات البربرية ووضع القواعد لها بقصد إحلالها محل اللغة العربية الفصحى. وكان على رأس الحركة الرامية إلى الكتابة باللغة العامية وبالحرف اللاتيني المستشرق لويس ماسينيون الذي حاول أن يثبت دعوته هذه في المغرب العربي وفي مصر والعراق ولاسيما في سوريا ولبنان.

وقد تمكنت تلك المساعي والجهود المبذولة أن توصل الدعوة للعامية إلى كبريات الصحف والمجلات المصرية وأخذ بعضها بالترويج لها، ففي سنة ١٨٨١م اقترحت مجلة المقتطف كتابة العلوم بلغة الحديث أي بالعامية، ودعت رجال الفكر إلى بحث اقتراحها ومناقشته، وأكدت المقتطف موقفها المؤيد للعامية وأثارت الصراع بين الفصحى والعامية من جديد، بتقريظها لكتاب ولمور الذي أصدره سنة ١٩٠١م. ووقفت مجلة الأزهر إلى جانب المقتطف في الدعوة إلى العامية وبحرارة تفوق حرارة ويلكوكس الذي أغرى

المصريين بمكافآت مالية ضخمة للتباري في الكتابة باللغة العامية.

أما مجلة الهلال وإن لم تكن شديدة الحماس للعامية كزميلتها المقتطف، فقد نشرت مقالا لسلامة موسى يثني فيه على ويلكوكس كمهندس وكأديب وكواحد من الإنجليز المخلصين لمصر وضمنه اقتراح بإلغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات.مدعيا أن اللغة العربية لا تخدم الأدب المصري ولا تنهض به وإنما تبعثر الوطنية المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية وامتدح سلامة رسالة ويلكوكس "سوريا ومصر وشمال أفريقيا تتكلم اليونانية وليس العربية" وأشاد بها وكرر تأييده لدعوته في هجر الفصحى هجرا تاما، وكان من الذين شاركوا في هذه الحملة الظالمة على الفصحى " لويس عوض" الذي دعا هو الآخر إلى نبذ الشعر الموزون وإحلال العامية محل الفصحى[1].

الدعوة إلى العامية في مجمع اللغة العربية

بلغت الدعوة إلى العامية ذروتها عندما تمكنت من التسلل إلى مجمع اللغة العربية، وظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات حول اللهجة العربية السامية ١٩٣٤-١٩٣٧م، كتبها عضوه المدعو عيسى اسكندر المعلوف، أظهر فيها العداء الصريح للعربية الفصحى، وكان قد سبق تلك المقالات بمقال نشره سنة ١٩٠٢ في مجلة الهلال دافع فيه عن اللهجات السوقية، مؤكدا أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب التخلف الثقافي في الدول العربية، كما ادعى أن تعلق المسلمين باللغة الفصحى هو أمر لا مبرر له لأن هناك مسلمين كثيرين يتحدثون العربية ولا يكتبون بها فعلا وتبعه عضو آخر من أعضاء هذا المجمع هو عبدالقادر المغربي الذي نشر مقالا في مجلة المجتمع سنة ١٩٣٦ تحت عنوان " دراسة في اللهجة المصرية" وتلاه عضو آخر هو عبدالعزيز فهمي الذي تقدم باقتراح يرمي للأخذ بالحروف اللاتينية لكتابة العربية في الجلسة المنعقدة في ٣مايو سنة ١٩٤٣م، وتناول موضوع اللغة العامية عضو آخر هو محمد فريد أبو حديد في دراسة خصائص اللغة العربية العامية، اختلق لها ذرائع ومبررات لاطائل تحتها.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



(١) أنظر ردود الاستاذ محمود شاكر في أباطيل وأسمار - مطبعة المدني.

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم

إبراهيم خليل أحمد — المستشرقون والمبشرون مكتبة الوعي العربي

أبو الأعلى المودودي — مبادئ الإسلام — الاتحاد الإسلامي العالمي

أبو الأعلى المودودي — نحن والحضارة الغربية — دار الفكر بيروت

أبو الحسن على الحسني الندوي — المسلمون تجاه الحضارة الغربية — دار المجتمع للنشر

أبو الحسن على الحسني الندوي — رجال الفكر والدعوة في الإسلام — دار القلم الكويت.

أبو الحسن على الحسني الندوي — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين — دار السلام للطباعة

أحمد أمين سليم — جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة — دار المعرفة الجامعية

د. أحمد زكي — مع الله في السماء — دار الهلال

د. أحمد سوسة — العرب واليهود في التاريخ — العربي للطباعة والنشر

أحمد على الملا — أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية — دار الفكر

القرطبي — الجامع لأحكام القرآن

أنور الجندي — أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة — دار الكتاب اللبناني

أنور الجندي — أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي

أنور الجندي — الاستشراق — دار الاعتصام

أنور الجندي — العودة إلى المنابع — دار الاعتصام

أنور الجندي — الفكر الغربي دراسة نقدية — دار الاعتصام

أنور الجندي — المد الإسلامي — دار الاعتصام

أنور الجندي — الوجه الآخر لطه حسين — دار الاعتصام

أنور الجندي — سقوط العلمانية — دار الكتاب اللبناني بيروت

أنور الجندي — معالم التاريخ الإسلامي المعاصر

أورخان محمد على — السلطان عبدالحميد الثاني — دار الوثائق

د. توفيق يوسف الواعي — الحضارة الإسلامية — دار الوفاء للطباعة والنشر

د. جمال حمدان — العالم الإسلامي المعاصر — درا الكتاب العربي

د. جمال حمدان — اليهود أنثروبولوجيا — درا الكتاب العربي

جمال سلطان	جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث	مركز الدراسات الإسلامية - بريطانيا
جمال سلطان	غزو من الداخل	دار الوطن للنشر
د. جمال عبدالهادي	أفريقيا التي يراد لها أن تموت جوعا	دار الوفاء
د. جمال عبدالهادي وآخرون	التعليم بين التطوير والتضليل	دار الوفاء للطباعة والنشر
د. جمال عبدالهادي وآخرون	الدولة العثمانية	دار الوفاء للطباعة والنشر
د. جمال عبدالهادي وآخرون	الغزو الفكري في المناهج الدراسية	دار الوفاء للطباعة والنشر
د. جمال عبدالهادي وآخرون	تاريخ الأمة المسلمة الواحدة في مصر والعراق	دار الوفاء للطباعة والنشر
د. جمال عبدالهادي وآخرون	منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه	دار الوفاء للطباعة والنشر
د. جودة حسنين جودة وآخرون	جغرافية الدول الإسلامية	مكتبة وهبة
جودت رفعت أتلخان	أسرار الماسونية	
د. حسن أبوالعينين	من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم جـ١وجـ٢	مكتبة العبيكان
د. حسين الشيخ	اليونان	دار المعرفة الجامعية
د. حمد بن صادق الجمال	اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر جـ١وجـ٢	دار عالم الكتب للطباعة
د. حمود بن أحمد الزحيلي	الصهيونية وخطرها على البشرية	دار العاصمة للنشر
د. السيد أحمد فرج	تعريب التعليم الجامعي ضرورة علمية إسلامية	رابطة الجامعات الإسلامية
د. حسين الشيخ	الرومان	دار المعرفة الجامعية
د. داوود علي الفاضل	محاضرات في حاضر العالم الإسلامي	دار الفكر للنشر والتوزيع
د. راشد البراوي	التفسير القرآني للتاريخ	دار النهضة العربية
سالم علي البهنساوي	الغزو الفكري للتاريخ والسيرة	دار القلم
د. سعد المرصفي	اسطورة الوطن اليهودي	مكتبة المزار الإسلامي
د. سعيد عبدالفتاح عاشور	حضارة الإسلام	
د. سيد طنطاوي	اليهود في القرآن الكريم	الزهراء للإعلام
سيد قطب	في ظلال القرآن	دار الشروق
شاتليه (محب الدين الخطيب ومساعد اليافي)	الغارة على العالم الإسلامي	
د. صبحي عبدالحكيم	جغرافية العالم الإسالمي	
د. صلاح الدين الشامي وآخرون	جغرافية العالم الإسلامي	
د. صلاح الصاوي	المواجهة بين الإسلام والعلمانية	الأفاق الدولية للإعلام

المؤلف	الكتاب	الناشر
د. طه أبو العلا	جغرافية العالم الإسلامي	
د. عادل طه يونس	العالم الإسلامي اليوم	مكتبة ابن سينا
عباس محمود العقاد	الإسلام في القرن العشرين	الهيئة المصرية للكتاب
د. عبدالحليم عويس	ثقافة المسلم	دار الصحوة للنشر
عبدالرحمن حسن الميداني	كواشف زيوف	دار القلم
عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني	غزو في الصميم	دار القلم دمشق
عبدالرحمن خليف	اين حظ الإسلام من لغة القرآن	الكويت
عبدالرزاق نوفل	الله والعلم الحديث	دار الشروق
د. عبدالستار فتح الله سعيد	الغزو الفكري	
د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر	الطبيعيات والاعجاز العلمي للقرآن الكريم	الدار السعودية
د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر	الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن	الدار السعودية
د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر	هندسة النظام البيني في القرآن الكريم	دار الحكمة
عبدالله التل	جذور البلاء	دار الإرشاد بيروت
عبدالمنعم أبوبكر	أخناتون	المكتبة الثقافية
عبدالمنعم شميس	الصهيوني العالمي	القاهرة للطباعة
د. عبدالمنعم محمد حسين	جمال الدين الأفغاني	بريطانيا دار الكتاب
عبده علي الخفاف ومحمد أحمد مؤمن	سكان العالم الإسلامي	دار الكندي ـ الأردن
عزت بيجوفتش	الإسلام بين الشرق والغرب	مؤسسة بافاريا
علي جريشة	حاضر العالم الإسلامي	دار المجتمع للنشر
د. عماد الدين خليل	تهافت العلمانية	مؤسسة الرسالة بيروت
د. عمر عبدالعزيز عمر	تاريخ المشرق العربي	دار النهضة العربية
فؤاد بن سعيد الرفاعي	حقيقة اليهود	دار صلاح الدين
فتحي يكن	العالم الإسلامي والمكايد الدولية	مؤسسة الرسالة
د. فهمي جدعان	اسس التقدم عند مفكري الإسلام	دار الشروق عمان
كارل بروكلمان	تاريخ الشعوب الإسلامية	دار العلم للملايين
كريستي موريسون	العلم يدعو للإيمان	مكتبة النهضة المصرية
د. محمد أبواليسر عابدين	أغاليط المؤرخين	
محمد أسد	منهاج الإسلام في الحكم	
محمد الحسن	المذاهب والأفكار المعاصرة	دار الثقافة
محمد الخير عبدالقادر	نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة الاسلامية	مكتبة وهبة

د. محمد الدسوقي	الفكر الاستشراقي	دار الوفاء
محمد الغزالي	الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر	ذات السلاسل
محمد الغزالي	الطريق من هنا	الكويت
محمد الغزالي	قذائف الحق	المكتبة العصرية بيروت
محمد بن صامل السلمي	منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه	الوفاء للطباعة والنشر
د. محمد رشاد خليل	المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره	دار التوزيع والنشر الإسلامية
د. محمد زغروت	أثر الفكر اليهودي في كتابة التاريخ الإسلامي	دار التوزيع والنشر الإسلامية
د. محمد علي البار	التركستان مساهمات وكفاح	الدار السعودية للنشر
محمد قطب	العلمانيون والإسلام	دار الوطن
محمد قطب	حول التفسير الإسلامي للتاريخ	دار العلم للملايين
محمد قطب	كيف نكتب التاريخ الإسلامي	دار الشروق
محمد قطب	لا إله إلا الله	دار الشروق
محمد قطب	مذاهب فكرية معاصرة	دار الشروق
محمد قطب	مفاهيم ينبغي أن تصحح	دار الشروق
محمد قطب	واقعنا المعاصر	مؤسسة المدينة
د. محمد كامل عبدالصمد	الإعجاز العلمي في القرآن الكريم	الدار المصرية اللبنانية
د. محمد محمد حسين	أزمة العصر	مؤسسة الرسالة بيروت
د. محمد محمد حسين	الحضارة الغربية	
محمد محمود شاكر	أباطيل وأسمار	مطبعة المدني
محمود شاكر	العالم الإسلامي	المكتب الإسلامي
محمود شاكر	مواطن الشعوب الإسلامية	المكتب الإسلامي
محمود شلتوت	تفسير القرآن الكريم	
محمود قاسم	الإسلام والحقائق العلمية	دار الهجرة
د. مصطفى السباعي	من روائع حضارتنا	الاتحاد الإسلامي العالمي
مصطفى فوزي عبداللطيف غزال	جمال الدين الأفغاني	دار طيبة
منير محمد الغضبان	معاوية بن أبي سفيان	دار القلم دمشق

قائمة المحتويات

رقم الايداع : ١٠٦٩٠ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 19 - 1816 - 8